الروح القدس؛ مُقدِّمة

د. فرِد ساندرز

دراسات قصيرة
في اللاهوت النظاميّ

المُحرِّران: غراهام كول وأورِن مارتن

الروح القدس؛
مُـقـدِّمة

The Holy Spirit:
An Introduction

تأليف

د. فرِد ساندرز

Authored by

Fred Sanders

ترجمة

صموئيل ناجي نعمان

Translated by

Samuel N. Naaman

Published in Arabic by الناشر في العربيَّة

EPI

Equipping Pastors International

جميع حقوق الطبع في النسخة العربيَّة محفوظة للناشر، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أيِّ جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقلها، أو استنساخه بأيِّ شكل من الأشكال، دون إذنٍ خطِّيٍّ مُسبَّق من الناشر. ومن يخالف ذلك يضع نفسه تحت طائلة القانون.

الكتاب: الروح القُدُس؛ مُقدِّمة (الإصدار العربيّ).

الكاتب: فرِد ساندرز.

ترجمة وضبط نهائيّ: صموئيل ناجي نعمان.

تدقيق لغويّ: بيتر عادل ثابت.

الإخراج الفنِّيّ والغلاف: صموئيل ناجي نعمان.

الناشِر في العربيَّة: EPI.

رقم الإيداع: ٢٠٢٤/٢٦٢٧٣

Book: The Holy Spirit: An Introduction (Arabic Edition).

Author: Fred Sanders.

Arabic Translation: Samuel N. Naaman.

Proofreading: Peter A. Thabet.

Internal design and Cover: Samuel N. Naaman.

Arabic Publisher: Equipping Pastors International.

ISBN: 978-977-95-0959-4

Originally published in English under the title: *The Holy Spirit: An Introduction*

Copyright © 2023 by Fred Sanders

Published by Crossway

a publishing ministry of Good News Publishers

Wheaton, Illinois 60187, U.S.A.

This edition published by arrangement

with Crossway.

All rights reserved.

الناشر في العربيَّة

Equipping Pastors International

EPI

توزيع

هيئة الخدمة الروحيَّة

طباعة

سان مارك – ت: ٢٣٣٧٤١٢٨

كَيْـف لَنَـا أن نُفكِّـر فِـي شَـخْصٍ هُـو لَيْـس مُجـرَّد «بِالْخـارج هُنَـاك» بـل أيْضًـا فِـي دَاخلِنـا ومعنَـا وَمِـن خِلالِنَـا؟ لَقـد شـرع فـرِد سـاندرز فِـي القيَـام بِمثْـل هـذَا التَّفْكيـر. والنَّتيجـة هِـي دِراسـة عـن الـرُّوح اَلقُـدُس تَأتِـي كَنسـمَة مِـن اَلْهَـواء اَلنقِـيِّ فيهـا تَكتَسِـب المصْطلحـات والصُّـور المأْلوفـة دلالاَت جَدِيـدَة وغيْـر مُتَوقَّعَـة.

سـيمون تشـان Simon Chan، أسـتاذ علـم اللاهـوت النظامـيِّ السـابق، Trinity Theological College، سـنغافورة؛ محـرِّر، *Asia Journal of Theology*

إنَّ كتَـاب **الـروح القُـدُس: مقدِّمـة** يَحمِـل كُلَّ السِّـمَات اَلتِـي نَتَوقَّـع أن نَسـتمْتِع بِهَـا فِـي كِتَـاب لفـرد سـاندرز: أُسُـس الثَّالـوث دُون تَشـوِيش؛ وَتقدِيـر اللاَّهـوتِ الصَّـارم دُون تَجاهُـل الخبْـرة المسْـتندة إِلـى الكتَـاب اَلمُقـدَّس؛ والْقـراءة مِـن الآبَـاء القدامـى اَلتِـي لاَ تَتَجـاوَز المؤلِّفيـن الأميركيِّيـن والْهولنْديِّيـن والْفرنْسـيِّين، وَحتَّـى الأسكتلنديِّيـن الأكْثـر حَداثَـة؛ والاسْـتعْداد لِتصْحِيـح الخطـأ دُون إِحـدَاث تَوجُّـهٍ قـاسٍ؛ والرَّغْبـة فِـي السَّـعْي إِلـى التَّقـارب حَيثُمـا أَمكَـن دُون المسَـاس بِالْقناعـات اَلمهِمَّـة؛ والاحْتـرام لِلاَّهوتيِّيـن العظمـاء دُون فِقْـدَان رُوح الدُّعابـة الجذَّابـة. إِنَّ هَـذِه مُقَدِّمَـة بِالْمعْنـى اَلجـذْرِيِّ لِلْكلِمـة. وَهنَـا نَنتَقِـل إِلـى الواقـع اَلحَـيِّ لـ «الإلـه مُثَلَّـث الأشْـخاص» اَلـذِي يَجعَـل نَفسَـه مَعرُوفًـا مِـن خِلاَل الـرُّوح اَلقُـدُس. لَديْنَـا كَنْـزٌ لاَهُوتـيٌّ هُنَـا، مُقْتَـرَن بِـشَكلٍ جميـل بِالْمتْعـة اللاَّهوتيَّـة! أَهنَـاك أَفضَـل مِـن هـذَا؟

سِـنكلير فيرغسـون Sinclair B. Ferguson، أسـتاذ مستشـار فـي اللاهـوت النظامـيِّ، Reformed Theological Seminary؛ زميـل

التدريـس، خدمـات ليجونيـر Ligonier Ministries

هُنَـاك اَلعدِيـد مِـن اَلكُتـب الجيِّـدة عـن الـرُّوح اَلقُـدُس، وَلكِـن فـرد سـاندرز أَضَـاف إِضافـةً مَأثُـورةً إِلـى الأدب بِنَهـجٍ جديـدٍ وَمُخلِـصٍ. فَهُـو يُقـدِّم لاَهُـوت الـرُّوح اَلقُـدُس كَجُـزءٍ مِـن لاَهُـوت الثَّالـوث، وَيُظهِـر كَيْـف أنَّ عَقِيـدَة الثَّالـوث تُـشكِّل وتنيـر فهْمنَـا لِلـرُّوح اَلقُـدُس. وَكَان النَّاتـج غنيًّـا لِلْغايـة ودقيقًـا ومُـذهِلاً، وَفِـي الوقْـتِ نَفسِـه واضحًـا لِلْغايـة وَفِـي مُتَنـاوَل اَلجمِيـع.

مـايكل ريفـز Michael Reeves، رئيـس وأسـتاذ اللاهـوت، Union School of Theology

إِنَّ كَنْـز فـرد سـاندرز اَلصَّغِيـر عـن الـرُّوح اَلقُـدُس غَنِـيٌّ لاَهوتيًّـا وَسَـيبعَث علـى اَلقُـوَّة الرُّوحيَّـة فِـي نِطَـاقٍ قصيـرٍ. سَـتجِد نَفسَـك تَسـتحْضِر، وتمجِّـد، وَتعـرِف الـرُّوح اَلقُـدُس المُبَـارك بِـشَكلٍ أَفضَـل لِصالـح رُوحـك.

ليـام جولايَـر Liam Goligher، القـسُّ الرئيـس، Tenth Presbyterian Church، فيلادلفيـا، بنسـلفانيا

بِطريقتـه الواضِحَـة والْمُبْدعـة والْمُقْنعـة المُعْتـادة، يَدعُونـا فـرد سـاندرز إِلـى التَّفْكيـر فِـي الـرُّوح اَلقُـدُس، أوَّلاً، بِاعْتبـاره الشَّـخْصَ الإِلَهـيَّ الثَّالوثـيَّ اَلـذِي نعْرفـه بِالْفِعْـل، وَثانِيًـا، بِاعْتبـاره مَوضُـوعَ الدِّراسـة اللاَّهوتيَّـة. يُعطِّي هـذَا الكتَـاب جميـع جَوانِبـه الأساسـيَّة، مـع عِـدَّة تأْكيـدات فَرِيـدَة: الاحْـتكام إِلـى النِّيوماتولوجيـا بِاعْتبارهَـا العقيـدة اَلتِـي تَربُـط جميـع العقائـد اَلأُخـرى؛ الاقْتـراح بِـأن نُوَاجِـه الـرُّوح كـ «الافْتـراض اَلمُسـبَّق» وعليْـه بِاعْتبـاره الشَّـخْصَ الكامـلَ؛

مَسْـأَلة البدائـل اَلتِـي اِبْتكرْناهَـا كبدائـل لِلـرُّوح؛ وسـبْع وعشْـرون «قَاعِـدة لِلتَّفْكيـر اَلسـلِيم بِشَـأن الـرُّوح اَلقُـدُس». عمـل مِـن أَعمَـال سـاندرز المعْتـادة، وبالتَّالـي، يَجِـب قِراءَتـه!

جريــج أليســون Gregg R. Allison، أســتاذ اللاهــوت المســيحيِّ، The Southern Baptist Theological Seminary؛ سـكرتير، Evangelical Theological Society؛ مؤلِّـف، *God, Gift, and Guide: Knowing the Holy Spirit*

إِنَّ فـرد سـاندرز هُـو عَالِـم لاَهُـوت مِـن الطِّـرَاز العالمـيِّ ومتخَصِّـص فِـي الثَّالـوث. فِـي هـذَا الكتَـاب، يُقـدِّم لَنَـا الـرُّوح اَلقُـدُس؛ عُضْـو اللاَّهـوتِ اَلـذِي يعْرفه المسيحيُّون بِالْفِعْـل ولكنَّهم غالبًـا مَـا يُهْملونـه أو يُسـيئون فَهْمـه. والْكتـاب مَكتُـوبٌ بِطريقـة سَـهلَة الفهْـم، غَنِـيٌّ بِالرُّؤْيـة التَّاريخيَّـة واللاَّهوتيَّـة، وَمُخلِـص بِلاَ تَـردُّد لِلْكتَـاب اَلمُقـدَّس والْعقيـدة الكلاسـيكيَّة القويمـة، إِنَّ كِتَـاب **الــروح القُــدُس: مُقدِّمــة** هُـو أَفضَـل كِتَـاب مِـن نَوعِـه. فَهُـو يُلخِّـص عُمْقًـا كبيـرًا مِـن التَّعَلُّـم فِـي نـصٍّ رَعـوِيٍّ وَاضِـحٍ وَودُودٍ. كمَـا أنَّ القواعـد السَّـبْع والْعشْـرين الموْجـودة فِـي اَلمُلحـق وحْدهَـا قـد تُـشكِّل كِتابًـا تمْهيديًّـا رائعًـا لِكلِّ مَسـيحِيٍّ.

جافيــن أورتلونــد Gavin Ortlund، مؤلِّـف، *Theological Retrieval for Evangelicals*

صدر بالعربيَّة من سلسلة

«دراسات قصيرة في اللاهوت النظاميِّ»:

- الثالوث؛ مُقدِّمة
- شخص المسيح؛ مُقدِّمة
- صفات الله؛ مُقدِّمة
- عقيدة الكتاب المُقدَّس؛ مُقدِّمة

إلى Biola University، مُمتنٌّ لَها كمكَانٍ للتَّدريسِ والتَّعلُّم

وكلِّيَّة Torrey Honors College، كمكَانٍ للتَّحدُّثِ والقرَاءةِ

وكـنِيسَة Grace Evangelical Free Church، كمكَانٍ للصَّلاَةِ والْخدمَـةِ

المحتويات

تقديم السلسلة ١٣
تقديم ١٧

١. مُقَابلَةُ الرُّوح اَلقُدُس ٢٩
٢. الرُّوح اَلقُدُس فِي الثَّالوثِ ٥٥
٣. الرُّوح اَلقُدُس واَلْآب ٩١
٤. الرُّوح اَلقُدُس والابْن ١٢٧
٥. الرُّوح اَلقُدُس نَفسه ١٦٧

قَواعِد التَّفْكير اَلسَّـلِيم بِشَأن الرُّوح اَلقُدُس ٢١٩
لمزيد من القراءة ٢٢٥

تقديم السلسلة

قَـالَ اَلمُفكِّـر اليونانـيُّ اَلقدِيـم هِيراقْليطـس إنَّ علـى اَلمُفكِّـر أن يَسـتَمِع إلى جَوهَر الأشْـياء. وتحْتَاج سِلْسـلة مِن الدِّراسـات اللاَّهوتيَّة اَلتِي تَتَنـاوَل الموْضوعـات التَّقْليديَّـة اَلتِي تُـشكِّل عِلْـم اللاَّهـوتِ النِّظامـيِّ إلـى القيَـام بِذَلـك عَينـه. وَعليْـهِ، فِـي هَـذِه الدِّراسـات، يَتَنـاوَل اللاَّهوتيُّـون جَوهَـر العقيـدة. تَهـدِف هَـذِه السِّلْسـلة إلـى تَقدِيـم دِراسَـات قَصِيـرَة فِـي عِلْـم اللاَّهـوتِ تَتَوافَـق مـع كُلٍّ مِـن التَّقْليـد المسـيحيِّ واللاَّهـوتِ المُعَاصـر مِن أَجْل تَجهِيز الكنيسـة لِأنْ تَفهَـم وَتحِـبَّ وتعلِّـم وتطبِّـق مَـا أَوحَى بِه اَللَّـه فِي الكتَـاب اَلمُقدَّس بشَـأنِ مَجمُوعـة مُتَنوِّعَـة مِـن الموْضوعَـات. ومَـا قـد يُفقَد فِي سـعْينَا إلـى المعالجـة الشَّـاملة لِلْمحْتـوى يُمْكِـن أن يُكتَسَـب عَبْـر مَـا يُسَـمِّيه جُـون كَالفِـن John Calvin «الْإيجَـاز الوَاضِـح Lucid brevity» علـى حـدِّ وَصفِـه فِـي رِسـالة الإهْـداء علـى تفْسـيرِه لِرسـالة رُوميـة.

بِالطَّبْـع، سَـتكُون الدِّراسـة الشَّـاملة لِأَيَّـة عَقِيدَة أَطـوَل لاَ أَقصَر،

إذ إنَّنا بِصَدد التَّفاعل مع أَلفَي عامٍ مِن إقْرارات الإيمان والْمُناقشة والْجدَال. نَتِيجَةً لِذلك، يَجِب أن تَكُون الدِّراسة القصيرة أَكثَر اِنْتقائيَّة وَلَكنَّهَا يَجِب أن تَنتَقِي بِبراعة. وحمْدًا لِلَّه، فَإنَّ المُسهِمين فِي هَذِه السِّلْسلة لَديهم اَلقُدرة على الإيجاز والدِّقَّة. الهدف الرَّئيسيُّ هُو أَلاَّ يَتحوَّل التَّبْسيط إلى إخْلاَل. والامْتحَان الحقيقيُّ هُو مَا إذَا كان مَوضُوع الدِّراسة القصيرة يَقتَضِي التَّخَلِّي عن بَعْض مَا تعلَّمته مَتَى أَرَدت الاسْتزادة مِن الدِّراسة المُتعمِّقة. إذ يُمْكِن التَّوَسُّع فِي مَا هُو بسيطٌ. لَكِنَّ الإخْلال يَحْتاج إلى تصْحيحٍ. بِصفتِنَا مُحرِّرين، نَعتَقِد أنَّ أَجزَاء هَذِه السِّلْسلة تَجْتاز ذَلِك الامْتحان.

وَبَينمَا يَختَلِف التَّرْكيز فِي كُلِّ جُزْءٍ، فإنَّ جميعَهَا (١) يُمثِّل مُقَدِّمَة لِلْعقيدة مَوضُوع اَلجُزْء، (٢) يَضعُها فِي سِياقها، (٣) يصيغهَا ويطوِّرهَا بِنَاءً على الكتَاب المُقدَّس، (٤) يَجمَع اَلخُيوط المتناثرة معًا، (٥) وَيأتِي بِهَا إلى حَيِّز التَّأْثير على الحيَاة المسيحيَّة. صلاتُنَا إذًا أنْ تُسَاعِد هَذِه السِّلْسلةُ الكنيسةَ على أن تَتَلذَّذ بِإلهِهَا الثَّالوث عن طريق التَّفْكير إثْرَ أفْكارِه -اَلتِي يُعْلنهَا بِجزيل نِعْمته فِي كَلمَتِه المكْتوبة، وَالتِي تَشهَد لِكلمَته الحيَّة، يَسُوع المسيح- مِن خِلاَل العملِ اَلقَوِيِّ اَلذِي لِروحه القدُّوس.

غراهام كول Graham A. Cole وأورِن مارتن Oren R. Martin

تَقْدِيم

مُطارَدٌ مِن الرُّوح اَلقُدُس

يَهـدُف هـذَا الكتَـاب إِلـى تَعرِيـف المسـيحيِّين إِلـى الـرُّوح اَلقُـدس، وَهُـو أَمْـرٌ يَرقَـى فِعْلـه إِلـى حـدِّ الوقَاحـةِ.

فَبحُكـم التَّعْريـف، يَجِـب علـى كُلِّ مَسـيحِيٍّ أن يَعـرِف الـرُّوح اَلقُـدُس، لَيْـس هُنَـاك مَـا هُـو أهـمُّ مِـن ذَلِـك، لِأَنَّـه «إِنْ كَانَ أَحَـدٌ لَيْـسَ لَـهُ رُوحُ الْمَسِيحِ، فَذلِـكَ لَيْـسَ لَـهُ» (رُومية ٨: ٩). لِـذَا، فَـإِنَّ نَشْـر كِتَـاب لِلْقـرَّاء المسـيحيِّين تَحْـت عُنْـوان «الـرُّوح اَلقُـدُس: مُقَدِّمَـة» هُـو أَمْـرٌ يُمثِّـل القيَـام بِمشْـروعٍ غريـبٍ: تَعرِيـف اَلقُـرَّاء بِشَـخصٍ يعْرفونـه بِالْفِعْـل. وَهـذَا هُـو بِالضَّبْـط مَـا يفْعلـه هـذَا الكتَـاب. فَهُـو يَفتَـرض أنَّ قُـرَّاءه مُنْخرطـون بِالْفِعْـل فِـي حَقِيقَـة الـرُّوح اَلقُـدُس ويدْعوهـم إِلـى لِقَـاءٍ لاَهُوتـيٍّ مـع ذَلِـك الشَّـخْص

الرُّوح اَلقُدُس فِي ثَلاَث نِقَاط

عَـادَةً عِنْدمَـا نَنمُـو فِـي معْرفتنَـا بِالنَّـاس، نَقُـول إِنَّـه بيْنمَـا كُنَّـا نعْرفهـم بِالْفِعْـل، فَإِنَّنَـا نعْرفهـم الآن بِـشَكلٍ أَفضَـل. وَلكِـن فِـي حَالَـة الـرُّوح اَلقُـدُس، يَحـدُث شَـيْءٌ أَكثَـر إِتْقانًـا وتَفارُقًـا. فالـرُّوح اَلقُـدُس هُـو أَكثَـر مِـن مُجـرَّد شـخصٍ آخـر سـنضيفه إلـى قائمـة معارفنـا. إذ يَعنِـي اللِّقَـاء بِـه أن نَنحَصِـر فِـي مَعرِفـةٍ تتملَّكنَـا تمامًـا وتحرِّرنَـا، وتوسِّـع آفاقَنَـا اللاَّهوتيَّـة بيْنمَـا تُعيـد تَجمِيـع قُوَانَـا العقْليَّـة، وتحْتجزنَـا فِـي قُوَّتـه وتثبِّتنَـا فِـي حَقِّـه.

لاَ يُمْكِنـك أن تَقتَـرِب مِنْـه وَتقُـول «مرحبًـا» بِبسـاطة. إِنَّ لِقَـاء الـرُّوح اَلقُـدُس، اَلـذِي بِـهِ نَحْيَـا وَنَتَحَـرَّكُ وَنُوجَـدُ، يَتَطلَّـب مُقَارَبَـةً خَاصَّـةً، لِأَنَّ مَعرِفـة الـرُّوح هِـي مَعرِفـة خَاصَّـة.

سَـوْف نَتَنـاوَل عَقِيـدَة الـرُّوح اَلقُـدُس بِـشَكلٍ غَيْـر مُبَاشِـرٍ نظـرًا إِلـى هُويتَـه وَكيفِيَّـة تَصرُّفِـه. يُشـير الـرُّوح اَلقُـدُس إِلـى ثَلاثَـة اِتِّجاهـات مُختلفَـة: يُشـير إِلـى الابْـن، ويشـير إِلَيْنَـا مَـرَّة أُخـرَى، ويشـير إِلـى اَلحَـقِّ كُلِّـه.

١. يُشـير الـرُّوح اَلقُـدُس إِلـى الابْـن. إِنَّـه يَعمَـل كحـارِف لِلرُّؤْيـة، مُحَـوِّلاً أَنْظارنَا بعيـدًا. هُنَـاك شَـيْء مُـرَاوِغ فِـي هـذَا الأَمْـر، لِأَنَّـه حَتَّـى عِنْدمَـا يَفتَـح الـرُّوح اَلقُـدُس أَعيُننـا لِنَـرى ونفْهـم عَملَـه، فَـإِنَّ مَـا يُوجِّـه اِنْتباهنَـا إِلَيـه فِـي المقَـام الأَوَّل لَيْـس هُـو نَفسُـه بـل يَسُـوع اَلمسِيح. فَكِّـر فِـي الخطـوات اَلتِـي تَتَقـدَّم بِهَـا معْرفتنَـا بِالـرُّوح. إِنَّنـا نَبـدَأ بِيسـوع. عِنْدمَـا نَفهَـم يَسُـوع اَلمسِـيح بِـشَكلٍ أَكمَـل، فَإِنَّنَـا نَتَعـرَّف عليْـه لَيْـس بِطريقـة مَعزُولـة، بـل كَمُرسَـل

مِـن اَللَّـه اَلآب. لاَ يُمْكِنـك مَعرِفـة أَحَدهمَـا دُون الآخـر. عِنْدمَـا يَكُـون يَسُـوع فِـي المقدِّمـة، يَكُـون اَللَّـه اَلآب، إِذَا جـاز التَّعْبيـر، فِـي الخلْفيَّـة بِاعْتبـاره الشَّـخْص اَلـذِي أحـبَّ العالـم لِدرجـة أَنَّـه بـذل اِبْنـه اَلوحِيـد. وبعْـد ذَلِـك، عِنْدمَـا نُصْبِـح أَكثَـر وعْيًـا بِهَـذه العلاقـة بَيْـن اَلآب والابْـن، نُـدْرِك أخيـرًا أنَّ وعْينَـا بِهَـا يَأتِـي مِـن الـرُّوح اَلقُـدُس. لِذَلـك، عِنْدمَـا يُتمِّـم الـرُّوح اَلقُـدُس، اَلـرَّبُّ اَلمعْطِـي حَيَـاة لِلْجمِيـع، عَملَـه بِفعَّاليَّـة فِـي قُلوبِنَـا وَفِـي أذْهانِنَـا، فَإِنَّـه يَكشِـف حَقِيقَـة أَنَّـه كان يَعمَـل فِينَـا بِالْفِعْـل حِيـن كان يُوجِّـه اِنْتباهنَـا بِنجـاح إِلـى يَسُـوع.

فالـرُّوح مَاهِـر فِـي صَـرْف الانْتبـاه بعيـدًا عـن نَفسِـه وتوجيهـه نحْـو الابْـن. وَهُـو يميـل إِلـى صَـرْف الانْتبـاه بِـشَكلٍ أَفضَـل فِـي اللَّحْظـة اَلتِـي يَكُـون فِيهَـا حاضـرًا بِقـوَّة فِينَـا! كمَا أَشَـار المسيحيُّون الخمْسينيُّون والْكاريزْماتيُّـون فِـي كثيـرٍ مِـن الأحْيـان، فَإِنَّ الأشْـخاص الَّذيـن يتحدَّثـون أَكثَـر عـن الـرُّوح اَلقُـدُس لَيسُـوا بِالضَّـرورة هُـم الأشْـخاص الأكْثـر تأثُّـرًا بِالـرُّوح اَلقُـدُس.

بـل علـى العكْـس مِـن ذَلِـك، فَـإِنَّ الأشْـخاص الأكْثـر تأثُّـرًا بِالـرُّوح اَلقُـدُس هُـم عَـادَةً الأشْـخاص الَّذيـن لَديهِـم اَلكثِيـر لِيقولوه عـن يَسُـوع اَلمسِيح. وَذلِـك لِأنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس قَـوِيٌّ وَفَعَّـال فِـي تَحوِيـل اِنْتباهنَـا إِلـى الابْـن بـدلاً مِـن جَذبِـه إِلَيـه.

٢. يُشـير الـرُّوح اَلقُـدُس إِلـى معْرفتنَـا الرُّوحيَّـة. فَهُـو يَعمَـل كَعاكِـسٍ لِلرُّؤْيَـة، مُعيـدًا نَظرنـا نَحْـو نَفسِـه. فِـي حِيـن أنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس يَعمَـل دائمًـا فِـي كُلِّ مَكَان، فَـإِنَّ خِدْمتـه الخاصَّـة تَتَضمَّـن فَتْـح أَعيُننـا الرُّوحيَّـة على حَقِيقَـة أَنَّـه يَعمَـل بِالْفِعْـل فِـي كُلِّ مَكَانٍ.

يمْنحنَا اَللَّه عَطيَّة الخلاَص، وَالتِي تَشمَل الرُّوح اَلقُدُس. وَلَكنَّه يمْنحنَا أيْضًا الرُّوح اَلقُدُس نَفسَه لِيفْتح أَعيُننا على اَلعطِيَّة نفْسهَا: «وَنَحْنُ لَمْ نَأْخُذْ رُوحَ الْعَالَمِ، بَلِ الرُّوحَ الَّذِي مِنَ اللهِ، لِنَعْرِفَ الأَشْيَاءَ الْمَوْهُوبَةَ لَنَا مِنَ اللهِ» (كُورِنْثُوس الأُولَى ٢: ١٢).

أيْ إنَّ الرُّوح اَلذِي بِداخلنَا هُو نَوْعٌ مِن قُوَّة الاسْتقْبَال المُعْطَاة مِن اَللَّه وَالتِي مِن خِلالِهَا نَفهَم مَا أَعطَاه اَللَّه بِالْفِعْل. إنَّ عمل الرُّوح هذَا هُو اِنْعكاسيٌّ فِي طبيعَته، لِأنَّ التَّفْكير فِي الرُّوح يُعيد أَعيُننا لِتنْظر إلى فِعْل الرُّؤْية نَفسِه، إِذَا جاز التَّعْبير.

هُنَاك شَيْء فَاتِح لِلْأعْين بِشَكلٍ أصيلٍ فِي كُلِّ عملٍ مِن أَعمَال الرُّوح اَلقُدُس. فَكِّر مثلاً فِي إعلاَن الثَّالوث. إِذَا كان اَلآبُ هُو المتكلِّم والابْن هُو كلمته، فَإِنَّ الرُّوح اَلقُدُس هُو اَلذِي يَتَسبَّب شخْصيًّا فِي فهْمنَا لِتلْك اَلكلِمة. لِذَا، فَإِنَّ البدْء بِالتَّفْكير فِي الرُّوح يَعنِي البدْء بِالتَّفْكير فِي التَّفْكير، أو فِي الشَّخْص اَلذِي كُنْت تُفكِّر فِيه بِالْفِعْل، أو مُقَابلَة شَخْص تَعرفه بِالْفِعْل. وَكمَا قال هِرْمَان وِيتْسيوس Hermann Witsius (١٦٣٦–١٧٠٨) عن الرُّوح: «لاَ يُمْكِن رُؤيَتُه إلاَّ فِي نُوره؛ ولاَ يُمْكِن معْرفَته أو الاعْتراف بِه إلاَّ مِن خِلاَل وَساطَة لُطْفِه ونعْمَته».[1] إنَّ مَعرِفة الرُّوح هِي مَعرِفة رُوحيَّة، والطَّريق اَلوحِيد إِلَيْهَا هُو مِن خِلاَل الرُّوح.

بِالطَّبْع، هُنَاك مَا هُو أَكثَر فِي عمل الرُّوح اَلقُدُس مِن

1 Hermann Witsius ,*Sacred Dissertations on the Apostles' Creed* ;1823) repr., Grand Rapids, MI: Reformation Heritage, 2010 .2:303 ,(app://./OEBPS/text00010.html footnote_ref_f9bc61cd

مُجـرَّد إِنـارة أذْهانَنـا؛ فَهُـو يَنتِـج الحيَـاة ويمْنـح اَلقُـوَّة، وَيقُـوم (كمَـا سَـنرَى فِـي الفصْـل الخامـس) بِقائِمـة كَامِلـة مِـن الأشْـياء اَلأُخـرى اَلتِـي لَيسَـت مَعرِفِيَّـة أو عَقلِيَّـة مُجَـرَّدَة. إِنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس لَيْـس فِـي عَقلِـك فقـط! بـل يَجلِـب معـه واقعًـا أَكثَـر مِـن مُجـرَّد أَفكَار وآراء. لَكِـنَّ عَملَـه اَلمنِيـر اَلعظِيـم فِـي العقْـل المسـيحيِّ هُـو مَـا يَمنَـح دِراسـة الـرُّوح اَلقُـدُس طَابَـع المفارقـة اَلتِـي فِيهَـا. إِنَّ التَّفْكيـر فِـي الـرُّوح اَلقُـدُس يُشْـبِه الإيمـان اَلـذِي يَنظُـر إِلـى مُقلَـة عَينِـه نفْسـهَا. والْحديـث عـن الـرُّوح اَلقُـدُس يُشْـبِه الإيمـان اَلـذِي يَقُـول لِمـاذَا يَقُـول مَـا يقولـه بيْنمَـا لاَ يَـزَال يقولـه. عِنْدمَـا تُحَـاوِل التَّرْكيـز على لاَهُـوت الـرُّوح اَلقُـدُس (النِّيوماتولوجـي Pneumatology)، تُـدْرِك أنَّ هُنَـاك معْنيَيـن على الأقـلِّ لِكلمـة رُؤيَـة فِـي التَّرْنيمـة الأيرلنديَّـة القديمـة «كُـنْ أَنْـتَ رُؤْيَتـي Be Thou My Vision». عِنْدمَـا ترنِّمُهـا، فَإِنَّـك تَطلُـب، مـع قِدِّيسـي كُلِّ اَلعُصـور، أن يَكُـون اَللَّـه هُـو الشَّـيْء اَلـذِي تركِّـز عليْـه عَينُـك الذِّهْنيَّـة (مَـا تَـرَاه؛ الرُّؤْيـة اَلتِـي أمامـك)، وأيْضًـا أن يَكُـون هُـو اَلقُـوَّة اَلتِـي بِهَـا يُمْكِـن لِعَيـن ذِهْنـك التَّرْكيـز على مِثْـل هـذَا الشَّـيْء (كَيْـف تَـرَاه؛ رُؤْيتـك لَـه). أَنْـت تَطلُـب مِـن اَللَّـه أن يَكُـون فِـي الوقْـتِ نَفْسـه المشْـهد اَلـذِي تَـرَاه والرُّؤْيـة اَلتِـي تـرى بِهَـا. «لأَنَّ عِنْـدَكَ يَنْبُـوعَ الْحَيَـاةِ. بِنُـورِكَ نَـرَى نُـورًا» (المزامير ٣٦: ٩).

٣. الـرُّوح اَلقُـدُس يُشـير إِلـى كُلِّ اَلحَـقِّ. إِنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس يَعمَـل كَرابِـطٍ. إِنَّ هذيْـنِ السَّـببيْنِ السَّـابقين بيْنمَـا يشْـرحَان المفارقة اَلقوِيَّـة فِـي إِعطَـاء اِهتِمـامٍ مُسْـتَمِرٍّ لِلـرُّوح اَلقُـدُس، يُشـيرَان أيْضًـا إِلـى السَّـبب الثَّالـث بِالْفِعْـل: يَربُـط الـرُّوح بِـشَكلٍ فريـدٍ كُلَّ

الحقائـق بعْضهَـا بِبَعـضٍ. عِنْدمَـا يُنيـر الـرُّوح اَلقُـدُس العقْـلَ، فَـإِنَّ عَملَـه لاَ يَقتَصِـر علـى جَلْـب بَعْـض الأفْكار الجديـدة (علـى الرَّغْـم مِـن أَنَّـه يَسـتطِيع القيَـام بِذَلـك وَهُـو يَفعَـل ذَلِـك)، بـل هُـو يربـط جميـع الأفْكار الحقيقيَّـة عـن اَللَّـه والْـخلاص بِطريقـة ذات مَعْنًـى. إِذ يَربُـط الـرُّوح اَلقُـدُس بِـشَكلٍ فريـدٍ كُلَّ عَقِيـدَةٍ مَسـيحِيَّةٍ بِكلِّ عَقِيـدَةٍ مَسـيحِيَّةٍ أُخـرَى، وَينسِـج معًـا اَلحَـقَّ الرُّوحـيَّ لِإيمانَنـا بِطريقـة مُتكاملـة. لِكـيْ تُفكِّـر تحْديـدًا فِـي الـرُّوح اَلقُـدُس، عليْـك أن تَصِـل إِلـى قَلْـب الحيَـاة المسـيحيَّة والْعقيـدة المسـيحيَّة وتسْـتخْرج شـيْئًا مَـا.

يَرتَبِـط هـذَا الشَّـيْء بِكلِّ شَـيْء آخـر، وَهُـو شَـيْء يَحظَـى بِفعَّاليَّـة لاَهوتيَّـة متـى كان أيُّ شَـيْءٍ آخـر فعَّـالاً علـى الإطْلاق مِـن النَّاحيـة اللاَّهوتيَّـة. وعنْدَمَـا تسْـحبه إِلـى الضَّـوْء وتبْـدأ فِـي تحْليلـه قائمًـا بِذاتـه، فَإِنَّـه يَبـدُو مَعـزُولاً ومُنْفصلاً علـى نَحْـوٍ غَيْـر اِعْتيـاديٍّ. وَذلِـك لِأَنَّـه فـي أَثنَـاء سَـحبِه وتحْليلـه، تَكُـون قـد عزلتَـه وفصلتَـه بيْنمَـا هُـو الشَّـيْء الأكْثـر اِتِّصـالاً فِـي الواقـع. إِذَا كُنَّـا نُطْلِـق علـى هـذَا السَّـبب الثَّالـث الجانـبَ الرَّابـطَ لِعَمـل الـرُّوح، فَذلِـك بِسَـبب مـدى تَشـعُّب مَعرِفـة الـرُّوح فِـي كُلِّ فُـرُوع المعْرفـة اللاَّهوتيَّـة. مِـن المفارقـة أن نُركِّـز اِهْتمامنَـا علـى عمـل الـرُّوح بِـشَكلٍ خـاصٍّ، وبِـشكْلٍ مُنْعَـزِلٍ، لِأنَّ عمـل الـرُّوح مُتَّصِـل، ومتمِّـم، وَشـمُوليٌّ، وبنائـيٌّ بِـشَكلٍ مُميَّـز.

حَتَّـى عِنْدمَـا نُركِّـز بِـشَكلٍ مُبَاشِـرٍ علـى الـرُّوح اَلقُـدُس كموْضـوعٍ أو مُحتَـوى دِراسـتنَا، فَهُـو دائمًـا يَفُـوق هـذَا. فَهُـو قُوَّتهَـا الدَّافعـة، وسـياقهَا، ومفْترضاتهَـا المُسـبَّقة، ومحدِّدهَـا، وَشَكلهَـا الدَّلالـيُّ،

وقوَّتهَـا الدَّاخليَّـة، ومناخهَـا، وعنْصرهَـا، ولغتهَـا، واتِّجاههَـا، وحاكمهَا، ووسيطهَا، وحاملهَا. إنَّه كُلُّ هـذَا بِالنِّسْبة إلَى أيِّ عَقِيدَةٍ نَدرُسها: الصِّفَـات الإلهيَّـة، اَلخَلـق، العنايـة الإلهيَّـة، الـخلاَص، الكنيسـة، والْبقيَّة. فِـي دِراسـة أيٍّ مِـن هَـذِه اَلأُمـور، عِنْدمَـا نُركِّـز اِهْتمامنَـا علـى مَوضُـوعٍ لاَهُوتـيٍّ مُحـدَّد، فَإنَّـه فقـط فِـي الـرُّوح اَلقُـدُس وبواسطته نَصِـل إِلى الفهْم الحقيقـيِّ لِكلِّ مَوضُـوعٍ رُوحيٍّ. وَمِـن ثـمَّ عِنْدمَـا يحيـن وَقْـت دِراسـة عَقِيـدَة الـرُّوح اَلقُـدُس، فَإنَّنَـا نَعمَـل علـى شَـيْء خـاصٍّ، لِأَنَّـه فِـي هَـذِه العقيـدة، يَعمَـل شَـخْصٌ مُميَّـزٌ بِداخلنَـا بِـشَكلٍ فريـدٍ مِـن أَجْـل مَعرِفـة نَفسِـه. إنَّ هُنَـاك مَـن يَعمَـل بِداخلنَـا ونحْـن نُفكِّـر ونكْتـب ونقْـرأ عَنْـه. فَهُـو مُعلِّـم الـدَّرْس اَلـذِي هُـو نَفسُـه مُحتـوَاه.

فَكِّـرْ فِـي الأَمْـر هَكـذَا. طبيـب اَلرئَـة، حِيـن يَكتُـب عـن عمـل الجهَـاز التَّنفُّسـيِّ، فَمِـن الواضـح أَنَّـه لاَ يَحْتـاج إِلى فَصْـل وَتشـرِيح الرِّئتيْـنِ الفعْليَّتيْـنِ. لَيسَـت هُنَـاك حَاجَـة لِتمْزيقهـم مِـن الصَّـدْر! لَكِـنَّ الطِّـبَّ الرِّئَـويَّ هُـو تَشـبِيهٌ مُنَاسِـبٌ لِلْغايـة لِعلْـم الـرُّوح اَلقُـدُس. لِلتَّفْكيـر بِدقَّـة وَتمعُّـن فِـي الأَمْـر.

تَتَطلَّـب الرِّئتـان، كأَعْضَـاء عَامِلـة فِـي صَـدرِك، التَّفْكيـر فِـي الجهَـاز التَّنفُّسـيِّ بِأَكْمَلـه. التَّخصُّصـات الفرْعيَّـة لِطـبِّ اَلرئَـة تَشُـقُّ طريقَهَـا لِلْخـروج مِـن الرِّئتيْـنِ لِلنَّظـر فِـي الـدَّوْرة الدَّمويَّـة بِحَيـث تَتَأثَّـر جَـودَة اَلـدَّم وحركَتـه مِـن القلْـب بِـشَكلٍ مُبَاشِـرٍ. ولاَ يَقتَصِـر الأَمْـرُ على تَحلِيـل أَنظِمـة الجسْـم وسـلوكيَّاته اَلأُخـرى فحسْـب، بل أَيْضًـا نَوعِيَّـة البيئـة المحيطـة بِالْجِسْـم، وأَبْرزهَـا اَلْهَـواء اَلمحِيـط اَلـذِي يَشُـقُّ طَرِيقَـه إِلـى جِهَـاز التَّنَفُّـس. هـذَا هُـو نَـوْع العقيـدة

بِشَأن الرُّوح اَلقُدُس؛ فَهِي تَنطَوِي على رِئَتَي اللاَّهوتِ، وبالتَّالي أَيْضًا قَلْب اللاَّهوتِ وَدمِه وأنْفاسه. وَهنَا، فِي هَذِه العقيدة بِالتَّحْديد، يَجِب علَيْنَا أن نُدْرِك البيئة الإلهيَّة اَلتِي يَجرِي فِيها اللاَّهوتُ الحقيقيُّ كُلُّه.

مِن اَلمغْرِي أن نَقُول إِنَّ هذَا الجانب اَلمُتَّصل بِعقيدة الرُّوح اَلقُدُس يجْعلهَا مجالاً صعْبًا بِشَكلٍ خاصٍّ فِي عِلْم اللاَّهوتِ. رُبَّمَا هِي كَذلِك. وَلكِن مِن اَلصحِيح أيْضًا أنَّ عِلْم لاَهُوت الرُّوح اَلقُدُس (النِّيوماتولوجيا Pneumatology) هُو اَلموْقِع العقائديُّ اَلذِي فِيه نُدعَى إِلى التَّعَرُّف على الطَّابع الرُّوحيِّ لِجميع العقائد، واللاَّهوتُ نَفسه. وَهنَا بِشَكلٍ خاصٍّ، تَتَمثَّل دَعوَة لَنَا أن نرى أنَّ دِراسة اللاَّهوتِ هِي مُهمَّة مُقَدَّسَة. أَعلَن اللاَّهوتيُّ الميثودسْتيُّ اَلعظِيم ويلْيَام بِيرت بُوب William Burt Pope (١٨٢٢-١٩٠٣) عن اللاَّهوتِ أَنَّ «كُلَّ فَرْعٍ مِن فُرُوع هذَا العلم مُقدَّس. كأَنَّمَا هُو هَيكَل مَملُوٌّ بِحضور اَللَّه. مِن مَقدسه اَلمخْفِيِّ، حَيْث لاَ يَستطِيع رئِيس كَهنَة مِن بَيْن النَّاس أن يَدخُل، يَخرُج نُورٌ لاَ يَترُك أيَّ جَانِبٍ مُظْلِمٍ إِلاَّ مَا كان مُظْلِمًا مِن كَثرَة المجْد. وَلذَلِك فَإِنَّ جميع الطُّلاَّب الأكْفاء هُم عابدون بِمقْدَارِ مَا هُم طُلاَّب».[٢] يَجِب أن يَتِمَّ كُلُّ اللاَّهوتِ بِالرُّوح؛ ومَا يُوقظنَا على هذَا هُو إِدرَاك أنَّ لاَهُوت الرُّوح اَلقُدس يَجِب أن يَتِمَّ فِي الرُّوح.[٣] إِنَّ اللاَّهوتَ نَفسَه مَسكُون بِالرُّوح اَلقُدُس.

2 William Burt Pope ,*A Compendium of Christian Theology*) London: Wesleyan Conference Office, 1879 .1:5 ,(app://./OEBPS/text00010.html footnote_ref_d7482b0b

٣ لاَحَظ أَندرو مُوراي، فِي بِداية كِتابه عن الرُّوح، أنَّ الفهْم الحقيقيَّ لِحضور الرُّوح اَلقُدُس «مِن شَأنِه أن يحوِّل لاَهوتَنَا كُلَّه إِلى مَعرِفة اَللَّه اَلتِي هِي الحيَاة الأبديَّة».
See his *Spirit of Christ* :*Thoughts on the Indwelling of the Holy Spirit in the Believer and*

كَيْف نَلتَقِي بِالرُّوح اَلقُدُس

هـذَا الكتَـاب هُـو مَدخَـل إِلـى الـرُّوح اَلقُـدُس لِلْأَشْـخاص الَّذيـن يعْرفـون الـرُّوح اَلقُـدُس بِالْفِعْـل. هَدفُنـا هُـو جَعْـل العقيـدة المتعلِّقـة بِالـرُّوح اَلقُـدُس أَكثَـر وُضوحًـا، وَلكِـن إِحْـدى الطُّـرق اَلتِـي سـيفْعل بِهَـا هـذَا الكتَـاب ذَلِـك هِـي أن يُظْهِـر لِلْقـرَّاء مـدى معْرفتهـم الفعْليَّـة عـن الـرُّوح اَلقُـدُس. الهـدف، مِـن النَّاحيـة التَّعْليميَّـة، لَيْـس كِتابـة عَقِيـدَة الـرُّوح اَلقُـدُس على صَفحَـة بَيْضـاء لِعقـول غَيْـر مُؤْمِنـة، بـل اِسْـتحْضار واسْـتخْلاص حـقِّ الـرُّوح لَـدى المؤْمنيـن. وَمِـن أَجْـل تَحقِيـق ذَلِـك، يَتَّخِـذ الكتَـاب طريقًـا غَيْـر مُبَاشِـرٍ: فَهُـو يضـع عَقِيـدَة الـرُّوح ضِمْـن عَقِيـدَة الثَّالـوث.

تَتَّخِـذ اَلكُتـب اَلأُخـرى عـن الـرُّوح اَلقُـدُس نهْجًـا مُباشِـرًا أَكثَـر، وَأَنَـا أوصِـي بِهَـذه اَلكُتـب بِشـدَّة أيْضًـا (رَاجِـع قِسْـم «مزيـد مـن القـراءة»). إِنَّنـي أُوصـي بِـشَكلٍ خـاصٍّ بِاتِّبَـاع نهْجيْـنِ كِلاسـيكيَّين فِـي النِّيوماتولوجيـا يُنظِّمَـان المـادَّة بِطـرق مُختلفَـة، أَحَدهمَـا وفْقًـا لِلاَّهـوتِ الكتابـيِّ والْآخـر وفْقًـا لِلْخبْـرة المسـيحيَّة. بِالنِّسْـبة إِلـى منْهـج اللاَّهـوتِ الكتابـيِّ، يُعتبَـر كِتَـاب سَـنكلِير فِرغسـون Sinclair Ferguson «الـرُّوح اَلقُـدُس *The Holy Spirit*» مِثالِيًّـا.[٤] بـدءًا مِـن «الـرُّوح اَلقُـدُس وَقصَّتِـه»، يَنتَقِـل الكتَـاب عَبْـر الخليقـة والتَّجسُّـد ويـوْم الخمْسـين إِلـى عمـل الـرُّوح فِـي الـخلاَص والْكنيسـة والْإِسـخاتولوجيا (لاَهُـوت آخـر الزَّمَـان). النَّهْـج اَلبدِيـل، اَلـذِي

the Church) London :James Nisbet, 1888), 10.

4 Sinclair B. Ferguson ,*The Holy Spirit* , Contours of Christian Theology (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 1996) .app://./OEBPS/text00010.html footnote_ ref_26455f8e

يَنطَلِق مِن الاخْتبار المسيحيِّ، هُو كِتَاب جِيمْس بُوكانان James Buchanan (١٨٠٤-١٨٧٠) وَظِيفَة الرُّوح اَلقُدس وَعَمَلُه *The Office and Work of the Holy Spirit*،[٥] اَلذِي يَتَناوَل عمل الرُّوح «فِي هِداية اَلخُطاة» ثُمَّ يَتَتبَّع «عمل الرُّوح فِي بُنْيان شَعبِه بَعْد اِهْتدائه». كِلاَ الأسْلوبيْنِ مُنْتشران على نِطَاق وَاسِع فِي أَدبِيَّات النِّيوماتولوجيا لِأَنَّهمَا طريقتان مُمْتازتان لِترْتِيب الموْضوع. وكلاهمَا يَمْتاز بِالْكلاسيكيَّة على نَحوِه اَلْخاصِّ.

لَكِن كمَا ذَكرت أَعلاَه، فَإِنَّ نَهجِي فِي هذَا الكتَاب غَيْر مُبَاشِر، وَلِهذَا السَّبب بَدأَتُ بِإِلْقَاء الضَّوْء على الطَّابع اَلذِي يَمْتاز بِالْمفارقة فِي دِراسة الرُّوح اَلقُدُس. إِنَّني آمل أن أَتَعامَل مع هذَا الطَّابع المتفارق لَيْس كَعائِق جديد بِالشَّكْوى، بل كمساعدة يُحتَفَى بِهَا. إِذَا كَانَت مَعرِفة الرُّوح اَلقُدس، بِالطُّرق الموْصوفة أَعلاَه، حَارِفة وَعاكِسة وَرابِطة، فَإِنَّ المدْخل إِلى الرُّوح اَلقُدس قد يُوفِّر قدْرًا كبيرًا مِن التَّبَصُّر مِن خِلاَل تَرتِيب نَفسِه بِطريقة مُقَابلَة. فَكِّر فِي الآثَار المترتِّبة على كَوْن عمل الرُّوح حارْفًا وَعاكِسًا وَرابِطًا. عَملُه **كحارف** يَعنِي أَنَّك عِنْدمَا تُحَاوِل التَّفْكير فِي الرُّوح، تَجِد الرُّوح نَفسَه يُغيِّر الموْضوع نَحْو اَلآب والابْن. وعمله **كَعاكِس** يَعنِي أَنَّه عِنْدمَا تُحَاوِل التَّفْكير فِي الرُّوح، تَجِد الرُّوح نَفسَه يَطلُب مِنْك أن تُفكِّر فِي نَفسِك وَفِي تفْكيرك نَفسه. وعمله **كَرابِط** يَعنِي أَنَّه عِنْدمَا تُحَاوِل التَّفْكير فِي الرُّوح، فَإِنَّ الرُّوح نَفسَه يجْذبك إِلى النِّطَاق الكامل لِكلِّ عِلْم اللاَّهوتِ. لَكِنَّ هَذِه الأشْياء كُلَّهَا مُفيدَة! إِنَّ دِراسة الرُّوح

5 James Buchanan ,*The Office and Work of the Holy Spirit*) Edinburgh: John Johnstone, 1842 .(app://./OEBPS/text00010.html footnote_ref_ce767878

اَلقُـدُس وفْقًـا لِطريقـة عَمِلـه المميَّـزة تَعنِـي الانْخـراط شـخْصيًّا فِـي لِقَـاءٍ ثَالُوثـيٍّ كَامِـلٍ مـع حـقِّ اَللَّـه.

سَـوْف نَتَعامَـل مـع الطَّابـع الحـارف للنيوماتولوجيـا لَيْـس مِـن خِلاَل مُقَاومَـة قُـوَّة الـرُّوح اَلقُـدس الحارفـة وَلكِـن مِـن خِلاَل طَاعتِهـا وَتركِيـز اِنْتباهنَـا علـى يَسُـوع اَلمسِـيح وَاَللَّـه اَلآب، كمَـا يُوَجِّهنَـا الـرُّوح اَلقُـدس نَفسُـه. وسـوْف نَتَعامَـل مـع الطَّبيعـة العاكسـة لَلنيوماتولوجيـا مِـن خِلاَل النَّظـر بِعنايـة فِـي كَيفِيَّـة إِعلاَن الـرُّوح عـن نَفسِـه لَنَـا فِـي تَارِيـخ الإِعْلان وكيْـف يُظْهَـر الآن. وسـوْف نُحقِّـق أَقصَـى اِسْـتفادة مِـن الجانـب الرَّابـط للنيوماتولوجيـا مِـن خِلاَل وَضْـع النِّيوماتولوجيـا بِـشَكلٍ مُتَعمَّـدٍ فِـي سِيَاق العقائـد المسـيحيَّة الأكْثـر شُـمولاً، وَهِـي عَقِيـدَة الثَّالـوث.

قـد تَبـدُو خُطَّـة النَّهْـج المتَّبعـة فِـي هـذَا الكتَـاب مَقلُوبـة لِبَعـض اَلقُـرَّاء. فبـدلاً مِـن بِنَـاء النِّيوماتولوجيـا قِطْعَـة قِطْعَـة، مَبـدَأ علـى مَبـدَأ، فَإِنَّـه يَبـدَأ بِالصُّـورة الكبيـرة وبعْـد ذَلِـك فقـط يَعُـود إِلـى الـورَاء لِإِظْهَـار الـمكَان المناسـب لِبَعـض الأَجْـزاء. هـذَا الانْـقلاب الواضـح، اَلـذِي هُـو فِـي الواقـع يَنطَلِـق بِالْفِكْـر مِـن اَلكُلِّ إِلـى الأَجْـزاء، هُـو نَتِيجَـة لِكَـون هـذَا الكتَـاب دِراسـة قَصِيـرَة فِـي عِلْـم اللاَّهـوتِ النِّظامـيِّ وليْـس فِـي اللاَّهـوتِ الكتابـيِّ. إِنَّ الإِسْـهَام الخـاصَّ لِعلْـم اللاَّهـوتِ النِّظامـيِّ فِـي العقْـل المسيحيِّ هِـو علـى وَجْـه التَّحْديـد اَلقُـدرة علـى التَّعامـل مـع عَقائِـد الإِيمـان الكبيـرة والْمتكاملـة بِهَـذه الطَّريقـة. لَكِـن حَتَّـى مِـن بَيْـن الإِمْكانيَّـات العديـدة فِـي عِلْـم اللاَّهـوتِ النِّظامـيِّ، يُمْكِـن لِلْمـرْء أن يَتبَـع نهْجًـا اِسْـتقْرائيًّا أَكثَـر، حَيْـث يَتَـدرَّب علـى البيانـات الأساسـيَّة ثُـمَّ

يجمِّعهَـا فِـي الهيـاكل الأكْبـر. مَـا أُريـد قَولـه هُـو إنَّ مِثْـل هَـذِه اَلكُتـب مَوجُـودة، وأشـجِّعكم علـى قِراءتهَـا. وَلكِـن يَبـدُو لِـي أنَّ اَلكثِيـر مِـن المسـيحيِّين قـد سَـمعُوا بِالْفِعْـل عَقِيـدَة الـرُّوح مُجَمَّعَـة بِهَـذه الطَّرِيقـة. هَدفُنـا هُنَـا لَيْـس اِسْـتبْدال هـذَا التَّعْليـم السَّـابق (علـى الرَّغْـم مِـن أَنَّـه قـد يَكُـون قـد نُسِـيَ بِدرجـة كَبِيـرَة) أو البـدْء مِـن جديـد مِـن الصِّفْـر، وَلكِـن وَضْـع الهيـاكل الشَّـاملة لِلْحـقِّ اَلتِـي يُمْكِنـك مِـن خِلالِهَـا تَنظِيـم جميـع المعْلومـات عـن الـرُّوح اَلتِـي رُبَّمَـا تَكُـون لَديْـك بِالْفِعْـل فِـي عَقلِـك.

هَـذِه هِـي الإسْـتراتيجيَّة اَلتِـي يُقـدِّم بِهَـا هـذَا الكتَـاب الـرُّوح اَلقُـدُس لِلْقـرَّاء الَّذيـن اِلتقَـوْا بِالـرُّوح بِالْفِعْـل. الهـدف هُـو تمْكيننَـا مِـن تَعلُّـم النِّيوماتولوجيـا مِـن خِلاَل الاسْـتفادة مِمَّـا نعْرفـه بِالْفِعْـل عـن اَللَّـه والْحيـاة المسـيحيَّة، والانْتبـاه لِحضـور الـرُّوح اَلقُـدُس وَقوَّتـه فِـي كُلِّ ذَلِـك. يَنبُـع مُخطَّط الكتَاب مُبَاشـرَةً مِن الإسْـتراتيجيَّة. بَعـد فَصْـلٍ يُنَبِّهنَـا إِلـى حُضُـور الـرُّوح (الفصْـل ١)، يَأتِـي فَصْـل عـن الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي إِطَـار الثَّالـوث (الفصْـل ٢)، يليـه فَصْـل وَاحِـد عـن كُلٍّ مِـن الأقانيـم الثَّلاثـة: الـرُّوح والْآب (الفصْـل ٣)، والـرُّوح والابْـن (الفصْـل ٤)، والـرُّوح نَفسـه (الفصْـل ٥).

١

مُقَابلَةُ الرُّوح اَلقُدُس

إنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس مَوجُـودٌ دائمًـا بِالْفِعْـل. عِنْدمَـا تُـدْرِك حُضُـور الـرُّوح اَلقُـدُس، فَإنَّـك تُـدْرِك أَنَّـه كان حاضـرًا قَبْـل أن تُـدْرِك. والْأكْثر مِـن ذَلِـك، فَـإنَّ الوعْـي الرُّوحـيَّ اَلـذِي تَسـتيْقِظ إِلَيـه هُـو نَفسُـه مَـا تتعلَّمـه، وَهُـو يَنتـج عـن اَلحُضـور اَلقَـوِيِّ لِلـرُّوح اَلقُـدُس. إنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس يسْـبقك دائمًـا ويجهِّـزك لِمقابلتـه عِنْدمَـا تَصِـل إِلـى حَيْـث يَسـكُن. وَإِذَا اِسْـتخْدمْنَا مُصطلَحًـا لَاهوتيًّـا، فهـو بِمثابـة الرَّائـد فِـي اِخْتبارنَـا لِلثَّالـوث؛ فَهُـو يسْـبقنَا. بيْنمَـا نَحْـن دائمًـا نَلعَـب لُعبَـة اللَّحَـاق بِالرَّكْـب. هـذَا هُـو نَـوْع اَلحَـقِّ اللاَّهوتـيِّ اَلـذِي يَسـتغْرِق تلقِّيـه وقْتًـا. لِذَلـك دَعُونَـا نَبـدَأ (على الرَّغْـم مِـن أنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس قـد بـدأ بِالْفِعْـل!) بِتأمُّـل قصيـر فِـي سِـيادة الـرُّوح اَلقُـدُس عـن طريـق التَّأَمُّـل فِـي اِخْتبارنَـا لِلتَّنَفُّـس.

شهيق. زفير.

إِنَّـك تَقتَـرِض مَـوَادَّ حَياتِـك الخاصَّـة مِـن البيئـة اَلتِـي تعيـش فِيهَـا. فالْهـواء اَلمحِيـط اَلـذِي يَندَفِـع إِلـى رِئتيْـك عَبْـر أَنفِـك وَفمِـك ضَـرورِيٌّ لِلْغايـة لِاسْـتبْقاء حَياتِـك. إِنَّ الإِنْسـان هُـو كَائِـن يَتَنفَّـس. فِـي الواقـع، إِنَّ التَّفْسـير الكامـل لِكيْنونتـك يَجِـب أن يَنطَـوِي علـى إِدرَاك لِلْهـوَاء الموْجـود فِـي بِيئتـك كَجُـزءٍ ضَـرورِيٍّ مِمَّـا يُحقِّـق دَيمُومـة وُجـودك. مِـن اَلمغْـرِي أيْضًـا التَّفْكيـر فِـي نِظَـام اَلْهَـواء بِأكْمَلـه مِـن حَولَـك كَجُـزءٍ مِنْـك. فَمِـن اَلمُؤكَّـد أنَّ اَلْهَـواء الموْجـود دَاخِـل رِئتيْـك، والْأكْسـجين الموْجـود فِـي دَمِـك، يَبـدُوان جُـزْءًا مِنْـك؛ إِذ يُوجَـد دائمًـا بَعْـض اَلْهَـواء بِداخِلـك، علـى الرَّغْـم مِـن أَنَّـه يُسـتَبْدَل بِاسْـتمْرار بِهـواء جديـد. وَمِـن وُجهَـة نظـر أُخـرَى، فَـإِنَّ البيئـة الهوائيَّـة المحيطـة بِـك لَيسَـت جُـزْءًا مِنْـك بِقَـدر مَـا أَنْـت جُـزْءٌ مِنهَـا. مِـن النَّاحيـة النِّظاميَّـة، أَنْـت جُـزْء مِـن مَجمُـوع أَكبَـر لَا يشْـملك أَنْـت وَكُلَّ هـذَا اَلْهَـواء فحسْـب، بـل يَشـمَل أيْضًـا كُلَّ مَـا يَلـزَم لِجَعـل هـذَا اَلْهَـواء مُفيـدًا لِاسْـتبْقاء حَياتِـك (خليـط عَناصِـره، وكثافتـه، وَدرجَـة حرارَتـه، ومقْـدَار الضَّغْـط اَلـذِي يَتَعـرَّض لَـه، وهكـذَا). هَـذِه هِـي الحيَـاة المخْلوقـة. جميـع الكائنـات الحيَّـة جُـزْء لَا يَتَجـزَّأ مِـن شَـبَكات مِـن الاعْتمـاد المتبـادل بـدلاً مِـن وُجودِهَـا ككيانـات فَرديَّـة ذات سِـيادة ومنْفصلـة ومعْزولـة. إِنَّ التَّنَفُّـس هُـو سَـحْبٌ لِلْهـوَاء؛ وتكْوينَـا يَنطَـوِي علـى اِسْتنْشـاق وزفيـر شَـيْء غريب عـن تكوِيـن الجسْـم.[1] إِنَّنـا جميعًـا نَسـتعِير حَيَاتنَـا مِـن بِيئاتنَـا.

1 Gregory of Nyssa, from his "Great Catechetical Oration," translated as "An Address on Religious Instruction," in *Christology of the Later Fathers* ,ed. Edward R. Hardy, in collaboration with Cyril C. Richardson (Louisville, KY: Westminster Press, 1954), 273.

أَنفَاس اَللَّه وأنْفاسنَا

هُنَاك تطْبيقان لَاهوتيَّان يُمْكننَا اِسْتخْلاصهمَا مِن هذَا التَّأَمُّل اَلمُوجز عن اَلْهَواء، وكلاهمَا يَتعلَّق بِالرُّوح اَلقُدُس وسيادته. أوَّلاً، مِن السَّهْل، بل وَحتَّى الطَّبيعيِّ بِالنِّسْبة إلَينَا أن نُفكِّر فِي التَّشابه بَيْن اِعْتمادنَا على اَلْهَواء واعْتمادنَا على اَللَّه. فكلاهمَا غَيْر مَرئِيٍّ، وكلاهمَا يُحيط بِنَا، وكلاهمَا يَدعَم حَيَاتنَا. لَكِنَّ هذَا التَّشْبيه مَحدُود بِحقيقة أنَّ اَلْهَواء مَخلُوق، كمَا هُو حَالُنا بِالطَّبْع.[٢] وَلكِنَّ هذَا هُو حال الأمْثلة؛ إنَّ اِعْتمادنَا على عُنصُر اَلْهَواء المخْلوق لَيْس هُو نَفْس اِعْتمادنَا على الخالق، وَلَكنَّه فِي بَعْض النَّواحي المحدَّدة يُشْبِه اِعْتمادنَا على الخالق. إنَّنا «نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ» (أَعمَال الرُّسل ١٧: ٢٨) بِاللَّه وبالْهواء، وَلكِن بِطريقتيْنِ مُخْتلفتيْنِ كمَا هُو وَاضِح. عِنْدمَا فَتحتَ هذَا الكتَاب عن الرُّوح اَلقُدُس وقرأتَ هذَا الفصْل اَلذِي يَدعُوك إلى اَلشهِيق والزَّفير، رُبَّمَا شَعرتَ على الفوْر بِقوَّة الاسْتعارة الواضحة. فالشَّهيق والزَّفير يُشْبِه الصَّلَاة، أو مِثْل مُمَارسَة حُضُور اَللَّه الرُّوح اَلقُدُس. لَكِن مَرَّة أُخرَى، إنَّ الرُّوح اَلقُدُس لَيْس هَوَاءً؛ فَهُو لَا يُحيط بِنَا جوًّا، بل بِطريقة مُقَدَّسَة وَروحِيَّة. وَهُو دائمًا يُحيط بِنَا بِالْفِعْل. إنَّ حُضُور الرُّوح اَلقَدُس -غَيْر اَلمرْئِيِّ والْمباشر والْحميم- هُو مَوضُوعٌ حَيوِيٌّ لِجميع المخْلوقات. إنَّما حُضُور الرُّوح اَلقُدُس لِاتِّبَاع **يَسُوع** هُو شَخصِيٌّ أَكثَر كمَا أَنَّه

2 Richard Baxter (1615–1691) notes that "the dependence of the creature on God, is not to be fully manifest by the dependence of any creature upon another," in his book-length sermon *The Crucifying of the World by the Cross of Christ* (London: Nevill Simmons, 1658), 15–17.

أَكثَـر عُمْقًـا. فالـرُّوح اَلقُـدُس هُـو (مِثْـل) اَلْهَـواء اَلـذِي نتنفَّسـه. لَكِـنَّ التَّطْبيـق الثَّانـي لِتأمُّلنَـا عـن اَلْهَـواء، أَعتَقـد أَنَّـه أقـلُّ وُضوحًـا. إِذ قـد يَتَطلَّـب الأمْـر مِنْـك أنْ تَقلـب أَنمَـاط تفْكيـرك رأْسًـا على عقـب لِلحْظـة، لَكِـنَّ الأمْـرَ يَسـتَحِقُّ فعـل ذَلِـك. إِلَيـك الخبـر على الرَّغْـم مِـن أنَّ جميـع الكائنـات الحيَّـة مَوجُـودة فِـي بِيئـة تَضمـن بَقَاءهَـا، فـإِنَّ اَللَّـه لَيْـس كَذلِـك. فَمِـن اَلمُؤكَّـد أنَّ اَللَّـه حـيٌّ، وَلَكنَّـه بِالتَّأْكيـد لَيْـس مَخلُوقًـا. يُوضِّـح غِريغوريـوس النِّيصـي Gregory of Nyssa الأمْـر بِهَـذه الطَّريقـة:

> يَجِـب أَلاَّ نَتَخيَّـل أنَّ اَللَّـه يَتَدفَّـق إِلَيـه شَـيْء غريـب ودخيـل عليْـه صائـرًا الـرُّوح الإِلَهـيَّ فِيـه، كمَـا يَحـدُث مَعنَـا حِيـن نَتَنفَّـس. [...] لِأَنَّنَـا لَا مَحالَـة نَحُـطُّ مِـن عَظمَـة اِقتِـدار اَللَّـه إِذَا تَصَوَّرنَـا رُوحَـه بِالطَّريقـة نفسـها اَلتِـي نَتَصـوَّر بِهَـا رُوحَنَـا. بـل على العكْـس مِـن ذَلِـك، إِنَّنَـا نُفكِّـر فِيـه كاقْتِـدار مَوجُـود بِالْفِعْـل بِذاتـه وَفِـي مَعاشِـه اَلْخـاصِّ. إِذ لَا يُمْكِـن أن يَنفَصِـل عـن اَللَّـه اَلـذِي فِيـه، أو عـن كَلِمَـة اَللَّـه اَلـذِي يُرافِقـه.[٣]

إِنَّ اَللَّـه اَلـذِي بِـه نَحيَـا ونتحَـرَّك وَنُوجَـد، لَا يَحيَـا ويتحَـرَّك وَيُوجَـد فِـي أيِّ شَـيْء أو أيِّ شَـخْص سِـوى نَفسِـه. هُنَـاك طريقتـان لِقَـول هـذَا الشَّـيْء الواحـد. سـلْبيًّا، يُمْكِنـك إِنكَار أنَّ اَللَّـه لَديْـه أيُّ بِيئـة تُحيـط بِـه. وبـشكْلٍ إِيجابـيٍّ، وَمِـن نَاحِيـةٍ جَوهرِيَّـةٍ أَكثَـر، يُمْكِنـك التَّأْكيـد على أنَّ اَللَّـه هُـو بِيئتـه الخاصَّـة. فعنْدَمَـا يَتَكلَّـم اَللَّـه بِكلمَتـه المقدَّسـة، فَإِنَّـه يَتَنفَّـس أنْفاسـه المقدَّسـة. وَلكِـن على عَكْـس التَّنَفُّـس البشَـريِّ، فَـإِنَّ التَّنَفُّـس الإِلَهـيَّ لَا يَأْتِـي إِلـى اَللَّـه مِـن

3 Gregory of Nyssa, “Great Catechetical Oration,” 273.

البيئـة المحيطـة ثُـمَّ يَعُـود إِلَيْهَـا. بـل إِنَّ أَنفَـاس اَللَّـه هِـي اَللَّـه. وَرُوح اَللَّـه هُـو اَللَّـه. فَبِيئَـة اَللَّـه وَظـرُوف وُجـوده هِـي كُلُّهَـا بِبسـاطة اَللَّـه. وقـد أَوضَـح إِدْوارد بُولهيـل Edward Polhill (١٦٢٢-١٦٩٤) هَـذِه النُّقْطـة بِهَـذه الطَّريقـة:

> يَجِـب أن يَكُـون اَللَّـه هُـو نَفسُـه مَصـدَر سـعادَته الكافيـة فِـي ذَاتِـه؛ مُسـتمدًّا كِيانـه مِـن نَفسِـه، وسـعادته لَيسَـت سِـوى كِيانـه مُشـعًّا بِكُلِّ كمالاتـه، وَمِـن خِلَال التَّـأمُّلات الفكْريَّـة والْعاطفيَّـة، وَالتِـي تَنعَكِـس إِلـى إِثْمارهَـا مِـن ذاتهَـا... لَـم يَكُـن بِحاجـة إِلـى مُتعَـةِ قِنيـةِ عَالَـمٍ، إِذ لَـه اِبْـنٌ أَبـديٌّ فِـي حِضْنِـه لِيفْـرح بِـه. ولَا إِلـى نَسـمَة مَلائِكـة أو بشـر، إِذ لَـه رُوحٌ أَبـدِيٌّ خـاصٌّ بِـه.[4]

فَاَللَّـه لَيْـس فِـي حَاجَـة إِلـى نَسـمَة الخلائـق، لِأَنَّـه لَـه نَسـمَة خَاصَّـة بِـه ضِمْـن دِينامِيكيَّـات الحيَـاة الإلهيَّـة الأبديَّـة. لَيْـس هـذَا فحسْـب، بـل إِنَّ اَللَّـه لَيْـس بِحاجـة إِلـى مِنطَقـة يَكُـون فِيهَـا إِلَهًـا أو وَسِـيلَة يَكُـون مِـن خِلالِهَـا إِلَهًـا. فَاَللَّـه كُلِّـيُّ الاكْتفـاء، كافٍ وَمُكتَـفٍ تمامًـا فِـي كُلِّ شَـيْء. لِـذَا فَـإِنَّ هـذَا التَّطْبِيـق الثَّانـي لِتأمُّلنَـا بِشَـأن اَلْهَـواء يَهـدِف إِلـى المقابلـة؛ فَاَللَّـه لَيْـس مِثْـل المخْلوقـات. فأنْفاسـنَا تجْعلنَـا بِالضَّـرورة مُحاطِيـن بِشَـيءٍ غَيـر أَنفُسـنا، لَكِـنَّ أَنفَـاس اَللَّـه هِـي اَللَّـه. عِنْدمَـا نُفكِّـر فِـي الـرُّوح اَلقُـدُس، نُحَـاوِل أن نَتَصـوَّر الحيَـاة الإلهيَّـة كَحَيـاة تَكـون دائمًـا مُـزَوَّدَة بِمواردهَـا الكاملـة بِالْفِعْـل –أو بِالْأَكْسـجين كمَـا فِـي المثَـال– مِـن مواردهَـا المتأصِّلـة

4 Edward Polhill, "A View of Some Divine Truths," in *The Works of Edward Polhill* (1678; repr., Morgan, PA: Soli Deo Gloria, 1998), 1.

فِيهَـا.

هَـذَان التَّطْبيقـان لِتأمُّلنَـا عـن اَلْهَـواء يُشـيرَان إِلـى اِتِّجاهيْـنِ مُخْتلفيْـنِ. التَّطْبيـق الأوَّل يَـدُور حَـوْل علاقتنَـا بِاللَّـه (نَحْتـاج إِلـى اَللَّـه كالْهـواء)؛ والثَّانـي يَتَعلَّـق بِحيـاة اَللَّـه الدَّاخليَّـة (اَللَّـه لَا يَحْتـاج إِلـى اَلْهَـواء). وَكمَـا يَقُـول اَللَّـه: «لأَنَّ أَفْكَارِي لَيْسَـتْ أَفْكَارَكُـمْ، وَلاَ طُرُقُكُـمْ طُرُقِـي» (إشـعياء ٥٥: ٨). هَكـذَا نَسـمَة اَللَّه لَيسَـت كَنسـمَة المخْلوقـات. يُمثِّـل تَنفُّـس المخْلوقـات النُّقْطـة اَلتِـي تَعتَمِـد فِيهَـا الكائنـات علـى المـوارد خَـارِج ذَواتِهـا لِاسْـتبْقاء حَياتِهـا. بيْنمَـا يُشـير التَّنَفُّـس الإلَهـيُّ إِلـى العكْـس: فَاَللَّـه لَـه الحيَـاة فِـي ذَاتِـه، مِـن ذَاتِـه، كَذاتِـه. مِـن الصَّعْـب حقًّـا أن نَتَخيَّـل ذَلِـك، لِأَنَّنَـا إِذَا اِنْطلقْنَـا مِـن خِبْرتِنَـا الخاصَّـة فِـي التَّنَفُّـس وحاولْنَـا تطْبيقهَـا علـى اَللَّـه، فلـن نَتَمكَّـن إِلاَّ مِـن اَلوُصـول إِلـى هـذَا اَلحَـدِّ. فَـإِذَا حاولـتُ أن أَتخَيَّـل نَفسِـي دُون الحاجـة إِلـى اَلْهَـواء الموْجـود فِـي بِيئتـي، فقـد أَتخَيَّـل نَفسِـي مُرْتدِيًـا مُعـدَّات الغـوْص أو بَدلَـة فَضَـاء. مِـن الواضـح أنَّ مِثْـل هَـذِه المعـدَّات التِّكْنولوجيَّـة تُثْبِـت فقـط أَنَّنِـي بِحاجـة إِلـى اَلْهَـواء بِشـدَّة لِدرجـة أَنَّنِـي إِن كُنْـت فِـي بِيئـة وَعـرَة وَخالِيـة مِـن اَلْهَـواء، فَعلـيَّ أن أَسـتعِين بِبيئـةٍ مُصَغَّـرَة اِصْطناعيَّـة يُمْكِـن اِرْتداؤهَا لِتلْبِيـة اِحْتياجاتـي. لَكِـنَّ اَللَّـه لَيْـس لَديْـه اِحْتياجـات.

لَقـد وصلْنَـا إِلـى نَـوْع مِـن اَلطرِيـق المسْـدود. إِنَّ التَّنَفُّـس فِينَـا هُـو عَلامَـة علـى اِحْتياجنَـا أَمَّـا فِـي اَللَّـه فَهُـو عَلامَـة علـى عـدم حَاجَتِـه إِلـى شَـيْء. وَبمَـا أنَّ كَلمَـة «**نَفَـس**» تَعنِـي عمليًّـا شـيْئيْنِ مُتعاكسـيْنِ فِـي حَالتِنـا وَفِـي حَالَـة اَللَّـه، فقـد نُقـرِّر أَنَّـه مِـن غَيْـر اَلحكِيـم أو اَلمفِيـد اِسْـتخْدام اَلكلِمـة نَفسـها فِـي كِلْتَـا الحالتيْـنِ.

لَكِـنَّ اَللَّـه هُـو اَلـذِي اِخْتَـار هَـذِه اَلكلِمـة بِطريقـة مُنَاسـبَة؛ لَقـد أَخْبرَنَـا اَللَّـه فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس أَنَّـه لَـه أَنفَـاس (التَّكْويـن ٢: ٧؛ المزْمـور ٣٣: ٦؛ ١٠٤: ٢٩).[٥] فِـي إِجـرَاء هَـذِه المقارنـة، يَدعُونـا اَللَّـه إِلـى السُّـموِّ بِأَفْكارنَـا لِأَعْلـى، اِنْطلاقًـا مِمَّـا نعْرفـه مِـن وَاقِـع خِبْرتِنَـا كمخْلوقـات تَتَنفَّـس، ثُـمَّ الارْتقـاء ذِهْنِيًّـا إِلـى أَفكَار تليـق بِاللَّـه. بِمجـرَّد أن نُـدْرِك هَـذِه الطُّـرق اَلتِي تَكُـون بِهَـا أَنفَـاس اَللَّـه أَعظَـم مِـن أَنْفاسـنَا ومخْتلفـة عَنهَـا، فَإِنَّنَـا نُـدْرِك أَيْضًـا أَنَّ رِحْلتَنَـا العقْليَّـة إِلـى الأَعْلـى لَـم تَكُـن مُمْكِنـةً إِلاَّ لِأَنَّ اَللَّـه خَلَـق كُلَّ الأَشْـياء بِهَـذا النَّـوْع مِـن الإِعْلان اَلذهْنِـيِّ. إِذ لَا يُخْبرنَـا اَللَّـه أَنَّـه يَتَنفَّـس لِمجـرَّد أَنَّنَـا مخْلوقـات تَتَنفَّـس. بـل عِنْدمَـا خلـق اَللَّـه مخْلوقـات تَتَنفَّـس، كان يَصنَـع صُـوَرًا لِحياتـه اللاَّنهائيَّـة، وتلْـك الحيَـاة هِـي الحيَـاة فِـي الـرُّوح. عَلَّـم جِيرْهـارْدوس فُـوس Geerhardus Vos (١٨٦٢-١٩٤٩) أَنَّـه عِنْدمَـا نَسـمَع اَللَّـه يَتَحـدَّث عـن النَّفَـس البشَـريِّ والـرُّوح الإِلَهـيِّ:

> فَـإِنَّ مَـا نَحْـن بِصـدده هُنَـا لَيْـس مُجـرَّد صُـورَة بَشَـريَّة يسْـتخْدمهَا اَللَّـه فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس لِلْإِشـارة إِلـى العلاقات دَاخِـل كِيانـه. بـل العكْـس هُـو اَلصحِيـح. إِنَّ التَّنَفُّـس كَعَلامَة لِلْحيَـاة فِـي الكائنـات الحيَّـة هُـو صُـورَة مَخلُوقـة لِلطَّريقـة الخاصَّـة اَلتِـي يَتَلقَّـى بِهَـا الـرُّوح اَلقُـدُس جُـودَه اَلشـخْصِيَّ مِـن اَلآب والابْـن بِوصْفـه مُشـرفًا علـى الحيَـاة.[٦]

5 Richard E. Averbeck, "Breath, Wind, Spirit, and the Holy Spirit in the Old Testament," in *Presence, Power, and Promise* :*The Role of the Spirit of God in the Old Testament* ,ed. David G. Firth and Paul D. Wegner (Nottingham, UK :Apollos, 2011), 23–37.
تتوفَّر نسخة مختصرة من هذا العمل على:
https ///:Bible.org./

6 Geerhardus Vos ,*Reformed Dogmatics* , trans. and ed. Richard B. Gaffin Jr. (Bellingham, WA: Lexham Press, 2014), 1:68.

مَـا يقْصـده فُـوس هُـو أنَّ اَللَّـه اَلحَـيَّ هُـو اَلـذِي لَـه نَفَـس حقًّـا. فأنْفاسـه غَيْـر المخْلوقـة هِـي النَّمـوذج اَلأصْلِـيُّ، فِـي حِيـن أنَّ أنْفاسـنَا المخْلوقـة هِـي الصُّـورة المخْلوقـة والْمحْـدودة وغيْـر الكاملـة لِذَلـك الأصْـل اَلعظِيـم. فرغْـم أنَّ اَللَّـه هُـو اَلـذِي أخْبرَنَـا فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس أَنَّـه إِلـهٌ حـيٌّ يَتَنفَّـس رُوحيًّـا، فإِنَّـه لَـم يَقُـل لَنَـا هـذَا حَتَّـى نَفتَـرِض أَنَّـه مَعُـوز مِثْلُنـا. بـل علـى العكْـس مِـن ذَلِـك، يُخْبرنَـا اَللَّـه عـن رُوحـه لِيسـاعدنَا علـى إِدرَاك اِخْتلافـه وكمالـه الرَّائعيـن. فَاَللَّـه هُـو أنْفاسـه وبيئَتـه وحياتـه.

فالتَّناظـر هُنَـا، مـع أَوجُـه التَّشـابه والاخْـتلاف فِيـه، هُو: أنْفاسـنَا هِـي فِينَـا، وأنْفَـاس اَللَّـه هِـي فِـي اَللَّـه. وَلكِـن غَايَـة الـخلَاص هِـي أن تَكُـون نَسـمَة أَنفَـاس اَللَّـه فِينَـا. عِنْدمَـا نظرْنَـا إِلـى حَيَـاة الكائنـات اَلتِـي تَتَنفَّـس، كُنَّـا نِصْـف الحيَـاة الجسـديَّة والْبيولوجيَّـة. لَكِـن مِـن النَّاحيـة اَلأُخـرى، فَـإِنَّ جَوهَـر الحيَـاة الرُّوحيَّـة هُـو الحيَـاة فِـي رُوح اَللَّـه أو مِنْـه. وَكمَـا عَلَّـم يَسُـوع نِيقوديمـوس، «اَلْمَوْلُـودُ مِـنَ الْجَسَـدِ جَسَـدٌ هُـوَ، وَالْمَوْلُـودُ مِـنَ الـرُّوحِ هُـوَ رُوحٌ. لاَ تَتَعَجَّـبْ أَنِّـي قُلْـتُ لَـكَ: يَنْبَغِـي أَنْ تُولَـدُوا مِـنْ فَـوْقُ» (يُوحنَّـا ٣: ٦-٧). مِـن خِلَال الإِفْـراط فِـي اِسْـتخْدامهَا فِـي الـكلَام المسـيحيِّ، قـد تَفشَـل كَلمَـة «رُوحـيٌّ» فِـي تَحوِيـل أذْهانَنَـا إِلـى نَسـمَة أَنفَـاس اَللَّـه ومشـاركتنَا فِيهَـا بِالنِّعْمـة، وَلكِـنَّ هـذَا هُـو المصْـدر الحقيقـيُّ لِلْحيَـاة الرُّوحيَّـة والْـخلاص.

لَيْـس هُنَـاك مَـا هُـو أَكثَـر أَهَمِّيَّـة لِلْـخلَاص مِـن أن يُصْبِـح رُوح اَللَّـه هُـو مَبـدَأ الحيَـاة الجديـدة فِينَـا. وَلكِن قَبْـل أن يُصْبِـح رُوح اَللَّه هُـو مَبـدَأ الحيَـاة الجديـدة فِـي المؤْمنيـن، فَـإِنَّ الـرُّوح هُـو بِبسـاطة

مَبـدَأ حَيَـاة اَللَّـه. قبـل أن يكُـون الـرُّوح فِينَـا، فَـإِنَّ الـرُّوح هُـو فِـي اَللَّـه. يَتَأَتَّى ذَلِـك كَنَتيجَـة طَبيعِيَّـة لِلاعْتـراف بِألوهيَّـة الـرُّوح، وَلكِـن بِمجـرَّد أن نُـدْرِك ذَلِـك، نُصْبِـح واعيـن بِعمْـق أَنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس هُـو مَـن هُـو لِذاتـه، قَبْـل أن يَفعَـل مَـا يفْعلـه مِـن أَجلِنـا. رُبَّمَـا يَكُـون هـذَا هُـو المعْنـى الأعْمـق اَلـذِي يَكُـون فِيـه الـرُّوح اَلقُـدس مَوجُـودًا دائمًـا بِالْفِعْـل. لَيْـس فقـط بِأَنَّـه يُحيـط بِنَـا فِـي كُلِّ مَكَانٍ بِاعْتبـاره بِيئَتَنَـا الرُّوحيَّـة وَفِـي دَاخِلِنـا كمبْـدأ الحيَـاة الجديـدة، وَلَكِنَّـه يفوقنَـا بِـشَكلٍ لَا نِهائـيٍّ فِـي أَعمَـاق كِيَـان اَللَّـه. فَهُـو سَـيكُون دائمًـا فِـي اَللَّـه، سَـوَاء كان فِينَـا أم لَا. فَهُـو فَائِـق لِلزَّمـن، بِقَـدر أَعمَـاق الواقـع الإلَهـيِّ.

الفرْضيَّة المقدَّسة

إِنَّ سِـيادة الـرُّوح اَلقُـدُس المطْلقـة والْكاملـة تَنعَكِـس فِـي حُضـوره لَنَـا. ويبْـدو أنَّ خُطَّـة اَللَّـه هِـي أن يَتَعامَـل مَعنَـا مِـن خِلَال رُوحـه اَلقُـدُّوس، علـى الرَّغْـم مِـن أَنَّـه لَا يُوصلنَـا إِلـى إِدرَاك هَـذِه الحقيقـة إِلاَّ فِـي مَرْحَلـة لَاحِقـة. وَهـذَا وَاضِـحٌ بِـشَكلٍ خـاصٍّ عِنْدمَـا نُقَـارِن معْرفتنَـا بِالـرُّوح اَلقُـدُس بِمعْرفتنَـا بِالْأَقْنوميْـنِ الآخريـن فِـي الثَّالـوث، اَللَّـه اَلآب وَاَللَّـه الابْـن. إِذ يَبـدُو أنَّ طَرِيقَـة اَللَّـه فِـي جَلْـب المؤْمنيـن إِلـى الوعْـي الواعـي بِذاتـه هِـي عَمَليَّـة مُكَوَّنَـة مِـن مرْحلتيْـنِ. المرْحلـة اَلأُولـى هِـي أن نُركِّـز اِنْتباهنَـا علـى إِرسَـال اَلآب اِبْنـه لِيخلِّصنَـا؛ المرْحلـة الثَّانيـة هِـي أن نُـدْرِك أنَّ السَّـبب اَلوحِيـد وَرَاء تَركِيـز اِنْتباهنَـا بِهَـذه الطَّريقـة هُـو حُضُـور الـرُّوح اَلقُـدُس وَقوَّتِـه وَشـخصِه اَلـذِي يُؤثِّـر علَيْنَـا بِـشَكلٍ مَجهُـولٍ فِـي المرْحلـة

اَلأُولى. إِنَّنا نَسمَع رِسالة اَلآب والابْن، ثُمَّ نُلَاحِظ أنَّ سَمَاعنَا لَهَا يَعنِي أَنَّنَا بِالْفِعْل تَحْت قُوَّة الرُّوح.

تَعمَل الدِّينامِيكيَّة نفْسهَا فِي الصَّلَاة المسيحيَّة. إِذ يُحَرِّكنَا الرُّوح اَلقُدُس فِي المقَام الأوَّل لِلصَّلَاة إِلى اَلآب بِاسْم الابْن؛ ثُمَّ نَبدَأ فِي مُلَاحظَة عمل الرُّوح اَلقُدُس فِي لَحظَة وَعْي لَاحِقة فقط، هذَا بِشَكلٍ عامٍّ. فِي كِتَاب **المسيحيَّة المجرَّدة**، وصف كلايف لِويس C. S. Lewis بِنْيَة الصَّلَاة المسيحيَّة بِاسْتخْدام صُورَة التَّحَرُّك على اَلطرِيق:

> يَركَع شَخْصٌ مَسيحِيٌّ بسيطٌ وَعادِيٌّ لِيتْلو صلواته. إِنَّه يُحَاوِل التَّواصل مع اَللَّه. وَلَكنَّه إِن كان مَسيحِيًّا حقًّا، فَهُو يَعلَم أنَّ اَلذِي يدْفعه لِلصَّلَاة هُو اَللَّه نَفسُه أيْضًا: اَللَّه الموْجود فِي دَاخلِه، إِنَّ جاز التَّعْبير. لَكنَّه يَعلَم أيْضًا أنَّ كُلَّ معْرفَته الحقيقيَّة عن اَللَّه تَأتِي مِن خِلَال اَلمسِيح، الإِنْسان اَلذِي كان هُو اَللَّه؛ وأنَّ اَلمسِيح يَقِف إِلى جَانبِه، ويساعده على الصَّلَاة، ويصلِّي مِن أَجلِه. هل ترى مَا يَحدُث هُنَا. إِنَّ اَللَّه هُو الشَّخْص اَلذِي يُصلِّي إِلَيه؛ أي الهدف اَلذِي يُحَاوِل اَلوُصول إِلَيه. وَاَللَّه أيْضًا هُو الشَّخْص اَلذِي بِداخِله وَالذِي يدْفعه إِلى الأمَام؛ أيْ اَلقُوَّة الدَّافعة. وَاَللَّه أيْضًا هُو اَلطرِيق أو الجسْر اَلذِي يُدفَع مِن خِلاله نَحْو هذَا الهدف. لِذَا فَإِنَّ الحيَاة الثُّلاثيَّة الكاملة لِلْكائن مُثلَّث الأقانيم تَجرِي فِعْليًّا فِي غُرفَة النَّوْم الصَّغيرة العاديَّة حَيْث يَرفَع رَجُلٌ عَادِيٌّ

صلواتـه.[٧]

إِنَّ اَللَّـه هُـو الهـدف، وَهُـو اَلطرِيـق إِلـى هُنَـاك، وَلَكنَّـه أيْضًـا الطَّاقــة المحرِّكــة أو «اَلقُــوَّة الدَّافعــة» اَلتِـي مِــن خِلالِهَـا نَتبــع هــذَا اَلطرِيــق لِتحْقِيــق هــذَا الهــدف. إِنَّ العمــل اَلفرِيــد لِلْإيمــان المســيحيِّ هُــو البحْــث عــن اَللَّــه فِــي اَلمسِــيح، والتَّوجُّــه نَحْــو اَلآب بِاعْتبــاره الهــدف، والْقيــام بِذَلــك عــن طريــق الابْــن بِاعْتبــاره اَلطرِيــق أو الجسْــر. إِنَّ الــرُّوح اَلقُــدُس مُحْتَجِــب بِــشَكلٍ أو بِآخــر فِـي هــذَا السَّــعْي والتَّحــرُّك، إِذ هُــو حُضُــورٌ شَــخصِيٌّ يَتَجلَّــى فِــي وعْينَـا فقـط عِنْدمَـا نُصْبِـح أَكثَـر وعْيًـا بِأنْفسـنَا بِشَـأن مَـا يَحـدُث لَنَـا، وَبقُـوَّة مَـن. إِنَّنَـا نَقُـول: «لأَنَّـهُ هكَـذَا أَحَـبَّ اللهُ الْعَالَـمَ حَتَّـى بَـذَلَ ابْنَـهُ الْوَحِيـدَ» (يُوحنَّـا ٣: ١٦)، ثُـمَّ نَتعلَّـم أَنَّنَـا نَعـرِف هـذَا فِـي الــرُّوح (يُوحنَّــا ٣: ٨).

إِنَّنَـا بِحاجــة إِلــى سُــلطَة أَعظَــم مِــن كلايــف لِويــس لِتوْضِيــح ذَلِـك، لِذَلـك يَجِـب أن نَنظُـر بِعنايـة إِلـى بَعْـض الإِشـارات الكتابيَّـة اَلقوِيَّـة لِلطَّرِيقـة اَلتِـي يتَّبعهَـا اَللَّـه. عِنْدمَـا نَنتَقِـل مُبَاشـرَةً إِلـى تِلْـك المقاطـع، أُرِيـد أن أُؤَكِّـد أنَّ هــذَا الأسْـلوب الإِلَهِـيَّ مَقصُـودٌ. هــذَا هُـو التَّرْتِيـب اَلـذِي يُرِيـد اَللَّـه أن نَتوصَّـل بِه إِلـى مَعرِفـة اَلآب والابْن والــرُّوح اَلقُــدُس. الــرُّوح هُــو اِفتِــراض مُســبَّق، لَيْــس فِكْــرَة لَاحِقــة. فنحْـن نَتَأثَّـر بِـه أوَّلاً وَلَكنَّنَـا نَتعلَّـم مِنْـه أخيـرًا. وَهــذَا لَيْـس نوْعًـا مِن الإِهْمـال الإِلَهِـيِّ (كمَـا لَـو كان هُنَـاك شَـيْء مِـن هــذَا اَلقبِيـل أصْلاً). هــذَا هُــو المسَــار الطَّبيعِــيُّ لِلْأمــور؛ هَــذِه هِــي الطَّرِيقــة اَلتِـي يُرِيـد اَللَّـه أن يُعـرَف بِهَـا. تَأتِـي المعْرفـة الاخْتباريَّـة لِلثَّالـوث علـى شَكْل

7 C. S. Lewis, *Mere Christianity* (New York: Macmillan, 1943), 142–43.

مَوْجَاتٍ، وَفِي اَلْمَوجة الثَّانية مِن الوعْي المسيحيِّ يَخرُج الرُّوح اَلقُدُس مِن المعْرفة الضِّمْنيَّة إلى المعْرفة الصَّريحة. فإعْلَان اَللَّه عن ذَاتِه يَحدُث مِن خِلَال عمل يَكُون فِيه اَللَّه هُو الفاعل اَلذِي يضع نَفسَه أَمَامنَا كشخْص يَنبَغِي معْرفَته ثُمَّ يقودنَا إلى التَّعَرُّف عليْه ثُمَّ يُساعدنَا على فَهْم كَيفِيَّة ذَلِك. يُمْكننَا أن نَصِف ذَلِك الإعْلان بِهَذه الطَّريقة دُون أن نَذكُر الثَّالوث. وَلكِن لِإضافة عَدسَة الثَّالوث بِالْكامل إلى حَقِيقَة الإعْلان هَذِه، نَقُول بِشَكلٍ أَكثَر وُضوحًا إنَّ الرُّوح اَلقُدُس يَجعَل اَلآب والابْن معْروفين. إنَّ المعْرفة الحقيقيَّة لِلَّه هِي مَعرِفة اَلآب والابْن بِالرُّوح اَلقُدُس. عِنْدمَا نَصِف هذَا بِأَنَّه يَحدُث على خُطْوتَيْنِ، أو يَأتِي عليْنَا على شَكْل مَوْجَات، فَإِنَّنَا نُعْطِي نوْعًا مِن الوصْف الزَّمَنيِّ لِلْبنْية الرُّوحيَّة الفعْليَّة لِمعْرِفة اَللَّه الثَّالوث.

هُنَاك اَلعدِيد مِن الأماكن اَلمهِمَّة فِي الكتَاب اَلمُقدَّس اَلتِي تُؤسِّس هذَا النَّمط مِن البداية مع تَركِيز الاهْتمام على اَلآب والابْن مع تَرْك الرُّوح اَلقُدُس فِي الخلْفيَّة. وَلعَلَّ أهمُّهَا هُو مَا يقع فِي مُنتَصَف إنْجيل مَتَّى (الإصْحاح ١١). فِي هَذِه المرْحلة مِن خِدْمته، أَرسَل يَسُوع رُسلَه (مَتَّى ١٠: ١-٥) وَقَام بِعَمل مُعجزَات وَاضِحة فِي اَلعدِيد مِن اَلمُدن، لَكِن تِلْك اَلمُدن رَفضَت رِسالَته إلى حدٍّ كبير. وَفجْأَة سُمِح لَنَا أن نَسمَع يَسُوع وَهُو يسبِّح أَبَاه السَّماويَّ على الاسْتقْبال غَيْر المتساوي لِرسالة الإنْجيل: «أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الآبُ رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، لأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلأَطْفَالِ. نَعَمْ أَيُّهَا الآبُ، لأَنْ هكَذَا صَارَتِ الْمَسَرَّةُ أَمَامَكَ» (مَتَّى ١١: ٢٥-٢٦). مَا يَجرِي

بَيْـن يَسُـوع وأبيـه هُنَـا هُـو رِسـالة فـرح مُشـتَرَك يُعبَّـر عَنهَـا بِلغـة المسَـرَّة. إذ يَعتَـرِف يَسُـوع بِتوافقـه الكامـل مـع مَسـرَّة اَلآب ويسْـتَمرُّ فِـي إعلَان أنَّ «كُلُّ شَـيْءٍ قَـدْ دُفِـعَ إِلَـيَّ مِـنْ أَبِـي، وَلَيْـسَ أَحَـدٌ يَعْـرِفُ الابْـنَ إِلاَّ الآبُ، وَلاَ أَحَـدٌ يَعْـرِفُ الآبَ إِلاَّ الابْـنُ وَمَـنْ أَرَادَ الابْـنُ أَنْ يُعْلِـنَ لَـهُ» (متَّـى ١١: ٢٥-٢٧).

مَـا يَصفُـه يَسُـوع هُنَـا هُـو دَائِـرة مُغلَقَـة مِـن المعْرفـة الإلهيَّـة: الشَّـخْص اَلوحِيـد اَلـذِي يَعـرِف الابْـن هُـو اَلآب، والشَّـخْص اَلوحِيـد اَلـذِي يَعـرِف اَلآب هُـو الابْـن. الطَّريقـة الوحيـدة لِلدُّخـول إلـى هَذِه الدَّائـرة هِـي مَسـرَّة اَللَّـه، اَلـذِي يَدعُـو النَّـاس إِلَيْهَـا عِنْدمَـا يَخْتـار الابْـن أن يُعْلِـن عـن اَلآب، اَلـذِي يَعـرِف الابْـن، اَلـذِي يَعـرِف اَلآب، اَلـذِي يَعـرِف الابْـن، وهكـذَا. وهكـذَا تَـدُور الدَّائـرة. مَـاذَا يُمْكِـن أن يُقَـال أيْضًـا؟ يَتَوجَّـه يَسُـوع علـى الفـوْر إِلـى اَلجُمـوع بِدعْـوة مُبَاشـرَة (كاسـرًا حَاجِـز الرِّوايـة مُخاطِبًـا القـارئ): «تَعَالَـوْا إِلَـيَّ يَـا جَمِيـعَ الْمُتْعَبِيـنَ وَالثَّقِيلِـي الأَحْمَـالِ، وَأَنَـا أُرِيحُكُـمْ» (مَتَّـى ١١: ٢٨). يَبـدَأ يَسُـوع اَلمقطـع بِالْحديـث مـع أبيـه مُتجـاوزًا إِيَّانَـا؛ وَينهِيـه بِالتَّحـدُّث إِلَيْنَـا مُبَاشـرَةً؛ وَفِـي المنْتصـف، يُقـدِّم بَعْـض اللاَّهـوتِ اَلمُكثَّـف بِشـأن مَعرِفـة اَلآب والابْـن، وَهُـو مَـا نُدعَـى نَحْـن إِلَيـه.

وَلكِن أَيْن الرُّوح اَلقُدُس؟

لِنتجاهـل لِلحْظـة حَقِيقَـة أنَّ اَلقُـرَّاء قـد تعلَّمـوا بَعْـض الأشْـياء عـن الـرُّوح فِـي إِنْجيـل مَتَّـى؛ فقـد كان حاضـرًا بِـشَكلٍ وَاضِـحٍ فِـي المعْموديَّـة، علـى سـبيل المثَـال (مَتَّـى ٣: ١٦). ولنتجاهـل لِلحْظـة حَقِيقَـة أنَّ يَسُـوع القائـم مِـن بَيْـن الأمْـوات سيسْـتخْدم الطَّريقـة نفسـهَا فِـي اَلحدِيـث عـن «اَلآب» و«الابْـن» بِهَـذه النَّبْـرة اليوحنَّاويَّـة

المُطْلقة، فِي خَاتِمة مَتَّى السَّيِّديَّة، حَيْث سيضيف اِسْم الرُّوح اَلقُدُس بِوصْفه الاسْم اَلوحِيد اَلذِي يَستَحِقُّ أن يُقَال إلى جَانِب اِسْمَي اَلآب والابْن بِاعْتباره اِسْمًا واحدًا يَجِب أن يَعتَمِد إِلَيه المؤْمنون (مَتَّى ٢٨: ١٩). فَإِذَا نحَّيْنَا جانبًا حُضُور الرُّوح الواضح فِي بِداية الإنْجيل ونهايته؛ يَكُون السُّؤَال اَلذِي نُريد أن نطْرحه هُنَا فِي مَتَّى ١١ هُو، أَيْن الرُّوح؟ كَيْف يُمْكِن لِيسوع أن يُقدِّم هذَا العرْض الكامل بِشَكل مَلحُوظ لِمعْرِفة اَللَّه المُعْلنة دُون ذِكْر الرُّوح اَلقُدُس بِشَكلٍ صريحٍ؟

اَلْجَواب سَهْل بِمَا يَكفِي: إِنَّ يَسُوع يَعرِف دائمًا مَا يفْعله. فالرُّوح، اَلذِي لَم يُذكَر هُنَا صَراحَةً، هُو، ضِمْنيًّا، الشَّخْص اَلذِي **فِيه** يَحدُث كُلُّ شَيْء. إِذَا أردْنَا المجازفة بِإِعادة صِياغة سبب عدم ذِكْر يَسُوع لِلرُّوح، فَرُبَّمَا يُمْكننَا أن نَقُول هذَا: الشَّيْء الرَّئيسيُّ اَلذِي يَجِب أن نَقُولَه عن معْرفتنَا بِاللَّه هُو أَنَّنَا نَعرِف اَلآب فِي الابْن، والابْن فِي اَلآب. لَقد قال يَسُوع الشَّيْء الرَّئيسيَّ. لَا يَنبَغِي لَنَا اِفتِراض أَنَّنَا نَستطِيع تَصحِيح لَاهُوته أو أن نتَّهمه بِتجاهل الرُّوح اَلقُدس وَأَنَّه يُنَادِي بِثنائيَّة أقنوميَّة وَظيفِيَّة عِوَضًا عن الثَّالوث. بل بِالْأَحْرى، عليْنَا أن نَتَعلَّم مِنْه مُبَاشرَةً أنَّ كوْننَا مشْمولين فِي مَعرِفة اَلآب والابْن لِبعْضهمَا البعْض هُو الشَّيْء الأساسيُّ. وَحَقيقَة أنَّ لَديْنَا هَذِه المعْرفة فِي الرُّوح اَلقُدُس هِي عِبارة ثَانويَّة، تقْريبًا بِمثابة عِبارة عن العبارة. إِنَّ التَّكَلُّم بِوضوحٍ عن الرُّوح اَلقُدُس هُو بِمثابة الرُّجوع خُطوَة إِلى الورَاء، لِلْحصول على أُفُق أَوسَع حَوْل الوعْي المباشر بِلقاء اَلآب والابْن عِنْدمَا يُدْخلونَنَا فِي شَركتِهم؛ فِي الرُّوح اَلقُدُس.

إِنَّ حَركَـة الإعْلان الإلَهـيِّ لَا تَتِـمُّ إلاَّ إِذَا تَمَّمهَـا الـرُّوح اَلقُـدُس. فَفِـي الـرُّوح اَلقُـدُس فقـط يَجعَـل الابْـن اَلآب مَعرُوفًـا. لَكِـنَّ هـذَا المقْطـع لَا يَقُـول ذَلِـك، ولَا حـرج فِـي هـذَا المقْطـع. مِـن الواضـح أَنَّـه يُمْكِـن تَقدِيـم تَعلِيـم عـن مَعرِفـة اَللَّـه دُون ذِكْـر الـرُّوح اَلقُـدُس صَراحَـةً. لَقـد فعـل يَسُـوع ذَلِـك.

فِـي تَارِيـخ التَّعْليـق علـى هـذَا اَلمقطع، لَـم يَسـتنْتِج اللاَّهوتيُّون أبـدًا أنَّ الـرُّوح غَيْـر المذْكـور كان غائبًـا بِطريقـةٍ أو بِأخْـرى. يُحَـاجُّ تُومَـا الأكْوينـي Thomas Aquinas (١٢٢٥-١٢٧٤) بِأنَّنَـا بِحاجـة بِالْفِعْل إِلـى الاعْتـراف بِالْحضـور اَلضمْنِـيِّ لِلـرُّوح اَلقُـدُس حَتَّـى عِنْدمَـا يَقُول يَسُـوع إنَّـه لَا أحـد يَعـرِف اَلآب إلاَّ الابْـن. «فعنْدَمَـا يَقُـول هُنَـا ‹إلاَّ الابْـن› فَهُـو لَا يَسـتبْعِد الـرُّوح اَلقُـدُس اَلـذِي هُـو وَاحِـد معـه فِـي الطَّبيعـة».[8] يُـدْرِك جُـون كَالفِـن John Calvin (١٥٠٩–١٥٦٤) أيْضًـا أنَّ تَقدِيـم تَفسِـيرٍ لَاهُوتـيٍّ كَامِـلٍ لِمَـا يَحـدُث فِـي مَتَّـى ١١ يَتَطلَّـب ذِكْـر الـرُّوح اَلقُـدس، حَيْـث «إِنَّهـا عَطيَّـة اَلآب أن يُعـرَف الابْـن، لِأَنَّـه بِروحـه يَفتَـح عُيُـون أذْهانَنَـا وَنـدرِك مَجْـد اَلمسِـيح اَلـذِي لَـولَا ذَلِـك لَكَان مخْفيًّـا عَنَّـا».[9] إِذًا، فالـرُّوح لَيْـس غائبًـا عـن الحـدث اَلفعْلِـيِّ، لَكنَّـه مُسْـتثْنى مِـن كلمـات يَسُـوع فِـي شَـرحِه.

مَـا اَلـذِي يَجـرِي هُنَـا؟ مِـن اَلمنْصِـف أن نَقُـول إِنَّ يَسُـوع تَحـدَّث كثيـرًا طَـوَال خِدْمتـه عـن أبيـه، وَتَحـدَّث قلـيلاً نِسْـبيًّا عـن الـرُّوح اَلقُـدُس. لَقـد كان هَدفُـه اَلمُعلَـن هُـو أن يَجعَـل أَبَـاه

8 Thomas Aquinas ,*Commentary on Matthew* ,chap. 11, lectio 3, par. 965 ,https //:aquinas.cc/ la/ en/~Matt.

9 John Calvin ,*A Harmony of the Gospels Matthew, Mark, and Luke* ,trans. T. H. L. Parker (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1995), 2:24.

مَعرُوفًا، وليْس أن يَجعَل الرُّوحَ اَلقُدُسَ مَعرُوفًا. أحد الأسْباب الواضحة لِذَلك يَتَعلَّق بِالْخطِّ الزَّمَنيِّ الإلَهيِّ لِلْوحْي. لَقد أَرسَل اَلآب يَسُوع فِي مُهمَّتِه الخاصَّة، وَلكِن لَاحقًا، على أَسَاس تِلْك الإرْساليَّة المكْتملة، سَيرسِل هُو والْآب معًا الرُّوحَ اَلقُدُسَ. يُذكِّر إِنْجيل يُوحنَّا القارئ بِأنَّ يَسُوع عِنْدمَا أَشَار إِلى الرُّوح اَلقُدُس كان يَتَحدَّث مُقَدَّمًا عَمَّا سَيتِمُّ تحْقيقه لَاحقًا: «قَالَ هذَا عَنِ الرُّوحِ الَّذِي كَانَ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ مُزْمِعِينَ أَنْ يَقْبَلُوهُ، لأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أُعْطِيَ بَعْدُ، لأَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَكُنْ قَدْ مُجِّدَ بَعْدُ» (يُوحنَّا ٧: ٣٩). وَلكِنَّ هُنَاك سببًا آخر لِتحدُّث يَسُوع كثيرًا عن اَلآب وقليلاً عن الرُّوح اَلقُدُس، وَهُو سبب أَعمَق ويتعَلَّق أَكثَر بِشَخص وَعمَل الرُّوح. إنَّ الرُّوح اَلقُدُس هُو أَكثَر مِن مُجرَّد اَلعُنصر الثَّالث فِي التَّسلْسل الزَّمَنيِّ أو التَّرْتيب المنْطقيِّ فِي قَائِمة الأشْياء اَلتِي سَيتِمُّ الإعْلان عَنهَا؛ فالرُّوح اَلقُدُس هُو أيْضًا اَلقُوَّة الفعَّالة لِلْإعْلان الحادث خِلَال ذَلِك التَّسلْسل بِأكْمَله.

«إِنَّه ذَلِك الشَّخْص اَلذِي يُخْرجنَا مِن ذَواتِنا»

وَلكَي نَنتَقِل مِن لُغَة الأناجيل إِلى لُغَة رَسائِل بُولُس، يُمْكننَا أن نصيغ الأمْرَ على هذَا النَّحْو: عِنْدمَا يَكُون لَدى النَّاس إِيمَان، فإنَّهم يَدعُون يَسُوع رَبَّهُم وَاَللَّه أَباهم. إنَّ دَعوَة يَسُوع ربًّا لَك، وَاَللَّه أبًا لَك، هُو اِعتِراف قَوِيٌّ وَفَعَّال بِالْإيمان. وَلكِن هَذَان الاعْترافان لَا يُمْكِن قَولُهما إِلاَّ بِتمْكِين مِن الرُّوح اَلقُدُس. «وَلَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ: ‹يَسُوعُ رَبٌّ› إِلاَّ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ» (كُورنثوس اَلأُولى ١٢: ٣)، وَكذَلِك «أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَنِّي الَّذِي بِهِ

نَصْـرُخُ: ‹يَـا أَبَـا الآبْ›» (رُوميـة ٨: ١٥). إِنَّ الـرُّوح اَلقُـدس هُـو اَلـذِي يَجعَـل اِعتِـراف الإيمـان مُمْكِنًـا وَفعلِيًّـا، لَكِنَّـه لَا يَفعَـل ذَلِـك بِجَعـل نَفسِـه هدفًـا ومرْكَـزًا لِلانْتبـاه. بـل هُـو يَفعَـل ذَلِـك بِجَعـل يَسُـوع والآب مَوضِـع اِهتِمـامٍ مُركَّـزٍ.

فِـي أَثنَـاء خِدْمتـه الكتابيَّـة، كان لَـدى بُولُـس سـبب وجيـه لِإيلَاء اِهتِمـامٍ خـاصٍّ لِشَـخص وَعمَـل الـرُّوح اَلقُـدُس، خَاصَّـةً فِـي إِطَـار اِسْـتجابته لِمشـكلات الكنيسـة والتَّحدِّيـات اللاَّهوتيَّـة. وليْـس مِـن قَبيـل المصادفـة أنَّ المقاطـع المفيـدة المذْكـورة أَعلَاه هِـي مِـن الإِصْحاحـات اَلغنِيَّـة بِعلْـم لَاهُـوت الـرُّوح اَلقُـدُس مِـن رُوميـة ٨ وكورنثـوس اَلأُولى ١٢. هـذَا الاهْتمـام اَلْخـاصُّ يَجعَـل كِتاباتـه بِمثابة مُسَـاعدَة حَاسِـمة فِـي فَهْـم الـرُّوح. ومـع ذَلِـك، فَـإِنَّ الاتِّجـاه اَلْعـامَّ لِمَـا عَلَّـم بِـه بُولُـس يَتبَـع حثيثًـا مَـا عَلَّـم بِـه يَسُـوع، فَهُـو كثيـرًا مَـا يكتُـب عـن يَسُـوع والآب، وقليلاً مَـا يكتُـب عـن الـرُّوح. يُـردِّد بُولُـس أيْضًـا صـدى يَسُـوع فِـي الإِدْلاء بِتصْريحـات لَاهوتيَّـة قَويَّـة تَفتَـرِض مُسْـبَقًا وُجُـود الـرُّوح اَلقُـدُس، وَلَكِـن تَتركُـه فِـي الخلْفيَّـة فِـي حِيـن تضـع اَلآب والابْـن فِـي الصَّـدارة. إِنَّ يَسُـوع وَرسُـله يتَّبعـون القاعـدة العامَّـة نَفسـها، إِذ يتحدَّثـون دائمًـا فِـي الـرُّوح وَلَكِـن فقـط فِـي بَعْـض الأَحْيـان عـن الـرُّوح.

مِثَـال جَيِّـد علـى ذَلِـك هُـو الطَّريقـة اَلتِـي يَبـدَأ بِهَـا بُولُـس رَسـائِله بِـشَكلٍ مُميَّـزٍ: «نِعْمَـةٌ لَكُـمْ وَسَلاَمٌ مِـنَ اللهِ أَبِينَـا وَالـرَّبِّ يَسُـوعَ الْمَسِـيحِ» (أَفسـس ١: ٢). لَقـد لَاحَـظ تُومـاس غُودْوِيـن Thomas Goodwin (١٦٠٠-١٦٨٠) إِغفَـال الـرُّوح مِـن هَـذِه العبـارة: «أَيْـن الـرُّوح اَلقُـدس؟ يَـرِد هُنَـا ذِكْـر اَللَّـه اَلآب وَيسُـوع اَلمسِـيح

فقـط... فمَـا عَسَـاه أن يكُـون سـبب ذَلِـك؟»[10] يُسَـرُّ غُودْوِيـن أن يُعْطينَـا إجابتيْـنِ لِسـؤاله. فِـي أَبعَـد مَـا يَكُـون عـن كَونِـه مُحْرَجًـا مِـن قُصُـور بُولُـس المفْتـرض عـن ذِكْـر الـرُّوح اَلقُـدس، فَإنَّـه يَجـذِب اَلقُـرَّاء إِلـى اَلعُمـق اللاَّهوتـيِّ لِهَـذه الطَّريقـة الكتابيَّـة المميَّـزة فِـي اَلحدِيـث.

اَلْجَـواب الأوَّل لغودْويـن هُـو أَنَّـه عِنْدمَـا نَقـرَأ فِقْـرَةً كَهـذِه، يَجِـب أن نَفهَـم أنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس مَشـمُول ضِمْنيًّـا: «الأمْـر لَيْـس أنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس لَا يَمنـح هَـذِه [النِّعْمـة والـسَّلام] كمَـا يَفعَل اَلآب والابْـن، ولَا أَنَّـه لَيْـس مَقصُـودًا هُنَـا فِـي هَـذِه البرَكـة. كلاَّ، فَـإنَّ أَعمَـال الثَّالـوث غَيْـر مُقَسَّـمَة. فَـإن كَانَـت البرَكـة مِـن اَلآب والابْـن، فَهِـي مِـن الـرُّوح اَلقُـدس أيْضًـا».[11] إنَّ سـبب اِفتِـراض وُجُـود الـرُّوح اَلقُـدُس مـع اَلآب والابْـن هُـو أنَّ بَقيَّـة الكتَـاب اَلمُقـدَّس يُدَرِّبنَـا على اَلعَـدِّ إِلـى ثَلاثَـة فِـي مَسـائِل البرَكـة الإلهيَّـة. عِلاوةً على ذَلِـك، يـرى غُودْوِيـن الحقيقـة نفسـها اَلتِـي تـمَّ ذِكْرهَـا بِـشَكلٍ أَكثَـر اِكْتمـالاً وتثْليثًـا فِـي البرَكـة الأخيـرة اَلتِـي قدَّمهَـا الرَّسـول فِـي الرُّؤْيَـا ١: ٤-٥: «نِعْمَـةٌ لَكُـمْ وَسَلاَمٌ مِـنَ الْكَائِـنِ وَالَّـذِي كَانَ وَالَّـذِي يَأْتِـي، وَمِـنَ السَّـبْعَةِ الأَرْوَاحِ الَّتِـي أَمَـامَ عَرْشِـهِ، وَمِـنْ يَسُـوعَ الْمَسِـيحِ».[12] يَعتَبـر

10 Thomas Goodwin, *An Exposition of the Epistle to the Ephesians*, vol. 1, *Works of Thomas Goodwin* (Edinburgh: James Nichol, 1861), 21.
كتب غودوين ١٨ صفحة مكدَّسة تعليقًا على آيتين فقط أفسس ١: ١-٢

11 Goodwin ,*Epistle to the Ephesians,* 1:21.

12 Goodwin ,*Epistle to the Ephesians* .1:21 ,
إنَّ «الأرواح السبعة» في سفر الرؤيا يظهرون بشكلٍ غامضٍ ولكن يصحُّ تفسيرهم على أنَّهم طريقة مثيرة للإشارة إلى الروح القدس في حضوره للكنائس. انظر:
Brandon Smith ,*The Trinity in the Book of Revelation* :*Seeing Father, Son, and Holy Spirit in John's Apocalyps,* (Downers Grove, IL :IVP Academic, 2022), 151–65.

غُودْوِين أنَّ الكتَاب اَلمُقدَّس قد أَبلَغه بِشَكلٍ كافٍ عن الثَّالوث. لَقد علَّمه أنَّ اَللَّه هُو اَلآب والابْن والرُّوح اَلقُدُس، وأنَّ البرَكة الإلهيَّة تَأتِي مِن هؤلاء الأشْخاص الثَّلاثة. وَكمُفسِّر، فَهُو لَا يرى حَاجَة إلى حَشْو إشارة التَّثْليث الكامل فِي كُلِّ مَرَّة يَرِد فِيهَا ذِكْر اِثْنيْنِ فقط مِن الأشْخاص الإلهيَّيْنِ، لَا سِيَّما عِنْدمَا يُذكَر اَلآب والابْن فِي حِين يُحذَف الرُّوح.

بِمجرَّد أن يَنتَقِل غُودْوِين مِن أَفسس ١: ٢ إلى أَفسس ١: ٣، يُصَادِف مَرَّةً أُخرَى نَفْس الاسْميْنِ (وليْس الثَّلاثة) فِي اَلآيَة التَّالية: «مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» وَلَكنَّه هَذِه المرَّة لَا يَتَوقَّف لِيسْأل: «أَيْن الرُّوح اَلقُدس؟» لِمَاذَا؟ لِأَنَّه قد أَثبَت بِالْفِعْل وُجهَة نَظرِه بشأنِ وُجُود الرُّوح حَيثُما كان اَلآب والابْن. فَقَد سبق أن قال إنَّه إِذَا أَخبَرك الكتَاب بِوضوح أنَّ الثَّلاثة موْجودون ونشطون حَيثُما كان وَاحِد أو اِثْنيْنِ مِنْهم، فلن تَكُون هُنَاك حَاجَة إلى نَفس الكتَاب أن يُكرِّر نَفْس النُّقْطة صَراحَةً فِي كُلِّ مُنَاسبَة. إنَّ كان غُودْوِين قد أَقحَم إشارة لِلرُّوح فِي التَّعْليق اَلذِي يَكتُبه، لِصَار هذَا اِنْتهاكًا لِمبْدأ التَّفْسير اَلْخاصّ بِه. وتمامًا كمَا يُطبِّق هُو المبْدأ على قِراءة الكتَاب اَلمُقدَّس، يَتَوقَّع غُودْوِين مِن قُرَّائه أن يُطبِّقوا المبْدأ نَفسه عليْه. إنَّ اَلْجَواب الأوَّل لَدى غُودْوِين على السُّؤَال: «لِمَاذَا لَا يَذكر بُولُس الرُّوح اَلقُدُس؟» هُو تَقدِيم قَاعِدة بِشَأن القراءة الصَّحيحة. بِالنِّسْبة إلَى الْقارئ اَلذِي يَأخُذ فِي الاعْتبار مَا هُو وَاضِح فِي أحد أَجزَاء الكتَاب، سيمكنه اِفتِراض التَّعْليم الواضح صمْتًا فِي أَجزَاء أُخرَى مِن الكتَاب.

لَكِنَّ اَلْجَواب الثَّاني لَدى غُودْوِين يَذهَب إلى مَا هُو أَعمَق، بِمعْنى أَنَّه يَفحَص شَخْص وَعمَل الرُّوح فِعْليًّا. إنَّ الآيَات اَلأُولى مِن أَفسس لَا تُمثِّل حِيودًا خاصًّا، والرُّسل تقْريبًا لَا يَذكُرون الرُّوح اَلقُدس فِي البركات الافْتتاحيَّة فِي أيٍّ مِن رسائلهم. لِماذَا؟

> والسَّبب هُو أَنَّه مِن وظيفَته وَعمَلِه أن يُعْلِن عن النِّعْمة والسَّلَام وأن ينْقلهمَا مِن اَلآب والابْن. وَمِن ثمَّ، فَإنَّه حقًّا وَفِي الواقع، تَأتِي البركات مِن الرُّوح اَلقُدُس بيْنمَا تُطلَب فِي الصَّلَاة نفْسهَا الهادفة لِإيصَال النِّعْمة والسَّلام مِن اَللَّه اَلآب والْمسيح... إنَّه ذَلِك الشَّخْص اَلذِي يقودنَا مِن أَنفسِنا إلى نِعْمَة اَللَّه اَلآب، وَإلَى السَّلَام والتَّرْضية اللَّذَين صَنَعهمَا يَسُوع اَلمسِيح. هَذَان الشَّخْصان الآخران هُمَا محطُّ إيمانَنا ومبْعث تعزياتنَا مِن خِلَال أعْمالهمَا العديدة، وَلكِنَّ الرُّوح اَلقُدُس هُو الواجد والْمفعِّل لِإيمانَنا بِهمَا، والتَّعْزية اَلتِي نَتمتَّع بِهَا فِيهمَا ومنْهمَا.[١٣]

هَذه هِي سَجيَّة الكتَاب اَلمُقدَّس، حَيْث يُقدِّم اَلآب والابْن كَمحَطٍّ لِلاهْتمام والانْتباه، بِقوَّة الرُّوح اَلقُدُس، اَلذِي هُو «الواجد والْمفعِّل»، أي الأصْل والْقوَّة الفعَّالة لِاهْتمامنَا وانْتباهنَا اَلأمِين لَهمَا. يُظْهِر الرُّوح قُوَّتَه القديرة وألوهيَّته الكاملة فِي أَغلَب الأحْيان مِن خِلَال تقْديمه الفعَّال لِلشَّخْصيْن الآخرين فِي الثَّالوث. وَكمَا يَقُول غُودْوِين: «نَحْن نَنظُر إلى اَللَّه اَلآب كنبْع النِّعْمة، ونَنْظر إلى يسوع الْمسيح كنبْعٍ لِسلامنَا. وَلكِن علَيْنَا أن

13 Goodwin, *Epistle to the Ephesians* , 21.

نَنظُر إِلى الـرُّوح اَلقُـدُس بِاعْتبـاره كَاشِـفًا لِكلٍّ مِـن هذيْـنِ الاثْنيْـنِ».[١٤] إِنَّنـا لَـم ننـل نِعْمَـةً وَسَلامًـا مِـن اَلآب والابْـن إِلاَّ بِالـرُّوح. لَقـد كان الـرُّوح اَلقُـدُس دائمًـا هُـو مَـن يَجلِـب لَنَـا كُلَّ بَـرَكات الـخلَاص. لَقـد كان حاضـرًا ونشـطًا طَـوَال الوقْـتِ، حَتَّـى عِنْدمَـا ظـلَّ حُضـوره وعملـه مُسْـتترين.

العمل الرَّئيسيُّ فِي الأشْياء الرَّئيسيَّة

لَقـد رأيْنَـا أنَّ النَّمـط اَلْعـامَّ لِلْإعْلان الكتابـيِّ هُـو أنَّ حُضُـور الـرُّوح اَلقُـدُس يُصْبِح واضحًـا فِـي نِهايـة العمليَّـة، وَلكِـن بَعْـد ذَلِـك يَتَّضِـح أَنَّـه كان مَوجُـودًا دائمًـا. فِـي بَعْـض الأحْيـان يَبـدُو لَنَـا أَنَّـه يُقـدَّم إِلَيْنَـا فِـي وَقْـت مُتَأخِّـر، كمَـا لَـو كان فِكْـرَة تَلوِيَّـة (ثَانويَّـة). إِنَّ اَللَّـه لَيسَـت لَديْـه أَفكَار تلويَّـة. لَكِـن لَديْـه، على مَـا يَبـدُو، اِفْتراضات مُسبَّقَة غَيْـر مُعلنَـة، وَهُـو يُسَـرُّ أن يقودَنَـا إِلـى الوعْـي اللاَّحـق بِهَـا. وهكـذَا رأْينَـا الكتَـاب اَلمُقـدَّس يُرْشـدنَا إِلـى اللِّقَـاء بِالـرُّوح اَلقُـدُس، لَيْـس كَفِكـرَة لَاحِقـة، بـل دائمًـا كافْتـراض مُسـبَّق.

إِنَّ الشَّـيْء الحاسـم فِـي فَهْـم هـذَا الإعْلان التَّراتبـيِّ، هُـو أنَّ العمـل الرَّئيسـيَّ لِلـرُّوح اَلقُـدُس يَكمُـن فِـي الأشْـياء الرَّئيسـيَّة؛ أيْ النِّعْمـة والـسَّلام مِـن اَلآب والابْـن. مِـن اَلمغْـرِي لِلْغايـة تَجـاوُز عمل الـرُّوح اَلقُـدُس هـذَا بِاعْتبـاره، علـى حـدِّ تَعبِيـر غُودْوِيـن، «مُعْلِنًـا عـن كِلَيْهِمَـا... مِـن كِلَيْهِمَـا» بِهَـدف الانْتقـال إِلـى شَـيْءٍ خـاصٍّ وفريـد يَتَعلَّـق بِالـرُّوح وَحـده. وَلكِـن علَيْنَـا أن نُقَـاوِم هَـذِه التَّجْربـة إِذَا أردْنَـا أن نَأخُـذ الكتَـاب اَلمُقـدَّس كَمرشِـد لَنَـا. إِنَّ اَلجُـوع لِمعْرِفـة

14 Goodwin, *Epistle to the Ephesians* , 21.

الـرُّوح بِـشَكلٍ أَفضَـل وفهْـم شَـخصِه وَعمَلِـه بِـشَكلٍ أَكمَـل هُـو جُـوع إِلَهـيٌّ وَعَلامَـة على الصِّحَّـة الرُّوحيَّـة. لَكِـن لَيسَـت كُلُّ الطُّـرق لِإِشْـبَاع هـذَا اَلجُـوع على نَفْـس القـدْر مِـن التَّقْـوى أو الصِّحَّـة. إِذ يَجِـب البحْـث عـن الـرُّوح اَلقُـدُس بِطريقـة تَتَبَّـع عَملَـه اَلْخـاصَّ إِلى أَقصَـى حـدٍّ مُمْكِـن. وَهـذَا يَعنِـي أَنَّـه يَجِـب البحْـث عَنْـه رُوحيًّـا. ومرْكـز الجاذبيَّـة لِعملـه لَا يقـع خارجًـا فِـي مَجمُوعـة جَدِيـدَة مِـن المعْلومـات أو مَجمُوعـة جَدِيـدَة مِـن المغامـرات بِالتَّجـاوز عـن اَلآب والابْـن، بـل بِالْأَحْـرى فِـي وَسـطِهِم. يَجِـب أن يَبـدَأ الفهْـم الرُّوحـيُّ مِـن هُنَـا إِذَا أردْنَـا تَجنُّـب سُـوء تَفسِـير مَـا يقولـه الكتَـاب اَلمُقـدَّس عـن الـرُّوح اَلقُـدُس حَتَّـى فِـي تِلْـك المقاطـع اَلتِـي تُشـير إِلَيـه بِـشَكلٍ مُتَفـرِّدٍ بِـه وتعلِّـم مُبَاشـرَةً عَنْـه. إِنَّ مَسِـيرَة الإِيمـان فِـي اَلشـرِكة مـع الـرُّوح اَلقُـدُس لَا تَقُـود بعيـدًا عـن اَلآب والابْـن.

لِلْأسـف، إِنَّ التَّغاضـي عـن الـرُّوح اَلقُـدُس هُـو خطـر حَقيقِـيٌّ. فالْعديـد مِـن الكنائـس تعيـش، وَكـذَا اَلعدِيـد مِـن المسـيحيِّين يُفكِّـرون ويشْـعرون بِطريقـة تُقلِّـل مِـن قِيمـة الـرُّوح اَلقُـدُس وَتحُـطُّ مِـن قَـدره. لَكِـنَّ اَلخُطـوة اَلأُولـى فِـي تَصحِيـح هـذَا الخلـل هِـي الاعْتـراف بِـأَنَّ حُضُـور الـرُّوح اَلقُـدُس وَقوَّتـه كَانَـا دائمًـا عَامِلَيـن فِـي قَلْـب الإِنْجيـل نَفسِـه؛ وَأَنَّـه مـن دون الـرُّوح اَلقُـدُس، لَيْـس لَديْنَـا اَلآب ولَا الابْـن أَيْضًـا. إِنَّنَـا نَلتَقِـي بِالـرُّوح اَلقُـدُس حَيْـث هُـو، فِـي الواقـع المرْكـزيِّ لِلْوجـود المسـيحيِّ مـع اَلآب والابْـن، بـدلاً مِـن أن نَلتَقِـي فِـي مِنطَقـة ثَالِثـة خَارِجِيَّـة تَتَجـاوَز هـذَا المرْكـز.

إِنَّ تُومـاس غُودْوِيـن، اَلـذِي كان بليغًـا جِـدًّا فِـي شَـرْح كَيْـف أَنَّ النِّعْمـة والـسَّلام اللَّذَيْـنِ يأْتيَـان إِلَيْنَـا مِـن اَلآب عَبْـر الابْـن

يـصلان إِلَيْنَـا فقـط فِـي الـرُّوح بِاعْتبـاره «مُعْلِنًـا عـن كِلَيْهِمَـا... مِـن كِلَيْهِمَـا» لَديْـه أَيْضًـا اَلكثِيـر لِيقولـه عـن الـرُّوح اَلقُـدُس على وَجْـه اَلخُصـوص. كمَـا أنَّ اَلمُجلَّـد السَّـادس مِـن أَعمَـال غُودْوِيـن، **عمـل الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي خَلاصِنـا The Work of the Holy Ghost in our Salvation**، هُـو أُطرُوحَـة مُمتـازَة وَواسِـعة تَمتَـدُّ إِلـى أَكثَـر مِـن خمْسـمئة صَفحَـة.[١٥] يَفتَتِـح غُودْوِيـن هـذَا اَلمُجلَّـد بِرثـاء صَـادِق وملـحٍّ: هُنَـاك إِغفَـال عـامٌّ لَـدى قِدِّيسـي اَللَّـه، يَتَمثَّـل فِـي عـدم إِعطَـاء الـرُّوح اَلقُـدُس هـذَا المجْـد المسْـتحقِّ لِشـخْصه، ولعمَلـه الخلاصـيِّ اَلعظِيـم فِينَـا، حَتَّـى أَنَّنَـا نَكَاد نَكُـون قـد فقدْنَـا هـذَا الشَّـخْص الثَّالـث فِـي قُلوبِنَـا تقْرِيبًـا.[١٦] إِنَّ غُودْوِيـن هُـو بِوضـوح يَنتَمِـي إِلَـى أولَئـك الَّذيـن يَشـعُرون بِالْقَلـق مِـن نَحْـو تَجاهُـل الـرُّوح اَلقُـدُس. فَهُـو يَرغَـب بِشـدَّة فِـي رُؤيَـة المسيحيِّين يعْطُـون «شـرفًا لَائقًـا» لمَـن شَـخصه يُعَـدُّ أَساسِـيًّا ومتسـاويًا مـع اَلآب والابْـن، وَالـذِي، فِـي عَملِـه، «مـع كَونِـه يَأْتِـي فِـي آخـر مَرْحَلـة مِـن حَيْـث تحْقيقـه فِينَـا، فَهُـو لَيْـس دونهمَـا، ولَا أَدنَـى فِـي مَجـدِه مِمَّـا لَهمَـا فِـي ذاتيْهمَا».[١٧] وتحْقيقًـا لِهَـذه الغايـة، يُكـرِّس غُودْوِيـن كِتابـه لِدراسـة عَمِيقَـة لِلـرُّوح اَلقُـدُس، عـاملاً مِـن خِلَال المقاطـع الرَّئيسـيَّة، ومسْتكْشـفًا اَلعدِيـد مِـن العناصـر العقائديَّـة والاخْتباريَّـة للنِّيوماتولوجيـا. وَهُـو يكتُـب: «إنَّ نِطَـاق هَـذِه الأطْروحـة هُـو أن أضـع أمامـك هـذَا العمـل [لِلـرُّوح] فِـي كُلِّ سِـعَته، عَسَـاك فِـي

15 Thomas Goodwin, *The Work of the Holy Ghost in Our Salvation,* vol. 6, The Works of Thomas Goodwin (Edinburgh: James Nichol, 1863).

16 Goodwin, *Work of the Holy Ghost* , 3.

17 Goodwin, *Work of the Holy Ghost* , 3.

النِّهايـة أن تُكـرم فِـي قَلبِـك هـذَا الـرُّوح المبـارك والْقـدُّوس».[١٨] واسْـتراتيجيَّته الأساسـيَّة لِإكْـرَام الـرُّوح اَلقُـدُس هِـي إِظهَـار أنَّ الـرُّوح يُشَـارِك مَركزِيًّـا فِـي عمـل الـخلَاص بِأكْمَلـه. أيْ أَنَّـه يَحفـر لِمَـدى أَعمَـق فِـي جَوهَـر الـخلَاص نَفسِـه ويظْهـر أنَّ كُلَّ مَـا لَديْنَـا مِـن اَلآب وَمِـن خِلَال الابْـن لَا يَأتِـي إِلَيْنَـا إِلاَّ بِالـرُّوح:

> وَفِـي الواقـع، إِنَّ مَـا لَا يَقِـلُّ عـن مَجمُـوع كُلِّ مَـا تـمَّ القيَـام بِـه، أو مَـا يَتَعيَّـن القيَـام بِـه فِينَـا، قـد جُعِـل مِـن نصيـب الـرُّوح اَلقُـدُس مِـن أَجْـل التَّنْفيـذ النِّهائـيِّ، وليْـس علـى سـبيل البواقـي، بـل علـى سـبيل الضَّـرورة والْجسـامة كمَـا لِأيٍّ مِنْهمَـا. لَكنَّـه، كَونُـه الشَّـخْص اَلأخِيـر، فقـد أخـذ القسْـم اَلأخِيـر مِـن العمـل المتعلِّـق بِخلاصنَـا، وَالـذِي هُـو تَطبِيـق كُلِّ شَـيْء، وجعْـل كُلِّ شَـيْء واقعًـا بِالنِّسْـبة لَنَـا، أيًّـا كان مَـا فَعلَـه الاثْنـان الآخـران لَنَـا فِـي وَقْـتٍ سَـابِق.[١٩]

إِذَا كان هَدفُنـا هُـو إِعطَـاء الـرُّوح اَلقُـدُس حـقَّ قَـدرِه، فَـإِنَّ اَلخُطـوة الأكْثـر اِسْـتراتيجيَّة هِـي عـدم التَّسَـرُّع فِـي مَوضُـوع جديـد يعْزلـه عـن الثَّالـوث؛ بـل اَلخُطـوة الأكْثـر اِسْـتراتيجيَّة هِـي الإِصْـرار على أَنَّـه كان مَركزِيًّـا فِـي جميـع أَعمَـال اَللَّـه وَطرقِـه طَـوَال الوقْـتِ. هـذَا هُـو، فِـي الواقـع الطَّريقـة اَلتِـي يعرِّفنَـا الكتَـاب اَلمُقـدَّس إِلـى الـرُّوح اَلقُـدُس، كشـخْص كان دائمًـا فعَّـالاً حقًّـا، شَـخْص نعْرفـه بِالْفِعْـل. لَقـد كُنَّـا تَحْـت تأْثيـره بِالْكامـل حِيـن عرفْنَـا أيَّ شَـيْءٍ عـن اَللَّـه اَلآب أو عـن يَسُـوع اِبْنـه. يُوضِّـح جُـون سِـتوتْ John Stott

18 Goodwin, *Work of the Holy Ghost* , 4.

19 Goodwin ,*Work of the Holy Ghost,* 4.

هَـذِه النُّقْطـة بِهَـذه الطَّريقـة: مـن دون الـرُّوح، سَـتكُون التَّلْمـذة المسيحيَّة مُسْـتحيلةً. لَا يُمْكِـن أن تَكُـون هُنَـاك حَيَـاة مـن دون مَانِـح الحيَـاة، ولَا فَهْـم بِلَا رُوح اَلحَـقِّ، ولَا شَـركَة إلاَّ بِوحْـدة الـرُّوح، ولَا تَشـبُّه بِالْمسـيح بِمعْـزلٍ عـن ثَمـره، ولَا شَـهادَة بِمنْـأى عـن قُوَّتـه.[٢٠]

قـد نَسـأَل لِمـاذَا. لِمـاذَا يَفعَـل الـرُّوح اَلقُـدُس كُلَّ شَـيْء، فـي حِيـن يَحجُـب التَّعْليـم المباشـر عـن نَفسِـه إلـى وَقْـتٍ مُتَأخِّـر مِـن تَارِيـخ الوحْـي؟ إِذَا كان قَصْـد اَللَّـه حقًّـا أن نَصِـل إلـى مَعرِفـة كَامِلـة لِلثَّالـوث بِهَـذه الطَّريقـة المنظَّمـة، فلمـاذَا هـذَا هُـو تصْميمـه؟ لِمـاذَا يُعتَبَـر عمـل الـرُّوح اَلقُـدُس أَساسِـيًّا جِـدًّا مُنْـذ البدايـة، لَكنَّـه تُـرِك مَجهُـولاً نِسْـبيًّا حَتَّـى النِّهايـة؟ لِمـاذَا يَفعَـل اَللَّـه ذَلِـك بِهَـذه الطَّريقـة؟

أَسـئِلة كَهـذِه هِـي جَيِّـدَة، لَكِنَّهَـا وَاسِـعة النِّطَـاق حَتَّـى أَنَّهَـا تُشْـبِه إِلـى حـدٍّ مَـا السُّـؤَال: لِمـاذَا يُوجَـد عَهْـدان فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس؟ لِمـاذَا يَأتِـي اَللَّـه بِالْخلاص مِـن خِلَال مُخطَّـط يُقـدِّم أوَّلاً وعْـدًا ثُـمَّ يُقـدِّم تحْقيقـه؟ إِذَا كان اَللَّـه قـد اِنتَـوى أن يَجُـود بِشَـيءٍ، فلمـاذَا يُقـدِّم هـذَا الهيْكل اَلمُوسَّـع مِـن إِعطَـاء الوعْـد ثُـمَّ تحْقيقه؟ يَظْهـر أنَّ مَسْـأَلة العهْديْـنِ لَيسَـت مُجـرَّد تَوضِيـح مُـوَازٍ لِلدِّينامِيكيَّـة اَلتِـي نُناقشـهَا، بـل هِـي فِـي الواقـع الدِّينامِيكيَّـة نَفسـها. فالـرُّوح يَنتَمِـي إِلـى جَانِـب التَّحْقيـق فِـي ذَلِـك اَلمُخطَّـط: فَهُـو «الـرُّوح اَلقُـدُس الموْعـود» أو «رُوح الوعْـد». لِذَلـك فَمِـن الصَّائـب أن يَرتَبِـط بِالْأَخْرويَّـات، بِشَـيء تُوُقِّـع وأخيـرًا تَحقَّـق. ويبْـدو أنَّ اَللَّـه يُريـد أن

20 John R. W. Stott ,*The Message of Acts* :*The Spirit, the Church, and the World* (Downers Grove, IL :InterVarsity Press, 2020), 60.

يُعِدَّنَا جيِّدًا لِلَّحْظَةِ اَلتِي تَنفَتِح فِيهَا عُيُون قُلوبِنَا وتبْزغ عليْنَا قُوَّة الرُّوح اَلقُدُس. لَقد رَتَّب اَللَّه إِعْلانه لِدرجة أَنَّ لَحظَة ظُهُور الرُّوح لَيسَت مُجرَّد شَيْءٍ تالٍ مُثيرٍ لِلاهْتمام فِي سِلْسلةٍ، أو حَتَّى مُجرَّد آخر نُقطَة فِي خطٍّ زَمنِيٍّ. وَلَكنَّه فِي الواقع، وَفِي نِهاية المطَاف، شَيْءٌ إِتْماميٌّ بِه يكتَمِل مَعنَى كُلِّ شَيْء بِأَثرٍ رَجعِيٍّ وَيجلِب معه كُلَّ مَا جرى مِن قِبل. إِنَّ اَلآب والابْن هُمَا لَنَا فقط فِي الرُّوح كمَا يَتَّضِح؛ وَهذَا كان دائمًا حقَّ خَلاصِنا.

إِنَّ اَللَّه يَجعَل نَفسَه مَعرُوفًا لَنَا بِإِعْدَادٍ دقيق، فِي تَسلسُلٍ مَدرُوسٍ، مُرتَّبٍ جيِّدًا. والرُّوح اَلقُدُس يُشْرِق علَى وعْينَا بَعْد أن اِمْتدَّ خِلَال العهْديْنِ، بَعْد أن تمَّ الإيماء إِلَيه قَبْل أن يُعْلَن بِوضوحٍ، مُشَرفًا بِشَكلٍ مُسبَّق على العمليَّة بِرمَّتِهَا اَلتِي هُو مُتَمِّمهَا. عِنْدمَا نَلتَقِي بِهَذا الشَّخْص، هذَا الشَّخْص اَلذِي نعْرفه بِالْفِعْل، فَإِنَّنَا نَنظُر إِلى الورَاء على مَسَار تعْليمنَا المسيحيِّ بِأَكْمَله وَندرِك أَنَّ طريقَنَا، واخْتبارنَا، والْكتَّاب اَلمُقدَّس اَلذِي نقْرأُه، ومعْرفتنَا بِاللَّه فِي اَلمسِيح، كُلُّ هذَا كان دائمًا مَسكُونًا مِن قِبَل الرُّوح اَلقُدُس.

٢

الرُّوح اَلقُدُس فِي الثَّالوثِ

بِالنِّسْبة إلَى أيِّ شَخْصٍ يُريد أن يَتَعلَّم عن الرُّوح اَلقُدُس، فَإِنَّ تَوافُر الفهْم عن عَقِيدَة الثَّالوث يُمثِّل بِداية عَظِيمَة. فالنيوماتولوجيا هِي جُزْءٌ مِن اللاَّهوتِ الثَّالوثيِّ. لِذَا فَإِنَّ عَقِيدَة الثَّالوث هِي إِطَارٌ تعْليميٌّ قَوِيٌّ يُساعدنَا على تَحدِيد واسْتكْشاف لاَهُوت الرُّوح اَلقُدُس. يَشرَح هذَا الفصْل أساسيَّات عَقِيدَة الثَّالوث ولماذَا تُحدِث فرْقًا فِي فهْمنَا لِلرُّوح اَلقُدُس.

هُنَاك مُخطَّط مُثلَّث صغير مُمْتاز يُظْهِر عَناصِر عَقِيدَة الثَّالوث. الشَّكْل ٢-١ هُو نُسخَة بَسِيطَة مِنْه:[١]

١ لاَ يَبْدُو أنَّ أحدًا يَعرِف متى ظهر هذَا الرَّسْم البيانِيُّ، على الرَّغْم مِن أنَّه على الأقلِّ بِقدم القرْن الثَّاني عشر وَهُو تَمثِيل مُبَاشِر لِلْجزْء الأوَّل مِن قَانُون الإيمان الإثناسيِّ.

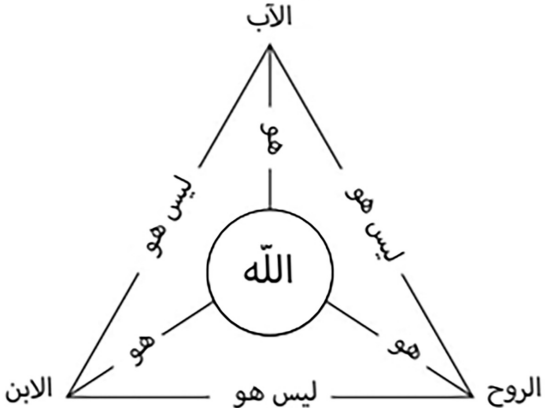

الشكل ٢-١

هـذَا الـشَّكْل لَيْـس رسْـمًا حرْفيًّـا للثَّالـوث بِالطَّبْـع! بـل هُـو بـدلاً مِـن ذَلِـك نَـوْع مِـن الخريطـة الذِّهْنيَّـة اَلتِـي تبيِّـن المصْطلحـات الرَّئيسيَّة فِـي العقيـدة. فَهُـو يُظهِـر أنَّ هُنَـاك ثَلاثَـة أَشـخَاص (اَلآب والابْـن والـرُّوح اَلقُـدُس) وَهُـم إِلَـهٌ واحـدٌ؛ كُلُّ وَاحِـدٍ مِنْهـم «هُـو اَللَّـه»، كمَـا تَقُـول اَلخُطـوط المتَّجهـة نَحْـو المرْكـز. ومـع ذَلِـك، فَـإِنَّ كُلَّ وَاحِـدٍ مِـن هـؤلاء الثَّلاثـة يَختَلِـف حقًّـا عـن الآخريـن، لِذَلـك فَـإِنَّ كُلَّ وَاحِـدٍ مِنْهـم «لَيْـس» هُـو الآخـر، كمَـا تَقُـول اَلخُطـوط اَلتِـي تَـدُور حَـوْل الخـارج.

الشَّـيْء الأكْثـر فَائِـدة فِـي الـشَّكْل ٢-١ هُـو أَنَّـه يَحمِـل أَمَـام أَعينِنـا عـددًا مِـن الحقائـق فِـي الوقْـتِ نَفسـه، وَالتِـي تُمَكِّننَـا مِـن الحفَـاظ علـى مُعْطياتنَـا الذِّهْنيَّـة حِيـن نُركِّـز علـى كُلِّ وَاحِـدٍ فِـي دَورِه. عِنْدمَـا يَتَعلَّـق الأمْـر بِالـرُّوح اَلقُـدُس، اُنظُـر إِلـى مِقـدَار مَـا نعْرفـه بِالْفِعْـل عـن هـذَا الموْضـوع لِمجـرَّد أَنَّنَـا نَعـرِف أنَّ هَـذِه

العقيدة هِي جُزْءٌ مِن عَقِيدَة الثَّالوث اَلكُبرى. إنَّ الرُّوح اَلقُدُس هُو شَخْص مُتَمايز عن اَلآب والابْن (اُنظُر الخطَّيْنِ الخارجَين مِنْه)، ومع ذَلِك فَهُو اَللَّه الكامل (اُنظُر اَلخَطَّ اَلمشِير إلى الدَّاخل). وَهُو لَديْه كُلُّ صِفَات الأُلوهة المشْتركة مع اَللآب والابْن وَلكِن لَيْس لَديْه عَلاقَة اَلأُبوَّة أو اَلبُنوَّة المشْتركة مَعهُما. وَهُو لاَ يُمْكِن أن يَختَلِط بِهِمَا أو يَنفَصِل عَنهُما. إنَّنا نَعرِف كُلَّ هذَا فقط مِن خِلاَل مَعرِفة أنَّ الرُّوح هُو فِي الثَّالوث وأنَّ النِّيوماتولوجيا هِي جُزْءٌ مِن لاَهُوت التَّثْليث.

إنَّنا نَعرِف أيْضًا بَعْض الأشْياء المهمَّة اَلأُخرى اَلتِي يَصعُب تمْثيلهَا بِشَكلٍ جَيِّد على هذَا الشَّكْل اَلقدِيم، وَإن كان مُفيدًا فالشَّكْل لاَ يَقُول شيْئًا تقْريبًا عن العلاقات الفعْليَّة بَيْن الأشْخاص الثَّلاثة. وَفِي الحقيقة، فَإنَّ الشَّيْء اَلوحِيد اَلذِي يُخْبرنَا بِه عن علاقاتهم هُو شَيْء مَنفِيٌّ: «لَيْس» إنَّهم لَيسُوا بَعضُهم البعْضَ. هَذِه نُقطَة مُهمَّة يَجِب توْضيحهَا، لِأنَّهم لاَ يُمْكِن أن يكونوا على عَلاقَة فِي مَا بيْنهم إن كَانُوا هُم جميعًا الشَّخْص نَفسه. وَلكِن هذَا لاَ يُعزِّي القلْب بِالضَّرورة! ونحْن نَعرِف أَكثَر بِكثير مِن ذَلِك عن علاقَات اَلآب والابْن والرُّوح اَلقُدُس. لِذَلك سَيكُون علينَا أن ندع خُطُوط «لَيْس» هَذِه تَقِف كعلامات مَرجعِيَّة مُؤَقَّتًا بيْنمَا نَنوِي الاسْتفاضة فِيهَا قريبًا بِالْكثير مِن المعْلومات المسْتقاة مِن الكتَاب اَلمُقدَّس. وَفِي هذَا الفصْل، سَيعنِي ذَلِك قَوْل شَيْءٍ مَا عن العلاقات الثَّالوثيَّة الرَّئيسيَّة، اَلتِي هِي علاقَات الأصْل السَّرْمديَّة فِي اَللَّه. وَلكِن هُنَاك اَلكثِير مِمَّا يُمْكِن قَولُه عن عَلاقَة الرُّوح بِالآب مِن جِهةٍ، وَعَلاقَة الرُّوح

بِالابْـن مِـن جِهـةٍ أُخـرَى، بِحَيـث إنَّ كُلاًّ مِـن هذيْـنِ الموْضوعيْـنِ سَـوْف يَتَنـاوَل فـصْلاً كاملاً لاَحقًـا. أَمَّـا فِـي الوقْـتِ الحالـيِّ، فلْنـدع الـشَّكْل ٢-١ يُذَكِّرنَـا بِمَـا نعْرفـه بِالْفِعْـل. فَكِّـر فِـي مـدى أَهَمِّيَّـة أن يَكُـون لَديْـك فَهْـمٌ فَطِـنٌ لِلـرُّوح اَلقُـدُس تَحْـت عُنْـوان كَلمَـة اَللَّـه، تِلْـك اَلكلِمـة العظيمـة المرْكزيَّـة.

الرُّوح هُو اَللَّه

تُمثِّـل الألوهـة الكاملـة لِلـرُّوح اَلقُـدُس فِـي الـشَّكْل ٢-١ بِهَـذا اَلخَـطِّ اَلصغِيـر، اَلـذِي يَمتَـدُّ مِـن زَاوِيـة اَلمُثلَّـث إِلـى مَركَـزِه. يُمْكِنـك وَضْـع إِصبَعـك عليْـه مُتتبِّعًـا العلاقـة بيْـن «الـرُّوح اَلقُـدُس»، مِـن خِلاَل كَلمَـة «هُـو»، إِلـى كَلمَـة «اَللَّـه». وَلكِـن عِنْدمَـا تَتبَـع هـذَا السَّـطْر وَتقُـول تِلْـك اَلجُملـة، يَجِـب أن تَكُـون على دِرايـةٍ بِأَمْرَيْـنِ.

أَوَّلاً، يَجِـب أن تُـدْرِك أَنَّـك تَقُـول، بِأَقـلِّ عـددٍ مُمْكِـن مِـن الكلمـات، شيْئًا وجـب أن يُستخْلَص مِـن رِسـالة الكتَـاب اَلمُقـدَّس كُلِّـه بِشَـأن طَبِيعَـة الـرُّوح اَلقُـدُس. مِـن سِـفْر التَّكْويـن إِلـى سِـفْر الرُّؤْيَـا، يَتَكلَّـم الكتَـاب اَلمُقـدَّس عـن الـرُّوح كَإِلَـهٍ. وَعلَـى الرَّغْـم مِـن أَنَّـه لاَ يُوجَـد على الأَرْجـح مَكَان فِـي مَجـرَى الكتَـاب اَلمُقـدَّس يُذكَـر فِيـه مِثْـل هـذَا الطَّـرْح اَلمُوجـز والْمباشـر مِثْـل «الـرُّوح اَلقُـدُس هُـو اَللَّـه» بِـشَكلٍ قَاطِـع، إِلاَّ أَنَّ هُنَـاك مَقاطِـع حَاسِـمة تَجعَـل هـذَا الاسْـتنْتاج لاَ مفـرَّ مِنْـه. اُنظُـر مـثلاً إِشْـعياء ٦٣. فِـي هـذَا اَلمَقطـع، يُذكِّـر اَلنبِـيُّ شَـعْبَ إِسْـرائيل كَيْـف أَنَّ اَللَّـه نَفسَـه هُـو اَلـذِي أَنْقذَهـم مِـن مِصْـر عِنْدمَـا «صَـارَ لَهُـمْ مُخَلِّصًـا» (اَلآيَـة ٨). لَقـد كان هُـو نَفسُـه «الَّـذِي جَعَـلَ فِـي وَسَـطِهِمْ رُوحَ قُدْسِـهِ» و«الَّـذِي

شَـقَّ الْمِيَـاهَ قُدَّامَهُـمْ لِيَصْنَـعَ لِنَفْسِـهِ اسْـمًا أَبَدِيًّـا، الَّـذِي سَـيَّرَهُمْ فِـي اللُّجَـجِ» (الآيـات ١١-١٣). وَلكِـن هَـذِه الذِّكْـرى لِخلاصهـم تَأتِـي فِـي وسـط تَوبِيـخٍ نَبـوِيٍّ، لِأَنَّـه حَتَّـى فِـي مُوَاجهَـة هَـذِه المراحـم العظيمـة، «تَمَـرَّدُوا وَأَحْزَنُـوا رُوحَ قُدْسِـهِ، فَتَحَـوَّلَ لَهُـمْ عَـدُوًّا» (آيـة ١٠). لاَحَـظ كَيْـف يُسـمَّى الـرُّوح اَلقُـدُس كَضَمـان لِحضـور اَللَّـه اَلشـخْصِيِّ بَيْـن شَـعبِه فِـي اَلآيَـة ١١ وأَيْضًـا بِاعْتبـاره الشَّـخْص اَلـذِي أَحزَنَـه الشَّـعْب بِـشَكلٍ شَـخصِيٍّ بِسَـبب تَمرُّدِهـم فِـي اَلآيَـة ١٠. وهكـذَا يَنظُـر إِشْـعياء علـى طُـول اَلطرِيـق رُجوعًـا إِلـى اَلخُـروج وَيعـرِّف الـرُّوح اَلقُـدُس كَإِلَـه إِسْـرائيل. يَتَـردَّد صـدى هـذَا اَلمَقطـع أَيْضًـا فِـي العهْـد اَلجدِيـد، حَيْـث يُحـذِّر بُولُـس أَهْـل أَفَسـس قـائلاً: «لاَ تُحْزِنُـوا رُوحَ اللهِ الْقُـدُّوسَ الَّـذِي بِـهِ خُتِمْتُـمْ لِيَـوْمِ الْفِـدَاءِ» (أَفسـس ٤: ٣٠). إِنَّ هـذَا اَلدلِيـل الكتابـيَّ الشَّـامل لِألوهيَّـة الـرُّوح اَلقُـدُس هُـو دليـل عميـق وَواسِـع وَقـوِيٌّ، وَلَكنَّـه لَيْـس مُوجـزًا. وَهُـو يَمتَـدُّ مِـن اَلخُـروج إِلـى أَفسـس. وعبـارة «إِنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس هُـو اَللَّـه» هِـي طَرِيقَـة مُختصـرَة لِلْغايـة لِلتَّعْبيـر عـن ذَلِـك، وَهِـي بِالضَّبْـط مَـا نُريـده فِـي رَسْـمٍ إِيضاحـيٍّ مِثْـل الـشَّكْل ٢-١. لَكِـنَّ هـذَا الـشَّكْل مَـا هُـو إِلاَّ وَسِـيلَة لِلتَّذْكيـر مِـن شـأْنهَا أن تُذكِّـرَك بِجميـع جَوانِـب الإِعْلان الكتابـيِّ.

الشَّـيْء الثَّانـي اَلـذِي يَجِـب أن تَكُـون علـى دِرايـةٍ بِـه عِنْـد تَتَبُّـع خـطِّ «الـرُّوح اَلقُـدُس هُـو اَللَّـه» هُـو أَنَّـك تُشـير إِلـى شَـيْء أَكبَـر بِكثيـر مِمَّـا يُمْكِنـك تَصـوُّرُه إِذ إِنَّ رِحْلَـة صَغِيـرَة وَاحِـدة بِالْإِصْبـع هِـي قَفـزَة لاَ نِهائِيَّـة بِالْعَقْـل. فَتعريـف الـرُّوح اَلقُـدُس بِاعْتبـاره اَللَّـه يَعنِـي أَنَّ كُلَّ مَـا هُـو اَللَّـه هُـو الـرُّوح اَلقُـدُس. إِنَّ اَللَّـه لَديْـه

طَبِيعَـة، وَهِـي طَبِيعَـة يَتَكَلَّـم الكتَـاب اَلمُقـدَّس عَنهَـا بِاعْتبارهَـا أُلوهَـة اَللَّـه Divinity (رُوميـة ١: ٢٠) أو اللاَّهـوتِ Deity (كُولوسِّـي ٢: ٩).[٢] وقـد تَرجمَـت نُسـخَة اَلمَلِـك جِيمْـس كلمـات مِثْـل هَـذِه بِاسْـتخْدام كَلمَـة «الألوهيَّـة Godhead»، وَهِـي كَلمَـة مُثيـرَة وَهِـي فِـي الأسَـاس صِيغـة قَدِيمَـة لِكلمَـات مِثْـل Godhood أو Godness. مِـن الواضـح أنَّ كلماتنَـا تَفشَـل عِنْدمَـا نُشـير بِمثْـل هَـذِه الكلمـات إِلـى أُلوهِيَّـة اَللَّـه. وَلكِـن مَهمـا عسـاهَا الألوهيَّـة أن تَكُـون، فَهِـي مِـن نصيـب الـرُّوح اَلقُـدُس.

عِنْدمَـا نَقُـول إِنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس هُـو اَللَّـه، فَإِنَّنَـا نَعنِـي أَنَّـه اَللَّـه فِـي اَلمُطلـق؛ أيْ اَللَّـه مـن دون اِسْـتثْناءات أو تحفُّظَـات. ونحْـن نَعـزُو إِلَيـه كُلَّ مَـا تَنطَـوِي عليْـه الألوهـة الحقيقيَّـة. فَهُـو لَيْـس أحـد أَجـزَاء اَللَّـه، ولاَ حَتَّـى «اَلجُـزء الرُّوحـيَّ مِـن اَللَّـه». قـد نَتَحـدَّث أحْيانًـا بِهَـذه الطَّريقـة بِـشَكلٍ فَضْفـاض، لَكِـن إِن أَمعَنَّـا التَّفْكيـر لِلحْظـة فسـنتذكَّر أَنَّـه مِـن غَيْـر الجيِّـد أن نُفكِّـر فِـي اَلآب والابْـن والـرُّوح اَلقُـدُس كأجْـزَاء. إِنَّ أَشـخَاص الثَّالـوث لَيسُـوا أقْسـامًا جُزْئِيَّـة مِـن اَللَّـه. فالـرُّوح إِذًا لَيْـس جُـزْءًا مِـن اَللَّـه! وَكمَـا يُنَبِّهنَـا قَانُـون الإيمـان الأثْناسـيُّ اَلقدِيـم، عِنْدمَـا نَتَحـدَّث عـن الثَّالـوث، يَجِـب أن نَحـرِص علـى عـدم تَفكِيـك اَلْجَوهـر الإِلَهـيِّ إِلـى أَجـزَاء، ولاَ حَتَّـى إِلـى أَثلاَث. «إِنَّنـا نَعبُـد إِلَهًـا واحـدًا فِـي ثَالُـوث، وثالوثًـا فِـي وَحـدَة، لاَ نَخلِـط بَيْـن الأشْـخاص، ولاَ نُقَسِّـم اَلْجَوهـر»، كمَـا يَقُـول قَانُـون الإيمـان. فـالْآب والابْـن والـرُّوح اَلقُـدُس هُـم أَشـخَاص مُتميِّـزون،

٢ هَذِه الْمقَاطعُ تستَخدمُ الكلمَات اليونانيَّة الَّتي هي إمَّا وسيلَة لِترجمةِ الاسمِ *theos*، «الله»، بِشكلٍ أكْثَر تجريدًا (*tos ē theot* في كولوسِّي ٢: ٩)، أو تَفعل الشَّيء نفسَه مع صفةِ «الإلهيَّة» (*theiot s ē* في رومية ١: ٢٠). انظرْ أيضًا «اللاَّهُوتَ» (*to theion* في أعمال الرسل ١٧: ٢٩). وأخيرًا، تُشِير غلاطيَّة ٤: ٨ إِلَى الأصنَامِ باعتبارِها أشياء ليست آلهةً بسبب طبيعتها (*ousin theois ē physei m*).

وَلكِـن «أُلوهِيَّـة اَلآب والابْـن والـرُّوح اَلقُـدُس هِـي وَاحِـدة، والْمَجْـد مُتَسـاوٍ، والْـجلال مُشـتَرَك سَـرمدِيًّا».[٣]

إِنَّ كَلمَـة «مُشـتَرَك سَـرمدِيًّا» هِـي كَلمَـة ذات بِنَـاءٍ قَـوِيٍّ. إِذ تَأْخُـذ صِفـة إِلهيَّـة هِـي (السَّـرْمديَّة) وتضيـف إِلَيْهَـا كَلمَـة «مُشـتَرَك»، مِمَّـا يجْعلهَـا تصْريحًـا مُوجـزًا لِلْعقيـدة بِشَـأن اَللَّـه الثَّالـوث. يُمْكِنـك اِختِيـار أيِّ صِفـة إِلهيَّـة تَخْطُـر بِبالـك، ثُـمَّ تُضيـف إِلَيْهَـا كَلمَـة «مُشـتَرَك» لِإِظْهَـار كَيفِيَّـة تقاسـمهَا بِـشَكلٍ كَامِـلٍ بَيْـن الأَشْـخاص الثَّلاثـة. فَهُـم لَيسُـوا فقـط مُشْـتركين فِـي سـرْمديَّتهم، بـل هُـم أَيْضًـا مُشْـتركون فِـي قُدْرتِهـم المطْلقـة، ومشْـتركون فِـي العلـم اَلمُطلـق، ومشْـتركون فِـي رَحمتِهـم المطْلقـة، ومَـا إِلـى ذَلِـك. وَذلِـك لِأَنَّهـم مُتسـاوون فِـي اَلْجَوهـر، أَيْ لَهُـم اَلْجَوهـر الإِلَهـيُّ عَينـه. وهكـذَا فَـإِنَّ كُلَّ صِفـة إِلهيَّـة تَتبَـع نَفْـس القواعـد المذْكـورة فِـي قَانُـون الإِيمـان الأَثْناسـيِّ:

اَلآب غَيْـر مَخلُـوق، والابْـن غَيْـر مَخلُـوق، والـرُّوح اَلقُـدُس غَيْـر مَخلُـوق. اَلآب غَيْـر مُـدْرَك، والابْـن غَيْـر مُـدْرَك، والـرُّوح اَلقُـدُس غَيْـر مُـدْرَك. اَلآب سَـرمَدِيٌّ، والابْـن سَـرمَدِيٌّ، والـرُّوح اَلقُـدُس سَـرمَدِيٌّ. ومـع ذَلِـك فَهُـم لاَ يُمثِّلـون ثَلاثَـةً سـرْمديِّين، بـل هـم وَاحِـدٌ سَـرمَدِيٌّ. كمَـا أَنَّهُـم لَيسُـوا ثَلاثَـة غَيْـر مُدْركَيـن، ولاَ ثَلاثَـة غَيْـر مخْلوقيـن، بـل وَاحِـدٌ غَيْـر مَخلُـوق، وَوَاحِـدٌ غَيْـر مُـدْرَك.

كَذلِـك فـالْآب قَـادِر علـى كُلِّ شَـيْء، والابْـن قَـادِر علـى كُلِّ شَـيْء، والـرُّوح اَلقُـدُس قَـادِر علـى كُلِّ شَـيْء. ومـع ذَلِـك فَهُـم

3 Chad Van Dixhoorn ,*Creeds, Confessions, and Catechisms: A Reader's Edition* (Wheaton, IL: Crossway, 2022), 19.

لَيسُـوا ثَلاثَـة قَديريـن، بـل وَاحِـدٌ قديـرٌ. فـالآبُ هُـو اَللَّـه، والابْـن هُـو اَللَّـه، والـرُّوح اَلقُـدُس هُـو اَللَّـه. ومـع ذَلِـك فَهُـم لَيسُـوا ثَلاثَـة آلهـة، بـل إِلـه وَاحِـد. كَذلِـك اَلآب هُـو ربٌّ، والابْـن هُـو ربٌّ، والـرُّوح اَلقُـدُس هُـو ربٌّ. وَلكِـن لَيْـس هُنَـاك ثَلاثَـة أَربَـاب، بـل ربٌّ وَاحِـدٌ.

يَتِـم دَمْـج كُلِّ هـذَا فِـي خـطٍّ وَاحِـد فِـي الـشَّكْل ٢-١ وَالـذِي يَمتَـدُّ مِـن «الـرُّوح اَلقُـدُس» إِلـى «اَللَّـه». هَـذِه هِـي الطَّرِيقـة اَلأُولـى والْأَكْثـر وُضوحًـا اَلتِـي مِـن خِلالِهَـا تمْنحنَـا مَعرِفـةً عَقِيـدَة الثَّالـوث أن نُحـدِّد اِتِّجاهاتنَـا فِـي مَـا يَتَعلَّـق بِعقيـدة الـرُّوح اَلقُـدُس.

الرُّوح هُو فِي اَللَّه

وَلكِـن يُمْكننَـا أن نَقُـول شـيْئًا أَكثَـر عـن الـرُّوح اَلقُـدُس فَهُـو لَيْس اَللَّـه فحسْـب، بـل هُـو أيْضًـا **فِـي** اَللَّـه. هُنَـاك شَـيْء مَـا فِـي الـرُّوح اَلقُـدُس خَاصَّـةً يُؤَهِّلنَـا أن نَقُـول عَنْـه إنَّـه فِـي دَاخِـل اَللَّـه، فِـي أَعمَـاق الألوهيَّـة، يَسكُن فِـي الحيَـاة الإلهيَّـة فِـي أعْماقهَـا. وعنْدَمَـا نَتَحـدَّث عـن الـرُّوح كَنسـمَة اَللَّـه، فَإِنَّنَـا نَتبـع الكتَـاب اَلمُقـدَّس بِالْقَـوْل إِنَّـه يَخـرُج بِالطَّرِيقـة نَفسـها اَلتِـي تَخـرُج بِهَـا نَسـمَة اَلْهَـواء مِـن دَاخِـل المخْلـوق. وَإِلَـى جَانِـب هَـذِه الصُّـورة التَّنفُّسـيَّة، يُقـدِّم لَنَـا الكتَـاب اَلمُقـدَّس صُـورَة أُخـرَى تُؤَكِّـد بِـشَكلٍ أَكثَـر وُضوحًـا هـذَا اَلبُعـد الدَّاخلـيَّ. يَقُـول بُولُـس الرَّسـول: «لأَنْ مَـنْ مِـنَ النَّـاسِ يَعْـرِفُ أُمُـورَ الإِنْسَـانِ إِلاَّ رُوحُ الإِنْسَـانِ الَّـذِي فِيـهِ؟ هكَـذَا أَيْضًـا أُمُـورُ اللهِ لاَ يَعْرِفُهَـا أَحَـدٌ إِلاَّ رُوحُ اللهِ» (كُورنثـوس اَلأُولـى ٢: ١١). يَرسُـم بُولُـس هُنَـا تشْـبيهًا. فتمامًـا كمَـا أنَّ رُوحَـك عَمِيقَـة جِـدًّا فِـي دَاخِلِـك لِدرجـة أَنَّهَـا فِـي حَميمِيَّـة مـع أفْكارك الخاصَّـة بِطريقـة لاَ يُمْكِـن لِأَيِّ

شَـخْصٍ خَارجـك أن يَحظَـى بِهَـا، كَذلِـك اَلْحـال مـع اَللَّـه. فَـرُوح اَللَّـه مَوجُـود دَاخِـل اَللَّـه. ولاَ شَـيْء فِـي اَللَّـه يُخفَـى على رُوح اَللَّـه، لِأنَّ الـرُّوح هُـو اَللَّـه، وَهُـو أيْضًـا بِطريقـة مَـا فِـي اَللَّـه.

مَـاذَا عسـانَا أن نَقُـول أَكثَـر عـن مَعنَـى أن يَكُـون الرُّوح فِـي اَللَّه؟ إِنَّ هـذَا هُـو عَيْـن التَّعْريـف لِعمْـق الموْضـوع، وَلَكان مـن المنْطقـيِّ أن نَعتَـرِف بِبسـاطة بِـأنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس يُشـير إِلـى ذَلِـك بِاعْتبـاره حقًّـا؛ ثُـمَّ نضـع أَيدِينـا على فَمنَـا وَنمضِـي قُدُمًـا فِـي صَمْـتٍ لَكِـنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس يَسـتخْلِص على الأقـلِّ بَعْـض الـدَّلالات. أَحدُهـا بِبسـاطة هُـو أنَّ وُجُـود الـرُّوح **فِـي** اَللَّـه هُـو بِمثابـة الخلْفيَّـة لِكَـون الـرُّوح هُـو مِـن اَللَّـه. فَهُـو يَخـرُج مِـن الدَّاخـل، وَكمَـا نَفـرَح بِأَنَّـه مِـن اَللَّـه، يَنبَغِـي لَنَـا أن نَفـرَح بِأَنَّـه فِـي اَللَّـه.

وَلكِـن هُنَـاك نَتِيجَـة ثَانِيـة عَمَليَّـة أَكثَـر ومباشـرة بَعْـد أن أَخْبرَنَـا بُولُـس أنَّ رُوح اَللَّـه يَعـرِف مَـا فِـي اَللَّـه، يُؤَكِّـد لَنَـا أَنَّنَـا «لَـمْ نَأْخُـذْ رُوحَ الْعَالَـمِ، بَـلِ الـرُّوحَ الَّـذِي مِـنَ اللهِ، لِنَعْـرِفَ الأَشْـيَاءَ الْمَوْهُوبَـةَ لَنَـا مِـنَ اللهِ» (كُورنثـوس اَلأُولـى ٢: ١٢). إِنَّ المعْرفـة اَلتِـي نتلقَّاهَـا فِـي اَلمسِـيح عـن اَللَّـه لَيسَـت هِـي مُجـرَّد نَقْـل لِمجْموعـة مُعَيَّنَـة مِن الحقائـق أو المعْلومـات. بـل هِـي شَـيْء أَكثَـر مِـن ذَلِـك، وتحْديـدًا لِأَنَّهَـا تَتَحقَّـق مِـن خِلاَل الـرُّوح اَلـذِي هُـو فِـي اَللَّـه وَالـذِي يُصْبِـح رُوح اَللَّـه فِينَـا؛ فعنْدَمَـا يَتَلقَّـى المؤْمنـون الـرُّوح اَلقُـدُس، فإنَّهـم يتلقَّـوْن فهْمًـا لِمَـا هُـو فِـي اَللَّـه. فِـي هـذَا المقْطـع مِـن رِسـالة كُورنثـوس اَلأُولـى، يُعـرِّف الـرُّوح اَلقُـدُس بِنَـوع المعْرفـة اَلتِـي تَصِـل إِلـى قَلْـب هُويَّـة اَللَّـه؛ أيْ الأعْمـاق، أَعمَـاق اَللَّـه، وَفِـي الوقْـتِ نَفسـه بِنَـوعٍ مِـن المعْرفـة اَلتِـي لاَ تَقتَصِـر على العلمـاء وأولئـك

الَّذيـن حَقَّقُـوا حِكْمَـة العالـم، بـل يمْنحهَـا اَللَّـه لِلْبسـطاء وأولَئـك الَّذيـن يُعْتبـرون، وفْقًـا لِلْمعاييـر الدُّنْيويَّـة، حَمقَـى. إِنَّ الـرُّوح هُـو السِّـرُّ وَرَاء لِقائِنَـا مـع اَللَّـه، وَهُـو لِقَـاءٌ مَعرفِـيٌّ بِكلِّ تَأْكِيـد، ويتعَلَّـق صَراحَـةً بِالْمعْرفـة. وَهِـي مَعرفـة خَاصَّـة ومخصَّصـة، وَلَكنَّهَـا لَيسَـت مُخَصَّصَـة لِلنُّخْبـة، بـل هِـي مُخَصَّصَـة لِأولَئـك الَّذيـن يتلقَّوْنهَـا مِـن اَللَّـه، بِواسِـطة الـرُّوح اَلـذِي يُعْطِيـه اَللَّـه مِـن ذَاتِـه. إِنَّ اِسْـتقْبال الـرُّوح اَلقُـدُس يَعنِـي الانْغمـاس فِـي أَعمَـاق مَعرِفـة اَللَّـه.

قَـدَّم عَالَـم اللاَّهـوتِ الأسْكتْلنْـديُّ رُوبـرت رولـوك Robert Rollock (١٥٥٥-١٥٩٩) شـرْحًا مُـذْهِلاً لِأهمِّيَّـة أن يَكُـون الـرُّوح اَلـذِي فِـي اَللَّـه هُـو اَلـذِي يجْعلنَـا نَعـرِف اَللَّـه. يَقُـول رولـوك: «اُنظُـر مَـاذَا يَفعَـل الـرُّوح بِالْأَحْـرى»، فَهُـو لاَ يَكتَفِـي بِإزالـة الحجَـاب عـن قَلبِـك، بـل كمَـا لَـو أَنَّـه يَأخُـذ بِيـد رُوحـك، ويقودهَـا عَبْـر أَعمَـاق اَللَّـه. وَكَأَنَّـه سـيخْطفهَا مِـن الجسـد، ويقودهَـا إِلـى ذَلِـك النُّـور اَلـذِي لاَ يُمْكِـن اَلوُصـول إِلَيـه -[«النُّـور اَلـذِي لاَ يُدْنَـي مِنْـه»]- وسـيقول: هَـا هِـي الرَّحْمـة، هَـا هِـي! هُنَـاك اَلبِـرُّ، وهنـاك الحيَـاة الأبديَّـة اَلتِـي تَكلَّـم عَنهَـا. أَلاَ تـرى كُلَّ ذَلِـك فِيـه؟ هَكـذَا هُـو يُشـير إِلـى كُلِّ شَـيْء فِـي اَللَّـه.[٤]

وَمِـن أَجْـل «جَعْـل الأمْـر أَكثَـر وُضوحًـا»، قـام رولـوك بِتجْرِبـة

---

٤ أَقْتَبس هذا، بِما فِي ذَلك الأقْسَام المَوجودَة بين قوسَين، من النسخَةِ المُقدَّمة في:
Hugh Martin ,*Christ's Presence in the Gospel History* [London: T. Nelson & Sons, 1860], 182)

إنَّ صياغة رولوك Robert Rollock في النصِّ الأصليِّ قويَّة بشكلٍ لا يُصدَّق ولكنَّها تشتِّت انتباه معظم القرَّاء («luik quhat mair the Spreit dois»). يمكنك العثور عليها في:
The Select Works of Robert Rollock , ed. William M. Gunn (Edinburgh: The Woodrow Society, 1849), 1:385.

فِكْريَّـة. فَيقُـول: «تَخيَّـل أنَّ رُوحـي أو نَفسِـي دَخلَـت إِلَيـك». مَـاذَا سـيحْدث؟

لَـو كَانَـت روحِـي أو نَفسِـي فِيـك، فلـن يكُـون هُنَـاك شَـيْء بِداخِلـي إلاَّ وأنْـتَ تَـرَاه؛ كُلُّ أفْكاري سَـتكُون وَاضِحـةً لَـك. والْآن، لِنطبِّـق هـذَا علـى الـرُّوح. فَـإِنَّ هـذَا لَيْـس اِفْتراضًـا: سَـيضَع اَللَّـه رُوحَـه فِينَـا. لِأَنَّـه إن لَـم يَكُـن رُوحُـه فِينَـا، فَوَيحنَـا إِلـى الأبـد. إِذَا كان اَللَّـه قـد وضـع رُوحَـه فِينَـا، أَلاَ يَنبَغِـي بِالضَّـرورة أن نـرى فِـي اَللَّـه، علـى الأقـلِّ، الأشْـياء اَلتِـي تَتَعلَّـق بِخيْرِنَـا وخلاصنَـا. يَجِـب علـى الـرُّوح اَلـذِي فِـيَّ -وفيـك- أن يكشِـف لِـي -ولـك- الأشْـياء اَلتِـي تَكمُـن فِـي أَعمَـاق اَللَّـه وَالتِـي تَتَعلَّـق بِخيْرِنَـا وخلاصنَـا. والْإِنْسـان اَلـذِي فِيـه رُوح اَللَّـه سَـيرَى قَلْـب اَللَّـه وَعقلَـه. فَإِنَّـه سَـيرَى غُفْـران خطايَـاه فِـي ذِهْـن اَللَّـه، وَكُلُّ ذَلِـك بِفَضـل رُوح يَسُـوع اَلـذِي يَسـكُن فِيـه. لِذَلـك لَديْنَـا مِيـزَة عَظِيمَـة هُنَـا؛ وَهِـي أَنَّنَـا بِفَضـل الـرُّوح اَلقُـدُس نـرى الأشْـياء اَلتِـي فِـي اَللَّـه.[٥]

وَكمَـا أنَّ نَسـمَة اَلْهَـواء هِـي فِـي صَـدرِك، والْأفْكار تَكمُـن بِعمْـق فِـي عَقلِـك، فَـإِنَّ الـرُّوح فِـي اَللَّـه. وَوجُـوده فِـي اَللَّـه هُـو الضَّمانـة بِـأنَّ المعْرفـة اَلتِـي يَأتِـي بِهَـا إِلَيْنَـا تَأتِـي مِـن قَلْـب اَللَّـه.

وَمِـن سِـمَات أُسـلُوب الكتَـاب اَلمُقـدَّس فِـي التَّعْليـم أَنَّنَـا لاَ نَتَعلَّـم هَـذِه الحقيقـة السَّـامية والسَّـرائريَّة عـن الـرُّوح اَلقُـدُس إِلاَّ عِنْدمَـا نَتَعلَّـم عـن كَيفِيَّـة تطْبيقهَـا علَيْنَـا وَهـذَا يَعنِـي أنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس يَكُـون أَكثَـر وُضوحًـا بِشَـأن وُجُـود الـرُّوح اَلقُـدُس دَاخِـل

5 Martin ,*Christ's Presence,* 183.

اَللَّـه عِنْدمَـا يُظْهِـر جِدِّيَّـةً أَكثَـر فِـي إِخْبارنَـا لِمـاذَا هـذَا الأَمْـر مُهِـمٌّ بِالنِّسْـبة إِلَينَـا. إِنَّ اَللَّـه لَيْـس مِـن وظيفَتـه عُمومًـا أن يُخْبرَنَـا بِأَشْـيَاء مُختلفَـة رَائِعـة وَمدهِشـة عـن نَفسِـه بِصـورة مُجَـرَّدَة بِبسـاطة، وليْـس مِـن وظيفَتـه أبـدًا مُجـرَّد إِرضَـاء فُضولِنَـا أو إِغْراقنَـا بِالْمعْرفـة. «السَّـرَائِرُ لِـلـرَّبِّ إِلهِنَـا، وَالْمُعْلَنَـاتُ لَنَـا وَلِبَنِينَـا إِلَـى الأَبَـدِ، لِنَعْمَـلَ بِجَمِيـعِ كَلِمَـاتِ هـذِهِ الشَّـرِيعَةِ» (التَّثْنِيـة ٢٩: ٢٩). وَمِـن بَيْـن اَلأُمـور اَلتِـي كشـفهَا اَللَّـه لَنَـا هِـي أنَّ رُوحَـه اَلقُـدُس اَلـذِي فِيـه، يَدخُـل فِينَـا لِيعْطينَـا الفهْـم. بِالطَّبْـع لاَ يَـزَال اَلكثِيـر غامضًـا، وَحتَّـى فِـي إِظْهـاره لَنَـا هَـذِه الأَشْـياء العميقـة، لاَ يَـزَال اَللَّـه يَحتَفِـظ بِغموضـه السِّـياديِّ بِاعْتبـاره الإلـه غَيْـر اَلمُـدْرَك؛ فـالْآب غَيْـر مُـدْرَك، والابْـن غَيْـر مُـدْرَك، والـرُّوح اَلقُـدُس غَيْـر مُـدْرَك؛ ومـع ذَلِـك، لَيْـس هُنَـاك ثَلاثَـة غَيْـر مُدْرَكِيـن، بـل وَاحِـدٌ.

الرُّوح مِن اَللَّه: الانْبثاق السَّرْمديُّ والْإِرْساليَّة الزَّمنيَّة

لَقـد قَدَّمَـت عَقِيـدَة الثَّالـوث إِطـارًا مُفيـدًا لِلاعْتـراف بِـأنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس هُـو اَللَّـه وَحتَّـى أنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي اَللَّـه، علـى الرَّغْـم مِـن أَنَّـه كان مِـن اَلممْكِـن الاعْتـراف بِـكلاَ الأَمْريْـنِ دُون اللُّجـوء بِـشَكلٍ مُبَاشِـر إِلـى عَقِيـدَة الثَّالـوث. لَكِـنَّ النَّهْـج الثَّالوثـيَّ لِهَـذه الحقائـق الرُّوحيَّـة قـد وضـع الأَسَـاس لِأن يَكُـون مَـا نقولـه عـن الـرُّوح اَلقُـدُس هُـو ثَالُوثـيٌّ بِالضَّـرورة، وَهُـو شَـيْء يُنَاشِـد بِـشَكلٍ مُبَاشِـر العلاقـات الأبديَّـة بَيْـن اَلآب والابْـن والـرُّوح اَلقُـدُس. مَـا نَحْتـاج إِلـى قَولِـه بَعْـد ذَلِـك هُـو أنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس هُـو **مِـن** اَللَّـه. لِكـيْ نَفهَـم الـرُّوح اَلقُـدُس، فَـإِنَّ **المصْدريَّـة** هِـي كُلُّ شَـيْء.

إِنَّ المعْنى الأكْثر وُضوحًا لِكَون الرُّوح اَلقُدُس مِن اَللَّه هُو أنَّ اَللَّه أَرسَل الرُّوح. وَلكَي نَكُون أَكثَر تحْديدًا، فقد وعد اَللَّه نبويًّا بِإرْسَال رُوحه (يُوئيل ٢) فِي مَلْء الزَّمَان، ثُمَّ حَقَّق هذَا الوعْد (أَعمَال الرُّسل ٢) عِنْدمَا بدأ التَّلاميذ فِي تَسبِيح أَعمَال اَللَّه العظيمة بِلغات مُتَعدِّدَة، أَوضَح بُطرُس أنَّ الإِصْحاح الثَّاني مِن يُوئيل كان يَحدُث فِي الإِصْحاح الثَّاني مِن أَعمَال الرُّسل (إِذَا جاز التَّعْبير). وعنْد سَرْد قِصَّة الإِنْجيل، اِختتَم حديثه قائلاً إِنَّ يَسُوع، بَعْد أن اِرتفَع «وَإِذِ ارْتَفَعَ بِيَمِينِ اللهِ، وَأَخَذَ مَوْعِدَ الرُّوحِ الْقُدُسِ مِنَ الآبِ، سَكَبَ هذَا الَّذِي أَنْتُمُ الآنَ تُبْصِرُونَهُ وَتَسْمَعُونَهُ» (أَعمَال الرُّسل ٢: ٣٣). فِي يَوْم الخمْسين، وَعلَى أَسَاس العمل المكْتمل لِلْمسِيح، أَرسَل اَلآب والابْن الرُّوحَ اَلقُدُسَ (يُوحنَّا ١٤: ١٦، ٢٦؛ ١٥: ٢٦؛ ١٦: ٧) لِيسْكن فِي المؤْمنين، لِيكون مَصدَر الحيَاة فِيهم، ولتمْكينهم مِن الشَّهادة عن يَسُوع. وَمُنذ ذَلِك الاخْتراق التَّاريخيِّ اَلعظِيم لِلرُّوح اَلقُدُس، فَهُو يَأتِي الآن مِن اَللَّه إِلَيْنَا، مُرْسلاً إِلى قُلوبِنَا ويمَكِّننَا مِن أن نَدعُو اَللَّه أبانَا (غَلاطِيَّة ٤: ٦). إِنَّ هذَا الإِرْسَال التَّاريخيَّ اَلمهمَّ لِلرُّوح اَلقُدُس هُو حدث يقع على جَدوَلٍ زَمنِيٍّ لِخطَّة اَللَّه المُرتَّبة بِعناية. فَفِي مَركَز تَارِيخ الخلاَص يقع تَجسُّد الابْن، وَحدَث انْسكاب الرُّوح اَلقُدس. وسيكون لَدينَا اَلمزِيد لِنقوله عن هذَا الحدث اَلعظِيم فِي اَلفُصول اللاَّحقة، وَخَاصَّةً فِي علاقَته بِالآب (الفصْل ٣) والابْن (الفصْل ٤). فِي الوقْتِ الحاليِّ، نَحْتاج بِبساطة إِلى الاعْتراف بِه بِاعْتباره الإِرْساليَّة المرْكزيَّة والْمرْئيَّة لِلرُّوح اَلقُدُس، والطَّريقة الأكْثر وُضوحًا لِكوْنه مِن اَللَّه.

وَلكِـن الـرُّوح اَلقُـدُس لَـه مَصدرِيَّـة أَعمَـق مِـن إِرْسـاله. فهنـاك مَصدرِيَّـة كان لِيحْظى بِهَـا حَتَّى لَـو لَـم يَكُـن هُنَـاك سَـكْب لِلـرُّوح اَلقُـدُس فِـي أَعمَـال الرُّسُـل ٢. إِذ إِنَّ الانْبثـاق السَّـرْمديَّ لِلـرُّوح اَلقُـدُس دَاخِـل حَيَاة اَللَّـه هُـو مَـا يَقِـف وَرَاء إِرسَـال الـرُّوح اَلقُـدُس إِلـى دَاخِـل تَارِيـخ الـخلاَص. فِـي الواقـع، إِنَّ مَصدرِيَّـة الـخلاَص التَّاريخـيِّ تَعتَمِـد علـى المصْدريَّـة الدَّاخليَّـة السَّـرْمديَّة، وتظْهرهَـا لَنَـا. فَعلَـى أَسَـاس إِرسَـال الـرُّوح اَلقُـدُس، يُمْكننَـا أن نُـدْرِك أَنَّـه حَتَّى فِـي حَيَـاة اَللَّـه، فَـإِنَّ الشَّـخْص الثَّالـث هُـو مِـن اَلآب سَـرمدِيًّا. تَذكَّـر أَنَّ الصُّورتيْـنِ الكتابيَّتيْـنِ اللَّتَيْـنِ اسْـتخدمناهمَا لِمسـاعدتنَا فِـي فَهْـم هُويَّـة الـرُّوح اَلقُـدُس هُمَـا الـرُّوح اَلقُـدُس مُشَـبَّهًا بِالتَّنفُّـس، والـرُّوح اَلقُـدُس مُشَـبَّها بِالـرُّوح الدَّاخليَّـة لِلْمخْلـوق وَالتِـي مِـن خِلالِهَـا يَعرِف المخْلـوق أفْكاره الخاصَّـة. وَفِـي كِلْتَـا الحالتيْـنِ، هَـذِه صُـوَر لِأَشْـيَاء تَأْتِـي مِـن شَـخْص مَـا. فَنسـمَة اَلْهَـواء تَخـرُج مِـن المتنفِّـس، وَمعرِفـة الـرُّوح الباطنـة تَخـرُج مِـن المخْلـوق اَلـذِي يُعبِّـر عَمَّـا فِـي دَاخِلـه. فِـي كِلْتَـا الحالتيْـنِ، فَـإِنَّ خُـرُوج شَـيْءٍ مَـا مِـن مَصـدَرٍ مَـا يَعنِـي أَنَّـه كان حيًّـا ونشـطًا بِالْفِعْـل فِـي دَاخِلِـه. وَفِـي الواقـع، فِـي كِلْتَـا الصُّورتيْـنِ يُمْكننَـا أن نـرى بِـشَكلٍ خَافِـت أَنَّـه لَـم يَكُـن هُنَـاك شَـيْء فِـي الدَّاخـل فحسْـب، بـل كان هُنَـاك شَـيْء يَحـدُث فِـي الدَّاخـل. كان هُنَـاك شَـيْء يَـدُور أو يَتَحـرَّك هُنَـاك. وسـيكون مِـن الأَفْضـل أن نَقُـول إِنَّ هُنَـاك شـيْئًا «مُنْبثِقًـا» دائمًـا بِالْفِعْـل، دُون أن يَخـرُج أبـدًا. لَقـد كان اِنْبثاقًـا دَاخِليًّـا. لَقـد كان التَّنَفُّـس بِالْفِعْـل نوْعًـا مِـن اِنبِعاث الحيَـاة، حَتَّـى دَاخِـل صـدر المتنفِّـس، بيْنمَـا تَصِـل الـرُّوح الدَّاخليَّـة بِالْفِعْـل إِلـى فهْمهَـا الدَّاخلـيِّ لِذاتِهَـا دُون أن تَتـرُك مَجَالهَـا اَلْخـاصَّ مِـن ذَكَاء الحيَـاة والْحـبِّ. وباسْـتخْدام صُـورَة التَّنَفُّـس، يُمْكننَـا

القـوْل إِنَّ هُنَـاك تنفُّسًـا سَـرمدِيًّا فِـي حَيَـاة اَللَّـه؛ وباسْـتخْدام صُـورَة الـرُّوح اَلذكِيَّـة، يُمْكننَـا القـوْل إِنَّـه دائمًـا مَـا كان رُوحيًّـا بِـشَكلٍ ذَكِـيٍّ وَحيَـوِيٍّ.

وَفِـي حَالَـة الـرُّوح اَلقُـدُس، وَصفَـت العقيـدة المسـيحيَّة التَّقْليديَّـة وُجُـودَه السَّـرْمديَّ بِاعْتبـاره اِنْبثاقًـا سَـرمدِيًّا مِـن اَلآب مِـن خِلاَل عَلاقَـة الأصْـل. وَكمَـا أنَّ اَللَّـه الابْـن مَوجُـود سَـرمدِيًّا بِاعْتبـاره مَولُـودًا أو مُتَولِّـدًا مِـن اَللَّـه اَلآب، فَكذَلِـك اَللَّـه الـرُّوح اَلقُـدس مَوجُـودٌ سَـرمدِيًّا بِاعْتبـاره مُنْبَثِقًـا سَـرمدِيًّا مِـن اَللَّـه اَلآب.[٦] يَنبَغِـي أن نَقُـول بِاخْتصـارٍ هُنَـا إنَّ الـرُّوح يأتِـي أَزلاً **علـى الأقـلِّ** مِـن اَللَّـه اَلآب، حَيْـث إنَّ الكنائـس الغرْبيَّـة أرادتْ تقْليديًّـا أن تُضيـف: «وأيْضًـا مِـن الابْـن»، بيْنمَـا الكنائـس الشَّـرْقيَّة أَنكَـرت ذَلِـك بِـشَكلٍ قَاطِعٍ. وسـوْف نَتنـاوَل هـذَا الـخلاَف بِمزيـد مِـن التَّفْصيـل أَدنَـاه. أَمَّـا الآن فَيكفِـي أن نُؤكِّـد أنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس يَنبَثِـق مِـن اَلآب بِطريقـة تَجعلُـه مُتَّـصلاً سَـرمدِيًّا بِالابْـن: «إنَّ الابْـن الأزَلـيَّ لَيْـس مُغْتربًـا عـن اِنبِثـاق الـرُّوح اَلقُـدُس».[٧] إِنَّنَـا نَقُـول إنَّ الـرُّوح اَلقُـدس يَنبَثِـق مِـن اَلآب، وليْـس

---

٦ في ما يتعلَّق بالتوالد الأبديِّ للابن، انظر:

Fred Sanders and Scott Swain, eds ,.*Retrieving Eternal Generation* (Grand Rapids, MI: Zondervan, 2016).

بالنسبة إلى المعالجات الإنجيليَّة الحديثة لانبثاق الروح، انظر:

Scott Swain ,*The Trinity: An Introduction* (Wheaton, IL: Crossway, 2020), 89-103.

انظر أيضًا:

Gregg R. Allison and Andreas J. Köstenberger ,*The Holy Spirit* (Nashville, TN: B&H, 2020), 64-255.

7 Boris Bobrinskoy ,*The Mystery of the Trinity: Trinitarian Experience and Vision in the Biblical and Patristic Tradition* (Crestwood, NY: St. Vladimir's Seminary Press, 1999), 302.

أقتبس هنا عن قصدٍ من لاهوتيٍّ أرثوذكسيٍّ شرقيٍّ، للإشارة إلى أنَّ كلا التقليدين، بطريقتهما الخاصَّة، يعترفان عن طيب خاطر بأنَّ الروح هو «روح الابن» إلى الأبد؛ ويؤكِّد بوبرينسكوي «التزامن المتبادل

مِـن المتنفِّـس أو الباثِـق. وَهـذَا يَعنِـي أنَّ الشَّـخْص الأوَّل («اَلآب») يَتَميَّـز بِالْفِعْـل بِعلاقتـه بِالشَّـخْص الثَّاني («الابْن») قَبْـل أن نَتَحدَّث عَنْـه كمصْـدر لِلشَّـخْص الثَّالـث («الـرُّوح»). لِـذَا فَـإنَّ الانْبْـاق مِـن اَلآب يَعنِـي بِطريقـةٍ مَـا أن يَكُـون مُمَيَّـزًا أيْضًـا بِالابْـن (قـد يَبْـدُو هـذَا غامضًـا الآن).[٨] النَّتيجـة هِـي أنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس يُدعَـى ثالثًـا بِـشَكل سـليم فِـي التَّسلْسـل اَلـذِي يَأتِـي بَعْـد اَلآب أوَّلاً والابْـن ثانيًـا. وَيحمِـل معـه، فِـي إِرْسـاليَّته الخاصَّـة فِـي تَارِيـخ الـخلاَص، أَصلَـه مِـن اَلآب والابْـن.

إنَّ هدفنَـا هُنَـا هُـو فقـط اَلحُصـول علـى رُؤيَـة وَاضِحـة لِحقيقـة أنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس هُـو مِـن اَللَّـه سَـرمدِيًّا، وَداخِـل اَللَّـه، كَإلَـه. إنَّنَـا بِحاجـة إِلـى هَـذِه الرُّؤْيـة الواضحـة حَتَّـى نَتَمكَّـن مِـن إِدرَاك كَيْـف أنَّ إِرْسـاليَّته الزَّمنيَّـة فِـي تَارِيـخ الـخلاَص تَرتَكِـز علـى مسـيرَته السَّـرْمديَّة فِـي حَيَـاة اَللَّـه. إنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس يَأتِـي بيْننَـا لِخلاصنَـا بِطريقـة تَتَوافَـق مـع الطَّريقـة اَلتِـي يَنبَثِـق بِهَـا مِـن الآب فِـي دَاخِـل الحيَـاة الإلهيَّـة. هُنَـاك عَلاقَـة وَاضِحـة بَيْـن اِنبِثـاق الـرُّوح وإِرْسـاليَّته. فِـي الواقـع، «إنَّ بِنْيَـة إِرْسـاليَّة الـرُّوح اَلقُـدُس تُظْهِـر أو تَسـتعْرِض البِنْيـة الأساسـيَّة لِانْبثاقـه السَّـرْمديِّ».[٩]

وَفِـي ضَـوْء الانْبْـاق السَّـرْمديِّ لِلـرُّوح، يُمْكننَـا الآن أن نَنظُـر

Reciprocal Concomitance» بين الابن والروح. انظرْ كامل معاملته للموضوع، ٢٧٤-٣٠٣.

٨ إنَّ اَلقُرَّاء الَّذين يَرفُضون عَقِيدَة الانْبثاق المزْدوج filioque سَوْف يحْتاجون إلى تَحمُّل حَقِيقَة أنَّ شَكْل حُجَّتِي غَربِيٌّ إلى حدٍّ كبير، ومسْتساغ أكثَر لَدى اَلقُرَّاء الَّذين يفْترضون أنَّ الرُّوح اَلقُدُس يَنبَثِق مِن اَلآب والابْن. لَكِن اُنظُرْ نِهاية الفصْل الثَّالث لِبَعض التَّنازلات المهمَّة اَلتِي تُناسِب حساسيَّات الرَّافضين لِلانْبثاق المزْدوج.

9 Gilles Emery ,*The Trinitarian Theology of Saint Thomas Aquinas* , trans. Francesca Aran Murphy (Oxford, UK: Oxford University Press, 2007), 272.

إِلـى الـورَاء إِلـى مَـا أطْلقْنَـا عليْـه إِرْسـاليَّة الـرُّوح وأن نَكُـون أَكثَـر دِقَّـة بِشـأْنِهَا. تَذكَّـر **المصْدريَّتيْـنِ** اللَّتيـن بدأْنَـا بِهمَـا. لَقـد أَرسَـل اَلآبُ الـرُّوحَ اَلقُـدُسَ، وكانـتْ تِلْـك الإِرْسـاليَّة مَبنِيَّـة علـى اِنبِثـاقٍ سَـرمَدِيٍّ. عِنْدمَـا نَسـتخْدِم كَلمَـة الإِرْسـاليَّة بِهَـذه الطَّريقـة، فَإِنَّنَـا نسْـتخْدمهَا كمصْطَلـح خـاصٍّ جِـدًّا، بـل وَتقنِـيٍّ، فِـي اللاَّهـوتِ الثَّالوثـيِّ. إِنَّـه لَيْـس مُجـرَّد إِرسَـال، بـل هُـو بِالتَّحْديـد إِرسَـال يَجعَـل الانْبثـاق السَّـرْمديَّ فِـي اَللَّـه مَعرُوفًـا فِـي التَّاريـخ. عِنْدمَـا نَسـتخْدِم كَلمَـة **الإِرْسـاليَّة** بِهَـذا المعْنـى، يَكُـون لَديْنَـا فِـي الواقـع أَمـرَان رئيسـيَّان فِـي أذْهانِنَـا، وَهمَـا الحدثـان الأكْثـر أَهَمِّيَّـة فِـي تَارِيـخ الـخلاَص: إِرْسـال الابْـن فِـي التَّجَسُّـد وإِرْسـال الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي يَـوْم الخمْسـين. إِنَّ هذيْـنِ الإِرْسـاليْنِ هُمَـا اللَّـذَان يُظْهِـرَان الانْبْثاقيـن السَّـرْمديَّيْن فِـي حَيَـاة اَللَّـه. إِنَّ هاتيْـنِ هُمَـا فِـي الواقـع الطَّريقتـان اللَّتَـان يَظْهَـر فِيهمَـا اَللَّـه مَعنَـا كمَـا هُـو مَوجُـود فِـي ذَاتِـه. إِنَّ إِرْسـاليَّة الابْـن السَّـرْمديَّة تَعنِـي اِتِّخـاذ الطَّبيعـة البشـريَّة وأن يَكُـون الابْـن المتجسِّـد بيْنَنَـا، فِـي حِيـن أنَّ إِرْسـاليَّة الـرُّوح اَلقُـدُس السَّـرْمديَّة تَعنِي السُّكنَـى فِـي الطَّبيعـة البشـريَّة المُفْتـداة علـى أَسَـاس الكفَّـارة الكاملـة. وَفِـي كِلْتَـا الحالتيْـنِ، نَعتَـرِف بِـأنَّ اَللَّـه مَعنَـا، كعمَّانوئيـل، وَكمَـن يَسـكُن فِـي شَـعبِه. إِنَّ هـذَا هُـو اِخْتبارنَـا لِلثَّالـوث فِـي تَارِيـخ الـخلاَص: اَلآب يُرْسِـل الابْـن، والْآب والابْـن يُـرْسِلاَن الـرُّوح اَلقُـدُس.[١٠]

وَعلَـى الرَّغْـم مِـن هَـذِه المداهمـات اللاَّهوتيَّـة الثَّالوثيَّـة، فَهـذَا لَيْـس كِتابًـا عـن الثَّالـوث. بـل هُـو مُقَدِّمَـة قَصِيـرَة عـن الـرُّوح

١٠ لمزيدٍ مِن التفاصيل بشأن هذا الموضوع، انظر:
Fred Sanders ,*The Triune God* (Grand Rapids, MI: Zondervan, 2016), 93-144.

اَلقُـدُس. وَلكِـن كمَـا رأَيْنَـا، يَجِـب أن تَكُـون عقيدتنَـا فِـي الثَّالـوث سَـلِيمَة ومسْـتقرَّة قَبْـل أن نَتمكَّـن مِـن شـقِّ طَريقِنـا عَبْـر عَقِيـدَة الـرُّوح اَلقُـدُس. فَفَهمنَـا لِلـرُّوح اَلقُـدُس سَـوْف يُصْبِـح خَـارِج سِياقه بِـشَكلٍ خطيـرٍ مَـا لَـم نَتمكَّـن مِـن وَضعِـه ضِمْـن عَقِيـدَة الثَّالـوث. وقـد يَكُـون لَدَيْنَـا فَهْـم غَيْـر مَأمُـون لِرسـالة الكتَـاب اَلمُقـدَّس عـن الـرُّوح اَلقُـدُس مَـا لَـم نـرَ أَنَّـه هُـو اَللَّـه، وَفِـي اَللَّـه، وَمِـن اَللَّـه. لِـذَا يَجِـب أن نَتَأَكَّـد مِـن كُلِّ هـذَا قَبْـل أن نَرجُـو فَهْـم مَـا يفْعلـه. فَـإِذَا لَـم نُـدْرِك اَلعُمـق الأبَـديَّ والثَّالوثـيَّ لِوجـوده وشـخْصيَّته، فَإِنَّنَا نُخَاطِـر بِـأن نَضِـلَّ اَلطرِيـق إِلـى فَهْـم عَمِلِـه؛ أيْ إِنَّنَـا قـد نَبـدَأ مِـن الطَّـرف الخاطـئ لِلْعقيـدة ونخْتَـزل الـرُّوح اَلقُـدُس إِلـى مَجمُوعـة مِـن التَّأْثيـرات الإلهيَّـة الغامضـة اَلتِـي أنْتجَهَـا اَللَّـه بِـشَكلٍ عـامٍّ بَيْـن شَـعْب اَللَّـه. وقـد نَخلِـط بَيْـن الـرُّوح وطَرِيقَـةٍ لِلْحدِيـث عـن اَلآب فِـي إِطَـارِ عمـلٍ دِينامِيكـيٍّ، أو عـن الابْـن العامـل بَعْـد تَجسُّـدِه. وَلكِـن بَعْـد أن حصلْنَـا علـى المصْفوفـة الثَّالوثيَّـة لِهويَّـة الـرُّوح اَلقُـدُس، يُمْكننَـا أن نَنتَقِـل بِأمـان إِلـى مَجَـال عمـل الـرُّوح اَلقُـدُس.

الرُّوح اَلقُدُس يَعمَل بِشَكلٍ لاَ يَنفَصِل عن الابْن

عِنْدمَـا نَنتَقِـل مِـن شَـخْص الـرُّوح اَلقُـدُس إِلـى عَمِلِـه، دعوْنَـا نَتَذكَّـر مَـا نفْعلـه. فَهَدفنَـا هُـو فَهْـم الخلْفيَّـة العميقـة لِعَمـل الـرُّوح اَلقُـدُس حَتَّـى نَتمكَّـن مِـن معْرفَتـه بِـشَكلٍ أَكثَـر اِكْتمـالاً عِنْدمَـا نَلتَقِـي بِـه فِـي هـذَا العمـل. ونحْـن نَتَّخِـذ عمْـدًا طريقًـا غَيْـر مُبَاشِـر لِمعْرِفـة الـرُّوح، ونضعـه فِـي سِيَاق العقيـدة الكاملـة لِلثَّالـوث. قـد يَبـدُو الأمْـر بِمثابـة تحْويلـة فِـي اَلطرِيـق، لَكِنَّنَـا سنكْتَسـب قـدْرًا

هـائلاً مِـن الرُّؤْيـة المنْظوريَّـة، وسـتكون النَّتيجـة فهْمًـا أَعمَـق لِعَمـل الـرُّوح اَلقُـدُس.

وَأهَـمُّ شَـيْء يُمْكِـن أن يُقَـال عـن عمل الـرُّوح اَلقُـدُس هُـو أَنَّه لاَ يَنفَصِـل عـن عمـل اَلآب والابْـن. فعملـه مُتَّحِـد دائمًـا بِـشَكلٍ جـذرِيٍّ مـع عمـل الثَّالـوث بِأكْمَلـه، ومـع ذَلِـك فَهُـو فِـي الحقيقـة عَملـه اَلْخـاصُّ. مِـن النَّاحيـة التَّقْليديَّـة، نِصْـف هَـذِه الوحْـدة الجذْريَّـة بِاسْـتخْدام عَقِيـدَة المجْريـات غَيْـر المنْفصلة لِلثَّالـوث Inseparable Operations of the Trinity. إنَّ هَـذِه العقيـدة تَسـتَحِقُّ الاهْتمـام لِأَنَّه عِنْدمَـا يَفعَـل اَللَّـه الثَّالـوث أيَّ شَـيْء، فَإنَّـه يُشْـبِه إلـى حـدٍّ مَـا عمـل المخْلوقـات، لَكنَّـه يَختَلِـف عـن المخْلوقـات بِطريقـة جَوهرِيَّة أَكثَـر. إنَّنـي أُريـد أن أُحَـذِّرَك مِـن أنَّ اِسْـم هـذَا المبْـدأ اَلمهِيـب إلـى حـدٍّ مَـا يَعكِـس حَقِيقَـة أنَّ المبْـدأ نَفسَـه يُخَالِـف البديهـة بِمَـا يَكفِـي لِيكـون مُـذْهِلاً.

إنَّ نُقطَـة البدايـة لِمبْـدأ المجْريـات غَيْـر المنْفصلـة هِـي سَـهلَة بِمَـا فِيـه الكفايـة بـل فِـي الواقـع هِـي مُمْتِعـة حَتَّـى لِأيِّ شَـخْصٍ يَسـتمْتِع بِدراسـة الكتَـاب اَلمُقـدَّس. يَبـدَأ الأمْـر عِنْدمَـا تُلاَحِـظ أنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس يَنسُـب بِاسْـتمْرار نَفْـس الأعْمـال الإلهيَّـة إلـى الأشْخاص الثَّلاثة فِي الثَّالـوث. على سـبيل المثَـال، يُنسَـب اَلخَلـق إلـى اَلآب وكلمَتـه ونسـمَته (أيُّـوب ٣٣: ٤؛ المزاميـر ٣٣: ٦؛ ١٠٠: ٣؛ ١٠٢: ٢٦-٢٨؛ يُوحنَّـا ١: ٣). أو فَكِّـر مـثلاً فِـي حـدثٍ حَيـوِيٍّ مِثْـل قِيامـة اَلمسِيح. يُخْبرنَـا الكتَـاب اَلمُقـدَّس أنَّ اَلآب أقامـه (كُورنثـوس اَلأُولـى ٦: ١٤)، وأنَّ الابْـن كَانَـت لَـه اَلقُـدرة علـى إقامـة نَفسِـه (يُوحنَّـا ٢: ١٩)، وأنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس أَحيَـاه (بُطـرُس اَلأُولـى ٣: ١٨). فِـي

الواقـع، كُلُّ قِيامـة مِـن بَيْـن الأمْـوات تَتِـمُّ بِواسِـطة اَلآب (يُوحنَّـا ٥: ٢١)، والابْـن (يُوحنَّـا ٥: ٢١ أيْضًـا)، والـرُّوح اَلقُـدُس (يُوحنَّـا ٦: ٦٣). هَكـذَا أيْضًـا فَـإِنَّ اَلآب يُقـدِّس (يَهُـوذَا ١)، والابْـن يُقـدِّس (العبْرانيِّيـن ٢: ١١)، والـرُّوح اَلقُـدُس يُقـدِّس (رُوميـة ١٥: ١٦).[١١] رُبَّمَـا تُلاَحِـظ أنَّ هَـذِه العقيـدة يَجِـب أن يَتِـمَّ تجْميعهَـا مِـن اَلعدِيـد مِـن المقاطـع المتميِّـزة مِـن الكتَـاب اَلمُقـدَّس، لِأنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس لَديْـه أَسـبَاب مُختلفَـة لِتحْدِيـد اَلآب والابْـن والـرُّوح اَلقُـدُس كعامليـن فِـي هَـذِه الأعْمـال فِـي سِـياقَات مُختلفَـة. وَلكِـن النَّتيجـة، بَعْـد اَلقلِيـل مِـن الإحالـة المتبادلـة والْمقارنـة، هِـي الاعْتـراف بِـأنَّ اَلآب والابْـن والـرُّوح اَلقُـدُس تـمَّ تحْديدهـم جميعًـا على أَنَّهُـم يقومـون بِنَفـس الأفْعـال بِالضَّبْـط. وَهـذَا يَقُـول بِالْفِعْـل اَلكثِيـر عـن مُجْرياتهـم غَيـر المنْفصلـة.

فَفِـي كُلِّ مَـا يفْعلونـه، يَعمَـل اَلآب والابْـن والـرُّوح اَلقُـدُس فِـي اِنسِـجامٍ. لَكِـن تعاونهـم هُـو حميـم لِلْغايـة إِلـى دَرجَـة أَنَّنَـا رُبَّمَـا لاَ يَنبَغِـي لَنَـا أن نُسَـمِّيَه تعاونًـا، مِـن النَّاحيـة التِّقْنيَّـة. إذ إِنَّـه فِـي نِهايـة المطَـاف، لاَ تُوجَـد ثَلاَث مجْموعـات مِـن المجْريـات المخْتلفـة اَلتِـي تُنَسَّـق بَعضُهـا مـع بَعْـضٍ. فَكِّـر فِـي مِثَـالٍ إِنْسـانيٍّ لِثلاثـة عُمَّـال. عِنْدمَـا يَعمَـل ثَلاثَـة أَشـخَاص معًـا فِـي مَشـرُوع مَـا، فَـإِنَّ

١١ معظم هذه المراسلات مأخوذة من:
William Jones of Nayland, *The Catholic Doctrine of a Trinity* (1756; repr., Philadelphia: D. Dickinson, 1818), 170–74.

إنَّ كتاب نايلاند هو عرض رائع للثالوث عن طريق استخدام إحالات مرجعيَّة شاملة. وقد ألهم تشارلز ويسلي Charles Wesley لكتابة أكثر من مئة ترنيمة عن الثالوث، متَّبعًا إشارات نايلاند عن كثبٍ. للحصول على مجموعة موجزة من المقاطع التي تتضمَّن الروح القدس في الأعمال الإلهيَّة، انظُرْ زكريًّا:
Zacharias Ursinus, *Commentary on the Heidelberg Catechism* (1852; repr., Phillipsburg, NJ: Presbyterian & Reformed, 1992), 275.

كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهم يَقُوم بِالْجزْء اَلْخاصِّ بِه مِنْه. وكوصْف القدِّيس غِريغوْرْيوس النِّيصي Gregory of Nyssa (٣٣٥-٣٩٥)، «حَتَّى لَو اِنخرَط اَلعدِيد مِن الأشْخاص فِي نَفْس هَيئَة العمل، [فإنَّهم] يعْملون بِشَكلٍ مُنْفَصِلٍ كُلٌّ بِمفْرَده فِي اَلمهمَّة اَلتِي تَوَلاَّهَا، دُون مُشَاركَة فِي عَملِه اَلفرْدِيِّ مع الآخرين الَّذين يتشاركون فِي نَفْس المهْنة». فهناك مسافَات واخْتلافات بيْنهم. وَهُم يتناوبون على العمل (وَهذَا يُمثِّل نوْعًا مِن المسافة الزَّمانيَّة)، أو يعْملون على أَجزَاء مُختلفَة مِن المشْروع (المسافة المكانيَّة)، أو يَأتُون إِلى المشْروع مِن زوايَا مُختلفَة (مَرَّة أُخرَى، مِن مسافَات مُختلفَة). «إِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهم مُنْفَصِل عن الآخرين دَاخِل بِيئته الخاصَّة، وفْقًا لِلطَّبيعة الخاصَّة لِعمله».[١٢]

وَلكِن لاَ يَنطَبِق أيٌّ مِن هَذِه الاخْتلافات على الثَّالوث. فالسَّبب اَلذِي جعل النِّيصي يَقضِي وقْتًا فِي تَفصِيل طَبِيعَة التَّعاون هُو حَتَّى يَتَمكَّن مِن شَرْح أنَّ اَلآب والابْن والرُّوح اَلقُدُس لاَ يعْملون معًا بِهَذه الطَّريقة:

«وَلكِن فِي حَالَة الطَّبيعة الإلهيَّة، فنحْن لاَ نَتَعلَّم بِالْمثل أنَّ اَلآب يَعمَل أيَّ شَيْءٍ مِن تِلقاء نَفسِه بيْنمَا لاَ يَنخَرِط الابْن عاملاً بِشَكلٍ مُشتَرَك فِي ذَلِك الشَّيْء، أو أنَّ الابْن لَه أيُّ مُجريَات خَاصَّة بعيدًا عن الرُّوح اَلقُدُس؛ وَلكِنَّ كُلاًّ مِن هَذِه المجْريات الممْتدَّة مِن اَللَّه إِلى الخليقة، والْمسمَّاة وفْقًا لِمفاهيمنَا المتنوِّعة عَنهَا، يكمُن أَصلُه مِن اَلآب، وَيتِمُّ مِن خِلاَل الابْن، ويكْتَمل فِي الرُّوح

12 Gregory of Nyssa, “Not Three Gods,” in *Nicene and Post-Nicene Fathers* , ed. Henry Schaff and Philip Wace, series 2, vol. 5 (New York: Charles Scribner’s Sons, 1917), 331–36.

اَلقُـدُس. وَلذَلِـك فَـإِنَّ الاسْـم اَلمُشـتقَّ مِـن المجْريـات لاَ يَنقَسِـم مِـن حَيْـث عـدد الَّذيـن يقومـون بِـه، لِأَنَّ فِعْـل كُلِّ وَاحِـد فِـي شَـيْءٍ مَـا لَيْـس مُنْفـصِلاً ومتميِّـزًا، بـل كُلُّ مَـا يَحـدُث... يَحـدُث بِفعْـل الثَّلاثـة، وَلكِـن مَـا يَحـدُث لَيْـس ثَلاثَـة أَشـيَاء».[١٣]

إِنَّ هـذَا لتصْرِيـح كِلاسـيكيٌّ عـن المجْريـات الخارجيَّـة غَيْـر المنْفصلـة بَيْـن الثَّالـوث.[١٤] لَقـد عَلَّم القدِّيـس أثناسـيوس الإِسْكَنْدريُّ Athanasius of Alexandria (٢٩٦-٣٧٣) أَنَّ «اَلآب يَفعَـل كُلَّ شَـيْء مِـن خِلاَل اَلكلِمـة والـرُّوح اَلقُـدُس. وَبهَـذِه الطَّريقـة تُحفَـظ وَحـدَة الثَّالـوث الأقْـدس».[١٥] وقـد أَوضَـح القدِّيـس غِريغوْرْيـوس النِّيصـي هـذَا اَلخَـطَّ اَلفكْـرِيَّ بِـشَكلٍ أَكثَـر وُضوحًـا بِقوْلـه: «لَكِـنَّ كُلاًّ مِـن هَـذِه المجْريـات... يَكمُـن أَصلُـه مِـن اَلآب، وَيتِـمُّ مِـن خِلاَل الابْـن، ويكْتَمـل فِـي الـرُّوح اَلقُـدُس». إِنَّ كُلَّ وَاحِـدة مِـن هَـذِه المجْريـات تُظْهِـر قُـوَّة إِلهيَّـة وَاحِـدة تَنبَثِـق مِـن الطَّبيعـة الإِلهيَّـة. كُلٌّ مِـن هَـذِه الأَفْعـال «الممْتـدَّة مِـن اَللَّـه إِلـى الخليقـة»، هُـو عمـلٌ يَعمَـل فِيـه اَلآب والابْـن والـرُّوح اَلقُـدُس بِـشَكلٍ لاَ يَنفَصِـل، وَلكِـن حسـب التَّرْتيـب «مِـن اَلآب... مِـن خِلاَل الابْـن... فِـي الـرُّوح اَلقُـدُس».[١٦] وَهـذَا النِّظَـام يَنتَقِـل مِـن الحيَـاة الدَّاخليَّـة لِلَّـه لِينْعَكـس فِـي

13 Gregory of Nyssa, "Not Three Gods, " 334.

١٤ للاطِّلاع على وصف كامل، انظر:
Adonis Vidu, *The Same God Who Works All Things: Inseparable Operations in Trinitarian Theology* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2021).

15 Athanasius of Alexandria, "Letters to Serapion" (1.28.2–3), in *Works on the Spirit: Athanasius the Great and Didymus the Blind* , trans. Mark DelCogliano, Andrew Radde-Gallwitz, and Lewis Ayres (Crestwood, NY: St. Vladimir's Seminary Press, 2011), 97.

16 Athanasius, "Letters to Serapion," 97.

الأعْمـال الخارجيَّـة. لِـذَا فَـإِنَّ كُلَّ عمـلٍ إِلَهـيٍّ هُـو عمـل الأشْـخاص الثَّلاثـة فِـي اِنسِـجامٍ لاَ يَنفَصِـل، علـى الرَّغْـم مِـن أَنَّنَـا نَسـتطِيع أن نَتَعـرَّف علـى كُلٍّ وَاحِـدٍ مِنْهـم فِيـه. ونحْـن لاَ نَتَعـرَّف عَليهِـم مِـن خِلاَل الاخْتلافـات أو المسـافات فِـي طُـرُق عَملهِـم، بـل مِـن خِلاَل تَكْـرار ترْتيبهـم السَّـرْمديِّ، وَالـذِي يُمْكننَـا الإشـارة إِلَيـه بِحـروف اَلجَـرِّ: مِـن اَلآب، مِـن خِلاَل الابْـن، فِـي الـرُّوح اَلقُـدُس. مِـن، مِـن خِلاَل، فِـي.

قـد يَبـدُو إِدرَاج هَـذِه الدِّينامِيكيَّـة مِن-خِلاَل-فِـي دَاخِـل فِـي كُلِّ عمـلٍ مِـن أَعمَـال اَللَّـه بِمثابـة تَعقِيـدٍ غَيْـر ضَـرورِيٍّ عِنْدمَـا يَكُـون كُلُّ مَـا تُريـد قَولَـه هُـو أَنَّ اَللَّـه فعـل شـيْئًا مَـا، وَلَكنَّـه فِـي الواقـع مُفيـدٌ جِـدًّا. وَهـذَا يُذَكِّرنَـا بِـأَنَّ كُلَّ مَـا يفْعلـه اَللَّـه يَحـدُث مِـن اَلآب، مِـن خِلاَل الابْـن، وَفِـي الـرُّوح اَلقُـدُس. وَهـذَا هُـو مَـا قـد تتوقَّعـه تقْريبًـا فِـي الأفْعـال الإلهيَّـة علـى أيِّ حـالٍ، نظـرًا لِلْوحْـدة العميقـة لِلَّـه فِـي اَلآب والابْـن والـرُّوح اَلقُـدُس. ووفْقًـا لِلْقدِّيـس غِريغوْريوس النِّيصـي، إِذَا كان لَديْـك ثَلاثَـة أَفعَـال مُختلفَـة وتتبَّعـت لِلْخلْـف علـى طُـول هـذَا اَلخَـطِّ نَحْـو ثَلاَث مُجريَـات مُختلفَـة أُنتِجَـت بِـشَكلٍ تعاونـيٍّ، فلـن يَكُـون لَديْـك سـبب لِلاشْـتباه فِـي وُجُـود طَبِيعَـة إِلهيَّة وَاحِـدة وَرَاء كُلِّ ذَلِـك. بـل بـدلاً مِـن ذَلِـك، سَـيكُون لَديْـك دليـل لاَ بَـأْس بِـه علـى أنَّ ثَلاثَـة آلهـة مُخْتلفيـن كَانُـوا يعْملـون، حَتَّـى لَـو كَانُـوا يعْملـون معًـا. أَمَّـا إِذَا كُنْـت تَعلَـم أنَّ اَلآب يَلِـد الابْـن، وأنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس يَنبَثِـق مِـن اَلآب اَلـذِي يَلِـد الابْـن، فَمِـن المنْطقـيِّ أن نَقُـول إِنَّ نِظَـام الوحْـدة السَّـرْمديَّة هـذَا يَنعَكِـس أيْضًـا فِـي طَرِيقَـة عَملهِـم، عِنْدمَـا يقومـون بِعَمـلٍ خَارجِـيٍّ لاَ ينْفصلـون فِيـه

وَلكِـن يُمْكِـن التَّمْييـز بيْنهـم. وانْطلاقًـا مِـن طَرِيقَـة اَللَّـه الثَّالوثيَّـة فِـي اَلوُجـود، فأنْـتَ تَعلـم بِالْفِعْـل أَنَّـه يَتَعيَّـن عليْـك البحْـث عـن طَرِيقَـة العمـل الثَّالوثيَّـة هَـذِه. وَهِـي لَيسَـت مُجـرَّد طَرِيقَـة عمـل ثالوثيَّـة (كمَـا لَـو كان بِإمْكانـك تَقسِيم عمـل وَاحِـد إِلـى ثَلاَث مَراحِـل وتعْيينهَـا لِثلاثـة أَشـخَاص)، بـل هُـو النَّمـط الثَّالوثـيُّ نَفسـه اَلـذِي تُدَرَّبنَـا عليْـه بِالْفِعْـل: مِـن اَلآب، مِـن خِلاَل الابْـن، فِـي الـرُّوح اَلقُـدُس.

إِنَّ عَقِيـدَة مُجريَـات الثَّالـوث غَيْـر المنْفصلـة لَهَـا مَعنًـى عميـق يَتَعلَّـق بِالطَّريقـة اَلتِـي يَتَحـدَّث بِهَـا الكتَـاب اَلمُقـدَّس عـن عمـل اَلآب والابْـن والـرُّوح اَلقُـدُس. فَهُـو يُنْقذنَـا مِـن إِسـاءة تَفسِير أَفعَـال اَللَّـه بِطريقتيْـنِ خاطئتيْـنِ. أوَّلاً، إِذَا كُنَّـا نميـل إِلـى تَسـطِيح جميـع أَعمَـال اَللَّـه كمَـا لَـو أنَّ وحْدانيَّـة اَللَّـه تَجعَـل الثَّالـوث مُهَمَّشًـا، فَـإِنَّ المجْريـات غَيْـر المنْفصلـة تُذَكِّرنَـا بِالتَّفْكيـر بِـشَكلٍ أَعمَـق بِشـأن كَيفِيَّـة أنَّ كُلَّ عمـلٍ إِلَهـيٍّ يَنطَـوِي حقًّـا علـى اَلآب والابْـن والـرُّوح اَلقُـدُس. ثانيًـا، إِذَا كُنَّـا نميـل إِلـى التَّفْكيـر فِـي الأَشْـخاص الثَّلاثـة فِـي الثَّالـوث بِاعْتبارهـم ثَلاثَـة أَشـخَاص فَاعلِيـن ومنْفصليـن يتعاونـون فقـط فِـي مَشـرُوع مُشـتَرَك مِـن زوايَـا مُختلفَـة، فَـإِنَّ هـذَا المبْـدأ يُذَكِّرنَـا بِـأنَّ وحْدتَهـم يَجِـب أن تَكُـون أَعمَـق مِـن ذَلِـك. إِنَّ هـذَا التَّذْكيـر مُفيـدٌ بِـشَكلٍ خـاصٍّ فِـي فهْمنَـا لِعَمـل الـرُّوح اَلقُـدُس. وَمِـن اَلمنْصِـف أن نَقُـول إِنَّـه عِنْدمَـا نُقسِّـم أَعمَـال الثَّالـوث، فَـإِنَّ هـذَا يَأتِـي علـى حِسَـاب فهْمنَـا لِلـرُّوح فِـي المقَـام الأوَّل. ونحْـن نميـل إِلـى تَجاهُـل مُشـاركته فِـي العمـل اَلـذِي يَقُـوم بِـه اَلآب والابْـن، ونميـل إِلـى عَزلِـه فِـي عَملِـه اَلْخـاصِّ. إِنَّ بِنْيَـة (مِـن-خِلاَل-

فِي) لِلْعمل الثَّالوثيِّ غَيْر المنْفصل تَأتِي لِإنْقاذنَا مِن هذَا اَلفَخِّ. عِنْدمَا نَقُول (بِحقٍّ!) إنَّ اَلآب هُو خَالِق السَّمَاء والْأَرْض، فَإنَّ عَقِيدَة المجْريات غَيْر المنْفصلة تُذَكِّرنَا بِأن نَفتَح عُقولنَا لِلْحقيقة الأعْمق والْأكْثر اِكْتمالاً وَهِي أنَّ اَلخَلق هُو مِن اَلآب، مِن خِلاَل الابْن، وَفِي الرُّوح اَلقُدُس. عِنْدمَا نَحمَد الابْن (بِحقٍّ!) على خَلاصِنا، نَتَذكَّر أنَّ هذَا الخلاَص يَنشَأ فِي اَلآب، ويتحَقَّق مِن خِلاَل الابْن، ويكْتَمل فِي الرُّوح اَلقُدُس. وبعبارة أُخرَى، فَإنَّ المجْريات غَيْر المنْفصلة تُذَكِّرنَا بِعَدم اِسْتبْعاد الرُّوح اَلقُدُس مِن أيِّ عملٍ إلَهيٍّ. بل على العكْس مِن ذَلِك، عِنْدمَا نَعتَرِف (بِحقٍّ!) أنَّ الرُّوح اَلقُدُس يَسكُن فِينَا، فَإنَّ عَقِيدَة المجْريات غَيْر المنْفصلة تُذَكِّرنَا أنَّ السُّكنى هِي مِن اَلآب، وَمِن خِلاَل الابْن. وبعبارة أُخرَى، فَإنَّ المجْريات غَيْر المنْفصلة تُذَكِّرنَا بِعَدم عَزْل الرُّوح اَلقُدُس وجعْل عَملِه يَبدُو مُنْفصِلاً. فَعمَل الرُّوح هُو دائمًا نَفْس العمل اَلذِي يَبدَأ بِالآب ويسْتَمرُّ مِن خِلاَل الابْن، ويكْتَمل فِي الرُّوح اَلقُدُس.

تَخصِيص بَعْض الأفْعال الإلهيَّة

إذَا كان كُلُّ مَا يفْعله اَللَّه هُو عمل غَيْر مُنْفَصِل يَأتِي مِن اَلآب، مِن خِلاَل الابْن، وَفِي الرُّوح اَلقُدُس، فلماذَا هُنَاك أَفعَال إلهيَّة مُعَيَّنَة يَبدُو أنَّ الكتَاب اَلمُقدَّس يَبذُل قُصَارَى جهْدِه لِنسبِهَا إلى شَخْصٍ مُعيَّنٍ؟ حَتَّى عِنْدمَا نَقُوم بِالْمقارنة المرْجعيَّة اَلتِي تُظْهِر أنَّ اَلآب والابْن والرُّوح اَلقُدُس يقومون جميعًا بِنَفس العمل الواحد، فلماذَا يُهيْمِن شَخْص مُعيَّن أحْيانًا على الآخرين

بِاعْتبـاره الشَّـخْص اَلـذِي يَبـدُو أَنَّـه المسْـؤول بِـشَكلٍ خـاصٍّ عـن ذَلِـك العمـل؟ لِمـاذَا يُلخِّـص قَانُـون الإيمـان الرَّسـوليُّ، علـى سـبيل المثَـال، شَـهادَة الكتَـاب اَلمُقـدَّس بِقوْلـه إِنَّنـا نُؤْمِـن بِاللَّـه اَلآب القـادر علـى كُلِّ شَـيْء خَالِـق السَّـمَاء والْأَرْض؟ لِمـاذَا نَقُـول إِنَّ اَللَّـه اَلآب أحـبَّ العالـم حَتَّـى أَنَّـه أَرسَـل اِبْنـه اَلوحِيـد؟ لِمـاذَا نَقُـول إِنَّ اِبْـن اَللَّـه هُـو اَلـذِي يُحقِّـق الفـدَاء وإِنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس هُـو اَلـذِي يُطَبِّقـه؟ علَـى الرَّغْـم مِـن عَظمَـة مَبـدَأ المجْريـات غَيْـر المنْفصلـة، فَإِنَّـه قـد يَبـدُو فِـي بَعْـض الأحْيـان وَكَأَنَّـه يُهـدِّد بِإِفْـرَاغ قُدْرتِنَـا علـى اَلحدِيـث عـن أَشـخَاص الثَّالـوث حِيـن يقومـون بِـأيِّ شَـيْء مُعيَّـن. وَبمَـا أنَّ هَـذِه الطُّـرق فِـي اَلحدِيـث مَبنِيَّـة بِالتَّأْكيـد علـى كلمـات الكتَـاب اَلمُقـدَّس ذاتهَـا، فَمِـن الضَّـروريِّ أَلاَّ نَسـمَح لِأيِّ أَفكَار لاَهوتيَّـة بِالظُّهـور كهيـاكل تَقِـف بيْننَـا وَبَيـن الكتَـاب اَلمُقـدَّس. وَلحُسـن اَلحَـظِّ أنَّ التَّعـارض هُنَـا ظَاهـرِيٌّ فقـط، وليْـس حَقيقِيًّـا. فالْمجْريـات غَيْـر المنْفصلـة هِـي فِـي حـدِّ ذاتهَـا عَقِيـدَة مُسـتمَدَّة مِـن الكتَـاب اَلمُقـدَّس، كمَـا رأيْنَـا. هُنَـاك سَـبَبان رئيسـيَّان يجْـعلاَن الكتَـاب اَلمُقـدَّس يَنسُـب أعْمـالاً إِلهيَّـة مُعَيَّنَـة إِلَـى أَشْـخَاص مُعيَّنِيـن مِـن الثَّالـوث. السَّـبب الأوَّل يُعيدنَـا إِلـى العقيـدة الحاسـمة المتعلِّقـة بِالاِنْبثاقـات. تَذكَّـر أنَّ هُنَـاك بَعْـض الأفْعـال الإلهيَّـة اَلتِـي هِـي إِرْسـاليَّات فِعْليَّـة لِلابْـن والـرُّوح اَلقُـدُس. إِنَّ تَجسُّـد الابْـن هُـو قِيَـام اَلآب بِإِرْسَـال الابْـن إِلـى العالـم بِطريقـة تُظْهِـر تَوَالـدَه السَّـرْمديَّ. وَإِنَّ سَـكْبَ الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي يَـوْم الخمْسـين هُـو إِرسَـال اَلآب لِلـرُّوح اَلقُـدُس إِلـى الكنيسـة علـى أَسَـاس عمـل الابْـن المكْتمـل. هَـذِه هِـي الحـالات الخاصَّـة اَلتِـي يَكُـون فِيهَـا الهـدف كُلُّـه هُـو جَعْـل أَشـخَاص الثَّالـوث حَاضِريـن شـخْصيًّا ومعْروفيـن

لَنَا بِشَكلٍ فَعَّالٍ. وَحتَّى فِي هَذِه الحالات، لاَ يَزَال بِإمْكانِنَا أن نَقُول إِنَّ هُنَاك نوْعًا مِن عدم الانْفصال فِي العمل، لِأنَّ الابْن لاَ يَتَجسَّد إِلاَّ كَمُرسَل مِن اَلآب فِي جسدٍ أَعدَّه الرُّوح اَلقُدُس (لُوقَا ١: ٣٥) وَلكِنَّ الابْن وَحدَه هُو اَلمُرْسَل. إِنَّ الابْن وَحدَه هُو المُتجسِّد، على الرَّغْم مِن أَنَّ تَجسُّد الابْن هُو عمل الثَّالوث كُلِّه.[١٧] وهناك شَيْء يَصِحُّ بِالتَّوازي عن الرُّوح اَلقُدس: إِنَّ يَوْم الخمْسين هُو إِرْساليَّته الشَّخْصيَّة الخاصَّة فِي تَارِيخ الخلاَص، حَيْث يُعْلِن عن اِنْبثاقه السَّرْمديِّ فِي حَيَاة اَللَّه. لِذَلك، فِي حِين أَنَّ كُلَّ الأفْعال والْأعْمال اَلتِي حَدثَت فِي فَترَة الخمْسين (الرِّيح العاصفة، أَلسِنة اللَّهب، ومَا إِلى ذَلِك) كَانَت مِن عمل الثَّالوث بِأكْمَله، إِلاَّ أَنَّ الإرْساليَّة نفْسهَا كَانَت هِي إِرْساليَّة الرُّوح اَلقُدس وَحدَه. إِنَّ إِرْساليَّة الابْن والرُّوح اَلقُدُس هِي خَاصَّة جِدًّا.

وَلكِن هُنَاك سبب ثانٍ يَجعَل الكتَاب اَلمُقدَّس يَنسُب أفْعالاً مُعَيَّنَة إِلَى أَشْخَاصٍ مُعيَّنِين مِن الثَّالوث، حَتَّى فِي الحالات اَلتِي يَكُون فِيهَا الفعْل المنْسوب هُو أحد تِلْك الأفْعال المشْتركة اَلتِي وصفْناهَا بِأنَّهَا مُجريَات لاَ تَنفَصِل. لَقد اِخْتَار اَللَّه أن يَستخْدِم بَعْض الأفْعال كَفُرَص لِإظْهَار لَنَا مَا هِي شخْصيَّات الثَّالوث المتميِّزة. لَقد اِخْتَار بَعْض الأفْعال التَّاريخيَّة فِي العالم اَلتِي تُشْبِه بِشَكلٍ تعْليميٍّ النِّظَامَ الدَّاخليَّ الأبَديَّ لِلْوجود فِي الثَّالوث، وقد ربط هَذِه الأفْعال بِشَكلٍ مُعْتاد بِالْأشْخاص المناظرين لِتلْك الأفْعال. تَذكَّر أَنَّ التَّرْتيب الدَّاخليَّ

١٧ إِنَّ عقيدة تجسُّد الابنِ هي عقيدة أتمنَّى أن يكون لي مكان هنا لاستكشافها، ولكن القيام بذلك سيعني بالتأكيد الابتعاد عن عقيدة الروح القدس. لمزيد من المعلومات بشأن الإرساليَّات، انظر: Adonis Vidu, *The Divine Missions: An Introduction* (Eugene, OR: Cascade, 2022).

لِنَمـط العيْـش هُـو مِـن اَلآب، مِـن خِلاَل الابْـن، فِـي الـرُّوح اَلقُـدُس، وأنَّ هـذَا التَّرْتيـب يَتَجلَّى فِـي الأعْمـال الخارجيَّـة فِـي البنْيـة المقابلة (مِن-خِلاَل-فِـي). وَبِسـبَب هَـذِه المطابقـة يميـل اَللَّـه إِلـى تَخصِيـص أَفعَـالٍ مُعَيَّنَـة لِأشْـخَاصٍ مُعيَّنِيـن.

وَلأَنَّ هـذَا المبْـدأ يُركِّـز على اَلأُمـور المخصَّصـة بِهَـذه الطَّريقة، فَإِنَّـه يُسـمَّى «التَّخْصيـص Appropriation». فَهُـو يَخْتـار الأفْعـال الإلهيَّـة اَلتِـي، رَغْـم أَنَّهَـا لَيسَـت عـملاً حصْريًّـا لِشَـخصٍ وَاحِـدٍ مِـن الثَّالـوث، فَهِـي تُشْـبِه شَـخْصًا مُعيَّنًـا مِـن الثَّالـوث، وَفِـي هـذَا بَعْـدٌ تعْليمـيٌّ. إنَّ المثَـال اَلعظِيـم فِـي قَانُـون الإيمـان هُـو أَنَّنَـا نَعتَـرِف بِـأنَّ اَللَّـه اَلآب هُـو خَالِـق السَّـمَاء والْأَرْض، لَيْـس بِـشَكلٍ خـاصٍّ أو حَصـرِيٍّ أو بِمعْـزلٍ عـن الابْـن والـرُّوح اَلقُـدُس، وَلكِـن مِـن خِلاَل التَّخْصيـص. إِنَّ صُـدُور كُلِّ الأشْـياء مِـن اَللَّـه الواحـد يُشْـبِه بِـشَكلٍ تعْليمـيٍّ صُـدُور الابْـن والـرُّوح اَلقُـدُس مِـن اَلآب فِـي الحيَـاة الإلهيَّـة. فأغْلَـب التَّخْصيصـات تَكشِـف أسْـرارهَا مِـن خِلاَل تَطبِيـق الصِّيغـة «مِـن اَلآب، مِـن خِلاَل الابْـن، فِـي الـرُّوح». كمَـا أنَّ الأفْعـال الإلهيَّـة المشْـتركة اَلتِـي يَكُـون فِيهَـا الأصْـل بـارزًا تَتَجمَّـع حَـوْل اَلآب؛ والْأَفْعـال اَلتِـي يُتمِّـم فِيهَـا اَللَّـه خُطَّتَـه تَتَجمَّـع حَـوْل الابْـن؛ والْأَفْعـال اَلتِـي تَكتَمِـل فِيهَـا الأشْـياء المخْلوقـة تَتَجمَّـع حَـوْل الـرُّوح. فِـي إِطَـار قِـراءة كَامِلـة لِلْكتَـاب اَلمُقـدَّس مِـن مِنظَـار الثَّالـوث، فَـإِنَّ اَلعدِيـد مِـن العبـارات عـن اَلآب والابْـن والـرُّوح اَلقُـدُس، وَالتِـي تَبـدُو لَنَـا وَكَأَنَّهَـا حَصرِيَّـة لِكلٍّ مِنْهـم، تَتَحـوَّل عِنْـد النَّظـر إِلَيْهَـا عـن كثـبٍ إِلـى عِبـارَات تَسـتخْدِم أُسـلُوب التَّخْصيـص. إِنَّنَـا نُولـي اِهْتمامًـا وثيقًـا لَهُـم لِأَنَّنَـا يَجِـب أن نَفعَـل ذَلِـك؛ يُريـد

اَللّـه أن يُعَلِّمنَـا شـيْئًا صحيحًـا واضحًـا عـن الشَّـخْص اَلمُختـصِّ. إنَّ التَّخْصيـص لَيْـس مُجـرَّد لُعبَـةِ كلمـاتٍ، بـل هُـو طَرِيقَـة إلهيَّـة مُوَجَّهَـة لِلتَّعَـرُّف بِشَـخصٍ مُعيَّـنٍ مِـن الثَّالـوث.

فِـي لُغَـة أَكثَـر تِقْنيَّـة إلـى حـدٍّ مَـا، يُعـرَّف التَّخْصيـص علـى أَنَّـه «عَمَليَّـة... يَتِـمُّ مِـن خِلالِهَـا إسـنَاد بَعْـض الصِّفَـات والْمجْريـات الإلهيَّـة المطْلقـة، وَالتِـي هِـي مُشـتركَة بِـشَكلٍ أَساسِـيٍّ بَيْـن الثَّالـوث بِأكْمَلـه، إلـى أحـد الأشْـخاص الإلهيِّيـن علـى وَجْـه اَلخُصـوص، بِغَـرض الكشْـف عـن الشَّـخْصيَّة الأقنوميَّـة لِذَلـك الشَّـخْص».[١٨] إنَّ القاعـدة الأساسـيَّة اَلتِـي تَحكُـم كَيفِيَّـة اِسْـتخْدام التَّخْصيـص هِـي أَنَّـه يَجِـب أن يَكُـون هُنَـاك نَـوْع مِـن التَّشـابه الجوْهـريِّ بَيْـن الفعْـل والشَّـخْص. مِـن نَاحِيـة سَـلبِيَّة، علَيْنَـا أن نَتَذكَّـر أنَّ التَّخْصيـص لَيْـس حِكْـرًا أبـدًا علـى الشَّـخْص اَلمُختـصِّ مِـن الثَّالـوث. فَفِـي الواقـع، إنَّ ذَلِـك الشَّـخْص مِـن الثَّالـوث لَيْـس مَسـؤُولاً بِـشَكلٍ أَكبَـر نِسْـبيًّا عـن الفعْـل اَلمُخصَّـص لَـه. فلأَنَّنَـا نَنسُـب اَلخَلـق إلـى اَلآب، لاَ يَعنِـي هـذَا أَنَّنَـا نَسـتبْعِد الابْـن والـرُّوح اَلقُـدُس مِـن اَلخَلـق، أو حَتَّـى أَنَّنَـا نَعتَقِـد بِطريقـة مَـا أنَّ اَلآب هُـو الخالـق بِـشَكلٍ أَكثَـر خُصوصِيَّـة. إنَّ التَّخْصيـص لاَ يَعنِـي أبـدًا اِسْـتبْعاد الشَّـخْصيْنِ الآخريْـنِ فِـي الثَّالـوث؛ بـل يَتَعلَّـق بِاسْـتخْدام عمـل مُشـتَرَك لِاخْتيـار طَرِيقَـة العيْـش اَلتِـي تَميِّـز شـخْصًا واحـدًا علـى وَجْـه اَلخُصـوص.[١٩]

18 Joseph Pohle and Arthur Preuss ,*The Divine Trinity: A Dogmatic Treatise by Joseph Pohle* , ed. Arthur Preuss (St. Louis: B. Herder, 1930), 244.

لاحظ أنَّهما يمدَّان استخدام التخصيص ليشمل ليس فقط الأعمال بل الصفات الإلهيَّة أيضًا. هذا صحيح، ولكن بالنسبة إلى مناقشتنا عن الروح القدس، فنحن مهتمُّون بشكلٍ أساسيٍّ بالأعمال.

١٩ يمكن العثور على مزيد من التفاصيل في:

Aquinas ,*Summa Theologiae*1 a Q39, art. 7; and John Owen ,*Communion with the Triune God* , ed. Kelly M. Kapic and Justin Taylor (Wheaton, IL: Crossway, 2007), 89–107.

لَقد حصلْنَا على اَلكثِير مِن أَوجُه التَّمايز لِنقْتفيهَا. قد يَبدُو الأَمْر أَشبَه بِصدْمة فِي الرَّأْس عِنْدمَا يَتَعيَّن عليْك أن تَأْخُذ فِي الاعْتبار لَيْس فقط المجْريات غَيْر المنْفصلة وَلكِن أيْضًا التَّخْصيصات. يَبدُو أنَّ اَلخُطوة اَلأُولى تَجمَع أَشخَاص الثَّالوث معًا بِشَكلٍ أَكبَر مِمَّا اِعْتدْنَا عليْه، فِي حِين يَبدُو أنَّ اَلخُطوة الثَّانية تُعيد فصْلهم مَرَّة أُخرَى، وَلكِن هذَا لَيْس حَقيقيًّا. وَخَاصَّةً إِذَا كَانَت هَذِه أفْكارًا جَدِيدَة بِالنِّسْبة إِلَيك، فقد تَحْتاج إِلى تَخصِيص اَلقلِيل مِن الوقْتِ لَيْس فقط لِلتَّأَكُّد مِن أَنَّهَا تَستَنِد إِلى الكتَاب اَلمُقدَّس وَلكِن بِبساطة لِاسْتيعابهَا أيْضًا. الهدف هُو أن نَكُون قَادرِين على اِسْتخْدام هَذِه العقائد بِسلاسة وَطَلاقَة لِقراءة الكتَاب اَلمُقدَّس بِشَكلٍ جَيِّد والتَّعرُّف على الرُّوح اَلقُدُس بِشَكلٍ أَعمَق فِي حَقِيقَة شَخصِه وماذَا يَفعَل.

لَه غَايَة كُلِّ شَيْء

إِنَّ هَذِه اَلخُطوة النِّهائيَّة، أيْ تَخصِيص التَّطْبيق النِّهائيِّ لِلْخلاَص لِلرُّوح اَلقُدُس، هِي مَا نُرِيد أن نُركِّز عليْه كخطْوتنَا النِّهائيَّة فِي مَشرُوع التَّعَرُّف على مَوقِع الرُّوح اَلقُدُس دَاخِل الثَّالوث. عِنْدمَا نُفكِّر فِي الرُّوح اَلقُدُس مِن أُفُقٍ كِتابيٍّ وثالوثيٍّ كَامِلٍ، فَإِنَّنَا يَجِب أن نَتَعلَّم رَبطه وَربط عَمله بِاخْتتام وإِكْمَال وإِتْقَان كُلِّ عمل اَللَّه. وَهذَا يُشَابِه كَيفِيَّة تفْكيرنَا فِي اَلآب. علَيْنَا أن نَتَعلَّم كَيْف نَبدَأ تفْكيرنَا فِي اَللَّه اَلآب مِن خِلاَل الاعْتراف بِه بِاعْتباره أَصْل كُلِّ الأَشْياء، بِحَيث يَكُون الخَلق نَفسه بِمثابة مُسَاعدَة بَصَريَّة عِمْلاقة تُذَكِّرنَا بِأنَّ اَلآب هُو المصْدر الأساسيُّ

لِلْحيَـاة الإلهيَّـة نَفسـها. وبالْمثْـل، يَجِـب عليْنَـا أن نَتَعلَّـم كَيْـف نَختَبِـر تفْكيرنَـا فِـي اَللَّـه الـرُّوح مِـن خِلاَل الاعْتـراف بِـه بِاعْتبـاره الهـدف والاكْتمـال اَلـذِي تَتَحـرَّك نحْـوه كُلُّ الأشْـياء، بِحَيـث يُصْبِـح اِكتِمـال تَارِيـخ المخْلـوق نَفسـه بِمثابـة مُسَـاعدَة بَصَريَّـة عِمْلاقـة تُذَكِّرنَـا بِـأنَّ الـرُّوح هُـو كَمَـال الحيَـاة الثُّلاثيَّـة نَفسـها.

إنَّ التَّفْكيـر فِـي الـرُّوح اَلقُـدُس بِاعْتبـاره الشَّـخْص المسْـؤول عن الاكْتمـال هُـو بِمثابـة مَسـاوِرة فِكْـرَة عِمْلاقـة. يَقتَـرِح بِتـروس فَـان ماسـتْريخْتْ Petrus van Mastricht (١٦٣٠-١٧٠٦) إِحْـدى الطَّرائـق لِفَهـم هـذَا الموْضـوع. كان ماسـتريخت يَعلِّـم أنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس «يَحتَـلُّ المرْتبـة الثَّالثـة» فِي النِّظَام الثَّالوثـيِّ لِسـببَيْنِ مُرْتبطيْنِ. أوَّلاً، مِـن حَيْـث «تَرتِيـب وَنسَـق العيْـش»، فَهُـو عَائِـش مِـن اَلآب والابْـن. وبعْـد ذَلِـك مِـن حَيْـث «نَسَـق الإجْـراء Mode of operating»، فَهُـو يُجـرِي مِـن اَلآب والابْـن. الحقيقـة اَلمهِمَّـة اَلتِـي تُظْهرهَـا هَـذِه اَلآيَـة عـن الـرُّوح اَلقُـدُس هِـي أَنَّـه «يُجـرِي وَفْـق نَسَـق عَيشِـه».[٢٠]

لِـذَا سـنبْدأ مِـن أَعلَـى مُسْـتوًى لِلتَّأْكيـدات الثَّالوثيَّـة: إنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس هُـو اَللَّـه وَلَكنَّـه شَـخْص أو أُقنُـوم مُعيَّـن لِلَّـه. إنَّ هـذَا اَلوُجـود اَلشـخْصِيَّ/الأقْنوميَّ، أو العيْـش، هُـو فِـي اَللَّـه بِطريقـةٍ خَاصَّـة وعلائقيَّـة؛ أيْ أَنَّـه مِـن اَلآب والابْـن سَـرمدِيًّا. وَبعيْشِـه بِهَـذه الطَّريقـة، كَثالِـث، فَإنَّـه يَعمَـل أيْضًـا بِهَـذه الطَّريقـة. وَلكِـن فِـي هـذَا السِّـيَاق، عِنْدمَـا يَذكـر ماسـتريخت الإجْـراء فَهُـو لاَ يَتَحـدَّث بَعْـد عـن العمـل الخارجـيِّ لِلثَّالـوث. إنَّ الإجْـراء هُـو مُصطَلَـح

20 *sicut subsistit, ita etiam operatur . Petrus van Mastricht, Theoretico-Practical Theology , vol. 2, Faith in the Triune God (Grand Rapids, MI: Reformation Heritage, 2019), 567.*

وَاسِـع بِمَـا فِيـه الكفايـة بِحَيـث يُمْكِـن أن يُشـير أيْضًـا إِلـى إِجـرَاءٍ دَاخلِـيٍّ أَزلِيٍّ/أَبـدِيٍّ. إِنَّ هـذَا الإِجْـراء الدَّاخلـيَّ هُـو بِالطَّبْـع شَـيْء نعْرفـه بِالْفِعْـل؛ فَهُـو يُـشكِّل أَسَـاس نسـق العيْـش، أيْ أَنَّـه يَتَوافَـق مـع العلاقـة الأزليَّة/الأبديَّـة المنْبثقـة مِـن اَلآب والابْـن. كُلُّ هـذَا (الأَصْـل، العيْـش، الإِجْـراء) هُـو علـى مُسـتَوَى الحيَـاة السَّـرْمديَّة، الدَّاخليَّـة، الجوْهريَّـة لِلْإلـه الثَّالـوث.

وَلكِـنَّ اَلخُطـوة التَّاليـة هِـي خُطـوَة لِلـرُّوح اَلقُـدُس تُجَاهنَـا نَحْـن المخْلوقـات: «وَجَـرَّاء هَـذِه الحقائـق، فَإِنَّـه بِمقْتَضى وظيفَتـه التَّدْبيريَّـة يصيـر هُـو مَـن يَـؤُول إِلَيـه إِتمَـام كُلِّ شَـيْء، أيْ التَّجْديـد، والاعْتـداء لِلْإيمـان، والتَّقْديـس، ومَـا إِلـى ذَلِـك».[٢١] إِنَّ الطَّريقـة اَلتِـي يعيـش بِهَـا الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي اَللَّـه تَظهَـر فِـي الطَّريقـة اَلتِـي يُنفِّـذ بِهَـا الـرُّوح اَلقُـدُس أَعمَـال الفـدَاء الإلهيَّـة. وكوْنـه هُـو الثَّالـث، أو يَجُـوز القـوْل كَونَـه اَلأَخِيـر، فِي النِّظَـام السَّـرْمديِّ لِلْألوهيَّـة الكاملة، فَإِنَّـه يَتَصـرَّف ثالثًـا أو أخيـرًا فِـي عمـل اَللَّـه. «إِنَّـه يَملِـك اَلقُـدرة التَّدْبيريَّـة علـى إِتمَـام اَلأُمـور».

وبطبيعـة اَلْحـال فَـإِنَّ هـذَا اَلمنْطِـق يَصلُـح فقـط إِن كان لاَهوتُنَـا اَلْخـاصُّ بِأعْمَـال الثَّالـوث الخارجيَّـة غَيْـر المنْفصلـة جَاهِـزًا وسـليمًا. فمهْمَـا يَفعَـل اَللَّـه، هَكـذَا يفْعلـه الثَّالـوث بِأكْمَلـه. لِذَلـك عِنْدمَـا نَسـمَع أنَّ الاكْتمـال يَختَـصُّ بِالـرُّوح اَلقُـدُس، فلاَ يَنبَغِـي لَنَـا أن نَتَخيَّـل أنَّ اَلآب والابْـن قـد رَكضَـا الجوْلتيْـنِ الأوَّليَّيْـنِ مِـن السِّـبَاق ثُـمَّ سَـلَّمَا العصَـا إِلـى الـرُّوح اَلقُـدُس لِيرْكـض اَلْجَولـة الثَّالثـة. بـل بِالْأَحْـرى، يَجِـب أن نُـدْرِك أنَّ الـرُّوح هُـو مَـن يَعمَـل

21 Mastricht, *Theoretico-Practical Theology* , 2:567.

بِـشَكل لاَ يَنفَصِـل مـع اَلآب والابْـن وَلكِـن دائمًـا بِالسِّـمة الشَّـخْصيَّة اَلتِـي يَجِـب أن نُسَـمِّيهَا «الثَّالثيَّـة». عِنْدمَـا تَصِـل أَعمَـال اَللَّـه إِلـى اِخْتتامهَـا واكْتمالهَـا النِّهائـيِّ (كمَـا فِـي التَّجْديـد، والاهْتـداء، والتَّقْديـس)، فَـإِنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس يُجـرِي وفْقًـا لِعيْشـه: مِـن اَلآب وَمِـن خِلاَل الابْـن كالْأخيـر فِـي كُلِّ عمـل. وهكـذَا فَـإِنَّ الأفْعـال اَلتِـي تَتَألَّـق بِوضـوح بِاعْتبارهَـا اِكْتمـالات هِـي الأفْعـال اَلتِـي تَتَألَّـق فِيهَـا أيْضًـا شَـخصِيَّة الـرُّوح اَلقُـدُس الخاصَّـة. فَهُـو يُجـرِي وفْقًـا لِعيْشـه، واسْـتكْمال الأشْـياء يَعُـود إِلَيـه مِـن خِلاَل مَنصبِـه التَّدْبيـريِّ.

يُمْكننَـا أن نصيـغ الأمْـر بِهَـذه الطَّريقـة: كمَـا نُخصِّـص الخَلـق لِلآب، فَإِنَّنَـا نُخصِّـص الأخْرويَّـات لِلـرُّوح اَلقُـدُس. وَفِـي كِلْتَـا الحالتيْـنِ، لاَ نَسـتبْعِد الشَّـخْصيْنِ الآخريْـنِ فِـي الثَّالـوث، أو نُنْكِـر المجْريـات غَيْـر المنْفصلـة. لَكِـن فَكِّـر فقـط فِـي مِقـدَار السِّـيَاق والتَّوْجيـه اَلـذِي يمْنحنَـا إِيَّـاه هـذَا حَتَّـى نَفهَـم الـرُّوح اَلقُـدُس بِشَكلٍ أَعمَـق. فَهُـو يُؤسِّـس شـخْصانيَّته/أقنوميَّته الخاصَّـة علـى علاقَـات اَللَّـه السَّـرْمديَّة، وَيلقِـي بِكلِّ أعْمالـه فِـي شَكْل اِكتِمـال وإِكْمَـال. إِنَّـه يُهَيِّئنَـا أن نَجـدَه فِـي كُلِّ مَكَان، دُون أن نَفقِـد هُويَّتـه الشَّـخْصيَّة الخاصَّـة. إِنَّ التَّعَـرُّف علـى مَوقِـع الـرُّوح اَلقُـدُس مِـن الثَّالـوث لاَ يحْمينَـا مِـن عـددٍ مِـن الأخْطـاء (مِثْـل فَصْـل الأشْـخاص أو الخلْـط بيْنهـم) فحسْـب، بـل والْأَمْـر الأكْثـر إِيجابيَّـة هُـو أَنَّـه يضـع النِّيوماتولوجيـا فِـي سِـيَاق شَـامِل يُفسِّـر كُلَّ عمـل اَللَّـه مِـن وُجهَـة نظـر الكمَـال النِّهائـيِّ.

ويطْـرح جُـون أُوِن John Owen النُّقْطـة نَفسـها، وَلكِـن بِلغـة مُوَسَّـعَة بِالقـدر نفسـه: «بِمَـا أنَّ تَرتِيـب الإِجْـراء بَيْـن الأشْـخاص

المتمايزيـن يَعتَمِـد علـى تَرتيـب عَيشـهِم فِـي الثَّالـوث الأقْـدس، فَفِـي كُلِّ عمـل عظيـم لِلَّـه، تُنسَـب الأعْمـال الختاميَّـة والْمكْتملـة والْإكماليَّـة إِلـى الـرُّوح اَلقُـدُس».[٢٢] إِنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس يَربُـط كُلَّ شَـيْء معًـا فِـي تَارِيـخ الـخلاَص لِأَنَّه هُـو الاكْتمـال، فِـي إِطَـار هـذَا التَّاريـخ كمَـا هُـو دَاخِـل الحيَـاة السَّـرْمديَّة لِلثَّالـوث.

إِنَّ مَعرِفـة الـرُّوح اَلقُـدُس كمكمِّـلٍ لَهَـا اَلعدِيـد مِـن التَّأْثيـرات على فهْمنَـا لِرسـالة الكتَـاب اَلمُقـدَّس، وسـوْف نـرى هَـذِه التَّأْثيـرات تَتكشَّـف فِـي اَلفُصـول المتبقِّيـة. وَلكِـن بيْنمَـا نَختَتِـم هـذَا الفصْـل عـن الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي الثَّالـوث، يَجِـب أن نُلاَحِـظ إِلـى أيِّ مـدًى أَصبَـح لاَهوتُنَـا الكتابـيُّ غنيًّـا مِـن خِلاَل إِيلاَء الاهْتمـام بِحيـاة اَللَّـه الثَّالـوث نَفسِـه. وقـد أَشَـار العلمـاء المتخصِّصـون فِـي تَتبُّـع اَلخُطـوط التَّاريخيَّـة لِعلْـم اللاَّهـوتِ الكتابـيِّ إِلـى مـدى أَهَمِّيَّـة الـرُّوح اَلقُـدُس بِالنِّسْـبة إِلَـى عقيـدة الأَخْرويَّـات. إِنَّ اِكتِمـال تَارِيـخ العالـم هُـو مَجَـال مَشـحُون بِواقـع الـرُّوح.[٢٣] إِنَّ هـذَا لَموْضـوع مُثيـر لِدراسـة الكتَـاب اَلمُقـدَّس، وَلَكنَّـه يُصْبِـح أَكثَـر أَهَمِّيَّـة عِنْدمَـا نُـدْرِك كَيْـف أنَّ الـشَّكْل الأَخْـرويَّ لِعَمـل اَللَّـه فِـي التَّاريـخ يَرتَكِـز علـى دِينامِيكيَّـات مَبـادِئ الحيَـاة الثَّالوثيَّـة، فَـوْق وأبْعـد مِـن كُلِّ تَارِيـخ العالـم. إِذ يَنسُـب الكتَـاب اَلمُقـدس الأَخْرويَّـات والاكْتمـال إِلـى الـرُّوح اَلقُـدُس بِسَـبب كَونِـه الثَّالـثَ فِـي الثَّالـوث.

22 John Owen ,*Pneumatologia* , in *The Works of John Owen* , ed. William H. Gould (1674; repr., Edinburgh: Banner of Truth, 1967), 3:94.

23 Geerhardus Vos, "The Eschatological Aspect of the Pauline Conception of the Spirit," in *Biblical and Theological Studies* (New York: Charles Scribner's Sons, 1912).

انظر أيضًا:

Neill Q. Hamilton, *The Holy Spirit and Eschatology in Paul* (Edinburgh: Oliver & Boyd, 1957).

إِنَّ مُعلِّمِين مِثْل ماستريخت وأُوِن قد مَكَّنُونا مِن الاسْتفادة مِن اللاَّهوتِ المدْرسيِّ فِي شَكلِه البروتسْتانْتيِّ. وَكمَا هِي اَلْحال غالبًا مع عِلْم اللاَّهوتِ العامل فِي النَّمط المدْرسيِّ، فقد جمَّعنَا اَلكثِير مِن المفاهيم وتعلَّمنَا كَيفِيَّة إِجرَاء بَعْض التَّمْييزات الدَّقيقة. إِنَّنا نَستدْعِي مِثْل هؤلاء الكتَّاب على وَجْه التَّحْديد عِنْدمَا نَحْتاج إِلى إِنجَاز هذَا النَّوْع مِن العمل. فَهُم يمْتلكون الأدوات الأكْثر حِدَّة وأقْوى الهياكل الدَّاعمة. قد يَبدُو الأمْر وَكَأنَّه طريق طويل عِنْدمَا يَكُون هَدفُنا اَلوحِيد هُو اَلحُصول على نَظرَة ثَاقِبة لِشخْصِيَّة الرُّوح اَلقُدُس وَعمَلِه. لَكِن بَعْد أن سلكْنَا هذَا اَلطرِيق، أَصْبحْنَا فِي وَضْعٍ يَسمَح لَنَا بِإعادة النَّظر فِي الكتَاب اَلمُقدَّس بِفَهمٍ أَعمَق لِلْخلْفيَّة الأزليَّة الكامنة وَرَاء أَعمَال الرُّوح اَلقُدُس الزَّمنيَّة، حَتَّى نَتَمكَّن مِن رُؤيَة اَلمزِيد فِي مَا يقوله عن عمل الرُّوح اَلقُدُس.

٣

الرُّوح اَلقُدُس واَلْآب

غالبًا مَا يُعتَبَر الرُّوح اَلقُدُس شَخْص الثَّالوث الأكْثر عُرضَة لِلْإهْمال أو التَّجاهل. لِذَا يَجِب علينَا بِالتَّأْكيد أن نَكُون صاحين مِن جِهة إِعطَاء الرُّوح الاهْتمام اللائَق والتَّبْجيل الواجب. وَلكِن قد يكُون مِن اَلمنْصِف أيْضًا أن نَقُول إِنَّ شَخْص الثَّالوث اَلذِي يَحصُل فِي الواقع على أقلِّ قَدْرٍ مِن الاهْتمام لَيْس الشَّخْص الثَّالث، وَلكِن الأوَّل. لاَ بُدَّ أَنَّه هُنَاك على الأقلِّ عَشرَة أَضعَاف عدد اَلكُتب المكْتوبة عن الرُّوح اَلقُدُس مُقَارنَةً بِمَا هُو مَكتُوب عن اَللَّه اَلآب. ولاَ يُوجَد حَتَّى اِسْم لِعقيدة اَللَّه اَلآب. فنحْن نَدرُس الابْن فِي الكريسْتولوجيا والرُّوح فِي النِّيوماتولوجيا، وَلكِن لاَ يُوجَد اِسْمٌ مُقَابِلٌ لِدراسة اَلآب (الفاذرولوجيا؟ فِي اَلآونة الأخيرة بدأ بَعْض اَلكُتَّاب فِي اِسْتخْدام مُصطَلَح الباترولوجيا Paterology). إِنَّه غالبًا مَا يُترَك فِي الخلْفيَّة -لَكِنَّهَا خَلفِيَّة

مُوَقَّـرَة جِـدًّا بِالتَّأْكيـد! وَلكِـن مِـن اَلصحِيـح أَنَّنَـا فِـي إِطَـار أفْكارنَـا عـن اَللَّـه، غالبًـا مَـا نُكَافِـح مـع مُشْكِلـة نِسْـيَان اَلآب.

وَفِـي هـذَا الفصْـل، سَـوْف نَنظُـر إِلـى اَللَّـه الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي علاقَتـه بِاللَّـه اَلآب، وسـوْف نكتَسِـب وُضوحًـا بِشـأنِ كُلٍّ مِـن هذيْـنِ الشَّـخْصيْنِ مِـن الثَّالـوث مِـن خِلاَل التَّفْكيـر فِيهمَـا معًـا. وَكمَـا نَعلَـم أن نَنسُـب البدايـات إِلـى اَلآب («خَالِـق السَّـمَاء والْأَرْض»، كمَا يَقُـول قَانُـون الإيمـان)، فقـد تَعَلَّمنَـا أن نَنسُـب الاكْتمـالات إِلـى الـرُّوح («لَـه يَنتَمِي... الكمَـال»، كمَـا يَقُـول ماستريخْتْ). بَيْـن هـذَا الأصْـل وَهـذَا الاسْـتنْتاج يَأتِـي كُلُّ شَـيْء. إِنَّ فَحْـص الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي علاقَتـه بِـالْآب هُـو فُرصَـة لِلتَّفْكيـر فِـي بَعْـض الأفْكار الضَّخْمـة جِـدًّا بشـأن اَللَّـه وَطرقِـه. سَـيكُون نَهجُنـا اَلاَوَّلـيُّ مِـن خِلاَل العهْـد اَلقدِيـم.

الوعْد والتَّحْقيق

فِـي العهْـد اَلقدِيـم، يَعـد اَللَّـه بِإِرْسَـال رُوحـه أو، بِـشَكلٍ أدقَّ، أن يَسـكُب رُوحَـه. والْجـزْء الأكْثـر شُـهرَة بَيْـن تِلْـك اَلوُعـود النَّبويَّـة هُـو فِـي الإِصْحـاح الثَّانـي مِـن يُوئيـل:

> وَيَكُـونُ بَعْـدَ ذلِـكَ أَنِّـي أَسْـكُبُ رُوحِـي عَلَـى كُلِّ بَشَـرٍ، فَيَتَنَبَّـأُ بَنُوكُـمْ وَبَنَاتُكُـمْ، وَيَحْلُـمُ شُـيُوخُكُمْ أَحْلاَمًـا، وَيَـرَى شَـبَابُكُمْ رُؤًى. وَعَلَـى الْعَبِيـدِ أَيْضًـا وَعَلَـى الإِمَـاءِ أَسْـكُبُ رُوحِـي فِـي تِلْـكَ الأَيَّـامِ. (الآيات ٢٨-٢٩)

إِنَّ الفعْـل «أَسـكُب» هُـو صُـورَة مُذْهِلـة وغيْـر مُتَوقَّعَـة. إِنَّـه أَمْـر غَيْـر مُتَوقَّـع لِأَنَّ مَـا يُسكَب هُـو عَـادَةً نَـوْع مِـن السَّـوائل. لَكِـنَّ الـرُّوح لَيْـس نوْعًـا مِـن السَّـوائل مُجـرَّد مِـن الشَّـخْصيَّة! لَكِـنَّ هَـذِه اَللغَـة الكتابيَّـة تَنقُـل لَنَـا حَجْـم وَتحدِيـد هـذَا الحـدث المتنبَّـأ بِـه. إِنَّ اَللَّـه لَـن يَـرُشَّ رُوحـه هُنَـا وهنـاك، ولـن يَعمَـل سِـرًّا وَخفيـة مِـن خِلاَل رُوحـه، ولـن يكُـون فِـي الواقـع خفيًّـا أو مَغمُـورًا فِـي هـذَا اليـوْم اَلعظِيـم، بـل سَـيكُون هُنَـاك طُوفـان مِـن رُوح اَللَّـه.

إِنَّ اِنـسِكاب رُوح اَللَّـه هُـو حـدث رَئِيسِـيٌّ فِـي إِطَـار خُطَّـة اَللَّـه لِإِسْـرائيل والْعالـم. فِـي الواقـع، فِـي مَقطَـع تِلْـو الآخـر مِـن الأَسْـفار المقدَّسـة، يَظْهَـر هـذَا الانْـسكاب علـى أَنَّـه أَكثَـر مِـن مُجـرَّد كَونِـه عـملاً آخـر كبيـرًا فِـي سِلْسـلة مِـن الأَعْمـال الإلهيَّـة؛ بـل إِنَّـه يَبْـرز كالشَّـيْء اَلأَخِيـر، اَلـذِي بلـغ ذُروَتَـه. إِنَّ اِنـسِكاب رُوح اَللَّـه هُـو أَمْـرٌ أُخْـرويٌّ، بَرَكَـة كَانَـت مَحفُوظـة لِنهايـة الأَزْمنـة. والْأَشْـياء اَلأُخـرى اَلتِـي يَقُـوم بِهَـا اَللَّـه تَقُـود إِلـى هـذَا الحـدث وَتتَّجِـه لِلْأَمَـام فِـي اِنتِظـار ذَلِـك، لَكِـنَّ الانْـسكاب اَلفعْلِـيَّ لِـروح اَللَّـه سـيحْدث «بَعْـد ذَلِـك»، أَيْ كَحـدَث أخيـر. إِنَّ نُبـوَّة يُوئيـل هِـي أَنَّـه فِـي تِلْـك الأَيَّـام الأخيـرة، سيسْـكب اَللَّـه رُوحَـه علـى كُلِّ جسـد، وسـيكون لَـدى جميع أَنـوَاع النَّـاس (كِبَـار وصغـار، رِجَـال ونسـاء) مَعرِفـة فَوقطبيعيَّـة عـن اَللَّـه.

ويتكَـرَّر الوعْـد مِـن قِبـل اَلعدِيـد مِـن الأَنْبيـاء، مـع وُجُـود تَشـابُه شَـامِل وتحـوُّلات طَفِيفَـة فِـي التَّرْكيـز. يَتَكلَّـم إِشـعِياء أَقـلَّ عـن اِخـتِلاف أَنـوَاع النَّـاس الَّذيـن سـيتحوَّلون عِنْدمَـا يَنسَـكِب الـرُّوح اِنْسكابًـا أُخْرِويًّـا، وأَكْثـر عـن كَيْـف أَنَّهَـا سَـتكُون بِمثابـة بَرَكَـة تُجـدِّد

البيئـة الطَّبيعيَّـة. خِلاَل زمـن الخـرَاب، سـتُتْرك اَلحُقـول غَيْـر مُثْمِـرة وَسـتُهجر اَلمُـدن «إِلَـى أَنْ يُسْـكَبَ عَلَيْنَـا رُوحٌ مِـنَ الْـعَلاَءِ، فَتَصِيـرَ الْبَرِّيَّـةُ بُسْـتَانًا، وَيُحْسَـبَ الْبُسْـتَانُ وَعْـرًا» (إشـعياء ٣٢: ١٥).

تَتَميَّـز نبـوءات حزْقيَـال أيْضًـا بِالـرُّوح الموْعـود، مِمَّـا يَربُـط الطَّريقـة اَلتِـي سـيجدِّد بِهَـا الـرُّوح شَـعْب اَللَّـه ويؤسِّسـهم كشـركَاء حقيقيِّيـن فِـي العهْـد مـع اَللَّـه، مُطيعِيـن طَاعَـة تَنبُـع مِـن الدَّاخـل:

«وَأُعْطِيكُـمْ قَلْبًـا جَدِيـدًا، وَأَجْعَـلُ رُوحًـا جَدِيـدَةً فِـي دَاخِلِكُـمْ، وَأَنْـزِعُ قَلْـبَ الْحَجَـرِ مِـنْ لَحْمِكُـمْ وَأُعْطِيكُـمْ قَلْـبَ لَحْـمٍ. وَأَجْعَـلُ رُوحِـي فِـي دَاخِلِكُـمْ، وَأَجْعَلُكُـمْ تَسْـلُكُونَ فِـي فَرَائِضِـي، وَتَحْفَظُـونَ أَحْكَامِـي وَتَعْمَلُـونَ بِهَـا. وَتَسْكُنُـونَ الأَرْضَ الَّتِـي أَعْطَيْـتُ آبَاءَكُـمْ إِيَّاهَـا، وَتَكُونُـونَ لِـي شَـعْبًا وَأَنَـا أَكُـونُ لَكُـمْ إِلهًـا.» (حزقيال ٣٦: ٢٦-٢٨)

بِطريقـة تَنسَـجِم تمامًـا مـع رِسـالة حزْقيَـال، سـيؤدِّي هـذَا التَّجْديـد الدَّاخلـيُّ لِشَـعب العهْـد إِلـى مَعرِفـة أَعمَـق لِمـن هُـو اَللَّـه. وَستُؤسَّـس هُويَّتـه بيْنهـم كالـرَّبِّ إِلههـم لِأَنَّـه سـيُظْهر نَفسَـه بِأَنَّـه هُـو اَلـذِي أَخْرجَهـم مِـن مِصْـر وأَرْسـلهم إِلـى المنْفـى، ثُـمَّ أعادَهـم إِلـى أَرْض الميعـاد. وَكُلُّ هـذَا يَبلُـغ ذُروَتَـه فِـي كَـون اَلـرَّبِّ حاضـرًا لَهُـم فِـي اِنـسِكاب الـرُّوح:

«يَعْلَمُـونَ أَنِّـي أَنَـا الـرَّبُّ إِلهُهُـمْ بِإِجْلاَئِـي إِيَّاهُـمْ إِلَـى الأُمَـمِ، ثُـمَّ جَمْعِهِـمْ إِلَـى أَرْضِهِـمْ. وَلاَ أَتْـرُكُ بَعْـدُ هُنَـاكَ أَحَـدًا مِنْهُـمْ، وَلاَ أَحْجُـبُ وَجْهِـي عَنْهُـمْ بَعْـدُ، لأَنِّـي

سَكَبْتُ رُوحِي عَلَى بَيْتِ إِسْرَائِيلَ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ.»
(حزقيال ٣٩: ٢٨-٢٩)

وبطبيعةِ اَلْحالِ، فَإِنَّ النِّيوماتولوجيا فِي حزْقيَال تَتَميَّز أيْضًا بِالرُّؤْيَة الشَّهيرة لِوادي العظَام اليابسة (الإصْحاح ٣٧)، حَيْث يَرتَفِع جَيْشٌ عظيم، تُحرِّكُه رِيَاحٌ مِن اَللَّه تَهُبُّ فِي رِئاتِهم لِتصْبح أنْفاسهم الخاصَّة.

إِنَّ المسْح اَلسرِيع لِلشَّهادة النَّبويَّة الكاملة لِلْعهْد اَلقدِيم بِشَأن الانْسكاب الموْعود لِلرُّوح هُو بِمثابة رُؤيَة جميع طُرُق اَللَّه تَتَلاقَى: البشر مُتَّحدون، اَلقُلوب مُتَجدِّدَة، النَّاموس مُطَاع، الأرْض مُستردَّة، وَاَللَّه مُستعلَن! اَلكثِير مِن الأشْياء سَوْف تَتَحقَّق عِنْدمَا يَسكُب اَللَّه رُوحَه على كُلِّ جسدٍ.

لَقد بدأْنَا نَنظُر إِلى هذَا الانْسكاب مِن مَنظُور العهْد اَلقدِيم. وهناك بَعْض المزايَا العظيمة لِلْبدْء بِهَذه النُّقْطة النَّبويَّة الممْتازة.

أوَّلاً: التَّوَقُّع. إنَّ نَهْج الوعْد والتَّحْقيق يُساعدنَا، فِي فهْمنَا اَلْخاصِّ، على تَتبُّع الطَّريقة الفعْليَّة مِن النَّاحية التَّاريخيَّة والْمتدرِّجة وَالتِي عرَّف بِهَا اَللَّه نَفسه. وبعبارة أُخرَى، هذَا النَّهْج يَسمَح لَنَا أن نَبدَأ مِن بداية الكتَاب اَلمُقدَّس ونقْرأ لِلْأمَام بِشَكلٍ مُسْتنِيرٍ، والنَّتيجة هِي أن يُصْبِح لَديْنَا فهْمٌ أفضَل لِلْوعود اَلتِي تَتَحقَّق عِنْدمَا نَصِل إِلى العهْد اَلجدِيد. فِي حَالَة الرُّوح اَلقُدُس، هذَا يَعنِي أَنَّه عِنْدمَا يَظْهر بِشَكلٍ أَكثَر وُضوحًا كشخْص مُحدَّد لَه اِسْم مُميَّز، نُدْرِك فَجأَة أنَّ هذَا هُو تَحقِيق

الوعْـد. إنَّـه يَظْهَـر كشـخْصٍ مَصحُوبًـا بِالتَّأْثيـر التَّراكمـيِّ لِلتَّوَقُّـع، دُون أن يَفقِـد أيًّـا مِـن قُوَّتـه الهائلـة بـل مُكتسِـبًا وُضوحًـا وتحْديـدًا. (هـذَا جُـزْءٌ مِمَّـا نُسَـمِّيه الطَّابـع الدَّائـم لِمعْرِفـة الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي الفصْـل ١).

ثانيًـا: اَلآب. إنَّ المقاربـة النَّبويَّـة تُسـلِّط لَنَـا الضَّـوْء علـى العلاقـة بَيْـن اَلآب والـرُّوح. فَعلَـى الرَّغْـم مِـن أنَّ عِبـارة «اَلآب يُرْسِـل الـرُّوح اَلقُـدُس» لَيسَـت طَرِيقَـة العهْـد اَلقدِيـم فِـي الـكلاَم، فإنَّهَـا بِوضـوح المعْنـى الحقيقـيُّ لِلرِّسـالة النَّبويَّـة. ونحْـن نَتَعلَّـم هـذَا بِـشَكلٍ أَكثَـر وُضوحًـا مِـن العهْـد اَلجدِيـد. علـى سـبيل المثَـال، يَقُـول يَسُـوع لِلتَّلاميـذ: «هَـا أَنَـا أُرْسِـلُ إِلَيْكُـمْ مَوْعِـدَ أَبِـي» (لُوقَـا ٢٤: ٤٩)، اَلـذِي يَعنِـي بِـه الـرُّوح اَلقُـدُس. إِنَّ عِبـارة «وَعْـد أَبِـي» تَكَاد تَكُـون اِسْـمًا يسْـتخْدمُه يَسُـوع لِتعْرِيـف الـرُّوح هُنَـا. كمَـا قـال يَسُـوع لِتلاميـذه «أَنْ لاَ يَبْرَحُـوا مِـنْ أُورُشَـلِيمَ، بَـلْ يَنْتَظِـرُوا مَوْعِـدَ الآبِ الَّـذِي سَـمِعْتُمُوهُ مِنِّـي» (الأعْمـال ١: ٤). فِـي ضَـوْء هـذَا، يُمْكننَـا أن نَنظُـر إِلـى الـورَاء وَنـرَى أَنَّـه لَطَالمَـا كَانَـت هُنَـاك دِينامِيكيَّـة عَامِلـة بَيْـن اَلآب والـرُّوح فِـي هـذَا الوعْـد. حَتَّـى عِنْدمَـا قـال اَللَّـه فِـي شَكْل مُبسَّـط، «أَسْـكُبُ رُوحِـي»، كان التَّعْبيـر هُنَـا هُـو عـن وَعْـد اَللَّـه اَلآب بِإِرْسـاليَّة اَللَّـه الـرُّوح اَلقُـدُس. مِـن النَّاحيـة العقائديَّـة، «رُوح اَلـرَّبِّ» يَعنِـي الشَّـخْص الثَّالـث مِـن الثَّالـوث، اَلـذِي يَنبَثِـق مِـن أَوَّل شَـخْص مِـن الثَّالـوث. لِذَلـك، فِـي ظِـلِّ ثَـرَاء البصيـرة الثَّالوثيَّـة، يُمْكننَـا إِعـادة قِـراءة وُعُـود العهْـد اَلقدِيـم كَشَـهادَة كَبِيـرَة علـى عَلاقَـة الـرُّوح بِـالْآب. قـد تَعتَقِـد أَنَّـك لاَ تَعـرِف سِـوى اَلقلِيـل جِـدًّا عـن العلاقـة بَيْـن هذيْـنِ الشَّـخْصيْنِ مِـن الثَّالـوث، وَلَكنَّـك فِـي

الواقـع تَعـرف شـيْئًا كبيـرًا ومُهمًّـا: إِنَّ اَلآب يَرغَـب فِـي سَـكْب رُوحـه اَلقُـدُّوس علـى كُلِّ جسـدٍ.

ثالثًـا، الأَخْرويَّـات. لَقـد عرَّفْنَـا الـرُّوح اَلقُـدُس أُخْرويًّـا بِاعْتبـاره الـرُّوح اَلـذِي يَعِـد اَلآب بِإِرْسـاله فِـي الأَيَّـام الأخيـرة، ثُـمَّ نَلتَقِـي بِـه شـخْصيًّا عِنْدمَـا يَنسَـكِب بِهَـدف تَحقِيـق الوعْـد. يَحـدُث هـذَا بِـشَكلٍ رَئيسِـيٍّ فِـي يَـوْم الخمْسـين، كمَـا ورد فِـي سِـفْر أَعمَـال الرُّسـل. العلاقـة بَيْـن يُوئيـل ٢ وأَعْمَـال الرُّسـل ٢ هِـي وَاحِـدة مِـن أَوضَـح صِيـغ تَحقِيـق الوعْـد وأَكْثرهَـا وُضوحًـا فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس بِأَكْمَلـه. عِنْدمَـا نـزل الـرُّوح اَلقُـدُس علـى التَّلاميـذ فِـي أُورُشـليم فِـي يَـوْم الخمْسـين، أَعلَـن بُطـرُس لِلْحشْـد المنْدهـش: «هـذَا مَـا قِيـلَ بِيُوئِيـلَ النَّبِـيِّ»، ثُـمَّ استشـهَد بِأَكْثـر مِـن اِثْنـيْ عشـر سـطْرًا مِـن نُبـوَّة يُوئيـل. إِنَّ هـذَا لِمثـال جَلِـيٌّ علـى الوعْـد مَقطُوعًـا والْوَعْـد مُتحقِّقًـا. قـد يقودنَـا ذَلِـك إِلـى الاعْتقـاد بِـأَنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي شَكلِـه الأَخْـرويِّ قـد وصـل إِلـى كُلِّ مِلئِـه بِطريقـة لَـم تجْعلْـه لاَ يَنتَمِـي إِلـى عمـل اَللَّـه المسْـتقْبليِّ. يُمْكننَـا بِطريقـة التَّفْكيـر هَـذِه أن نضـع الـرُّوح علـى الجـدْول الزَّمَنـيِّ لِلْكتَـاب اَلمُقـدَّس فِـي مَقَـام أَنَّـه قـد اِنسـكَب فِـي مَرْحَلـةٍ مَـا مِـن ماضينَـا، دُون بَقيَّـة تَأتِـي. وقـد نَعتَـرِف بِـأَنَّ هُنَـاك نَتائِـج مُهمَّـة ومسْـتمرَّة ونعْتَـرف بِوجـوده الدَّائـم فِـي الكنيسـة، لَكِنَّنَـا نُفكِّـر بِـشَكلٍ أَساسِـيٍّ فِـي اِنسِكاب الـرُّوح علـى أَنَّـه نَـوْعٌ مِـن الأَخْرويَّـات اَلتِـي كَانَـت مُسْـتقْبَلة مِـن وُجهَـة نظـر العهْـد اَلقدِيـم، وَلَكنَّـه الآن قـد أَصبَـح ماضيًـا مِـن وُجهَـة نظرنَـا. إِنَّنَـا نُفكِّـر فِـي النُّبـوَّات المسـيَّانيَّة بِهَـذه الطَّريقـة؛ فَفِـي النِّهايـة، كان أَنبِيـاء العهْـد اَلقدِيـم يتطلَّعـون إِلـى الوقْـتِ اَلـذِي سَـيأتِي فِيـه

اَلمسِيح، لَكِنَّنَا الآن نَنظُر إِلى الوَرَاء إِلى الوقْتِ اَلذِي جاء فِيه اَلمسِيح.

لَكِنَّ التَّفْكِير فِي الرُّوح بِهَذه الطَّرِيقة سَيكُون بِمثابة خطأ. هُنَاك شَيْء آخر أَكثَر شُمولاً أو أَكثَر أُخْروِيَّةً بِشَأن اِنسِكاب الرُّوح اَلقُدُس. فَهُو يَبقَى وعْدًا لِمسْتقْبلنَا. أيْ أنَّ مَرْكَزه كوعْدٍ يَبدُو أَنَّه لاَ يَزَال سَارِيَ المفْعول، حَتَّى فِي هذَا الزَّمَان بَعْد الخمْسين، بِموجب العهْد اَلجدِيد. وَحتَّى عِنْدمَا يَستشْهِد بُطرُس بِيوئِيل ٢ على أَنَّه تمَّ تحْقيقه فِي أَعمَال ٢، فَهُو لاَ يَدَّعِي أنَّ جميع نُبوَّات يُوئِيل قد حَدثَت الآن؛ أي جميع العلامات والْعجائب فِي السَّمَاء، واسْترْداد أُورشليم، ودينونة اَلأُمم فِي يَوْم اَلرَّبِّ الأَخْرويِّ النِّهائيِّ. بل هُو بِالْأَحْرى يُشير بِالتَّحْديد إِلى أنَّ الرُّوح اَلقُدُس الموْعود قد اِنسكَب على الشَّبَاب والشُّيوخ، رِجالاً ونساءً، حَتَّى يشْهدوا عن يَسُوع اَلمسِيح، وَ«يَكُونُ كُلُّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَخْلُصُ» (يُوئِيل ٢: ٣٢؛ أَعمَال الرُّسل ٢: ٢١).[١] بِعبارة أُخرَى، إِنَّ الرُّوح الأَخْرويَّ يَنسَكِب فِي يَوْم الخمْسين، وَلكِن هذَا الانْسكاب لَيْس سِوى بِداية «الأَيَّام الأخيرة».[٢] والرُّوح اَلقُدس لاَ يَزَال لَه يَوْم مُسْتقْبليٌّ سَيكُون على نِطَاقٍ أَكبَر. إِنَّ مُقَاربَة

١ في حِين أنَّ الأحداثَ الكُبرى واضحةٌ بِما فِيه الكفَاية، هناك الكثير ممَّا يحدثُ في تحقيقِ العهدِ الجديدِ لما جاءَ في يوئيل ٢. انظر:

Daniel J. Treier, "The Fulfillment of Joel 2:28–32: A Multiple-Lens Approach," *Journal of the Evangelical Theological Society* 40 (March 1997): 13–26.

٢ في حِين أنَّ نبوَّة يوئيل تقول فقط «بَعْدَ ذلِكَ»، فإنَّ الاقتباسَ التفسيريَّ لبُطُرس يذكر «فِي الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ». للحصول على التفاصيل والمناقشة الكاملة، انظر:

I. Howard Marshall, "Acts," in *Commentary on the New Testament Use of the Old Testament* , ed. D. A. Carson and G. K. Beale (Grand Rapids, MI :Baker Academic, 2007), 534.

النِّيوماتولوجيا مِن العهْد اَلقدِيم تُشير إلى الرُّوح اَلقُدُس بِوصْفه أُخْرويًّا بِشَكلٍ مَلحُوظٍ.

يُمْكننَا أيْضًا أن نرى الطَّابع الأخْرويَّ لِلرُّوح اَلقُدُس فِي الطَّريقة اَلتِي يَتحدَّث بِهَا العهْد اَلجدِيد عَنْه. «الَّذِي خَتَمَنَا أَيْضًا، وَأَعْطَى عَرْبُونَ الرُّوحِ فِي قُلُوبِنَا» (كُورنثوس الثَّانية ١: ٢٢؛ اُنظُر أيْضًا كُورنثوس الثَّانية ٥: ٥). إنَّ هَذِه اَلكلِمة «عَرْبُون» لَديْهَا مَعنَى الدُّفْعة المُقدَّمة (أو «العرْبون» فِي اَللغَة القديمة). الفكْرة هُنَا هِي تَعهُّد مَالِيٌّ يُؤمِّن بِشَكلٍ أصيلٍ مِلْكِيَّة حَالِيَّة لِشَيء يُمثِّل فِي حدِّ ذَاتِه واقعًا مُسْتقْبليًّا. يَقُول بُولُس فِي أَفسس إنَّ المؤْمنين قد «خُتِمْتُمْ بِرُوحِ الْمَوْعِدِ الْقُدُّوسِ، الَّذِي هُوَ عُرْبُونُ مِيرَاثِنَا، لِفِدَاءِ الْمُقْتَنَى، لِمَدْحِ مَجْدِهِ» (أَفسس ١: ١٣-١٤). يُمْكننَا أن نُؤكِّد اَلعُنصرَ المسْتقْبليَّ أَكثَر مِن خِلاَل تَرجمَة هذَا حرْفيًّا: «رُوح الوعْد اَلمُقدَّس، اَلذِي هُو الدُّفْعة اَلأُولى». أيْ أَنَّه مِن النَّاحية العمليَّة هُنَاك لَقَبان مخفيَّان لِلرُّوح هُنَا: رُوح الوعْد وَرُوح الدُّفْعة المُقدَّمة. وكلاهمَا يُؤكِّد شخْصيَّته الأخْرويَّة. كان المؤْمنون فِي العهْد اَلقدِيم يتطلَّعون إلى اِنسِكاب رُوح اَلموْعِد اَلقُدُّوس فِي آخر الأيَّام؛ أَمَّا المؤْمنون فِي العهْد اَلجدِيد فيسْكن فِيهم رُوح اَلموْعِد اَلقُدُّوس، اَلذِي وصل إلى عَالمِنا بِالْفِعْل وَلكِنَّ بَاعَه يَمتَدُّ إلى مَا هُو أَبعَد مِنَّا إلى مُسْتقْبلنَا النِّهائيِّ أيْضًا. إنَّ الأقْنوم الثَّالث فِي الثَّالوث هُو رُوح الأيَّام الأخيرة، وَبِحسَب مَفهُوم الكتَاب اَلمُقدَّس، فَإِنَّ «الأيَّام الأخيرة» لَهَا حَافَّة قَرِيبَة وَحَافَّة بَعِيدَة.

كُلُّ هذَا اللاَّهوتِ الكتابيِّ عن الانْسكاب الأخْرويِّ لِلرُّوح

اَلقُـدُس يَتَناسَـب بِـشَكلٍ مِثالـيٍّ مـع بِنْيتِنَـا اللاَّهوتيَّـة الثَّالوثيَّـة. فَمِـن المنْطقـيِّ أن يَكُـون شَـخْص الثَّالـوث اَلـذِي يَنبَثِـق مِـن اَلآب فِـي الأبديَّـة هُـو الشَّـخْص اَلـذِي يَنسَـكِب علـى كُلِّ جسـد فِـي إِطَـار تَارِيـخ الـخلاَص. مِـن خِلاَل التَّـدَرُّب على التَّسلْسـل الثَّالوثـيِّ اَلـذِي يَنْسـاب «مِـن اَلآب، مِـن خِلاَل الابْـن، فِـي الـرُّوح اَلقُـدُس»، يُمْكننَـا أن نـرى كـم أَنَّـه مِـن المناسـب تمامًـا أنَّ جميـع طُـرُق اَللَّـه تميـل نَحْـو عمـل الـرُّوح اَلقُـدُس وتنْتَهـي فِيـه. وَإِذ نَتَذكَّـر أَنَّـه فِـي حِيـن أنَّ كُلاًّ مِـن المجْريـات الخارجيَّـة لِلثَّالـوث يجـرِي فِـي اِتِّحـادٍ لاَ يَنفَصِـم، فَإِنَّنَـا نُخصِّـص البدايـات لِلْآب والْخواتيـم لِلـرُّوح اَلقُـدُس، فَإِنَّنَـا لاَ نَندَهِـش مِـن أن نَجِـد الأَخْرويَّـات كمقاطعـة خَاصَّـة يَظهَـر فِيهَـا رُوح اَلموْعِـد شـخْصيَّته الخاصَّـة.

الصُّورة اَلكُبرى للنيوماتولوجيا

بِمجـرَّد أن نَفهَـم وَعْـد اَلآب بِالـرُّوح اَلقُـدُس، يَنفَتِـح أَمَامنَـا مَشـهَد كبيـر مُذْهِـل لِتارِيـخ الـخلاَص. فَكِّـر فِـي الأمْـر بِهَـذه الطَّريقـة: لَقـد كَانَـت خُطَّـة اَللَّـه اَلآب دائمًـا أن يَسـكُن بَيْـن شَـعبِه، والـرُّوح اَلقُـدُس هُـو، شـخْصيًّا، تَحقِيـق تِلْـك اَلخُطَّـة.

فِـي سِـيَاق وُعُـود العهْـد لِإِسْـرائيل، نـرى اَللَّـه يَربُـط مِـرارًا وتكْـرارًا الصِّيغـة المتبادلـة «فَأَكُـونَ لَكُـمْ إِلهًـا، وَأَنْتُـمْ تَكُونُـونَ لِـي شَـعْبًا» بِهَـدف العيْـش فِـي وسـط شَـعبِه. «وَأَسْـكُنُ فِي وَسَـطِ بَنِـي إِسْـرَائِيلَ وَأَكُـونُ لَهُـمْ إِلهًـا»، مُوَضِّحًـا أنَّ هـدف اَلخُـروج نَفسـه هُـو أن يَجعَـل اَللَّـه نَفسـه مَعرُوفًـا وأن يَسـكُن فِـي وَسـطهِم. «فَيَعْلَمُـونَ أَنِّـي أَنَـا الـرَّبُّ إِلهُهُـمُ الَّـذِي أَخْرَجَهُـمْ مِـنْ أَرْضِ مِصْـرَ لأَسْـكُنَ فِـي

وَسْطِهِمْ. أَنَا الرَّبُّ إِلهُهُمْ» (اَلخُروج ٢٩: ٤٥-٤٦). تَتَعلَّق اَلعدِيد مِن شَرائِع اللاَّوِيِّين بِجَعل مَحلَّة إِسْرائيل مكانًا يُمْكِن لِلَّه والشَّعْب أن يعيشوا فِيه على مَقربة، فَتكُون النَّتيجة «أَجْعَلُ مَسْكَنِي فِي وَسَطِكُمْ، وَلاَ تَرْذُلُكُمْ نَفْسِي. وَأَسِيرُ بَيْنَكُمْ وَأَكُونُ لَكُمْ إِلهًا وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي شَعْبًا» (اللاَّوِيِّين ٢٦: ١١-١٢). اِلتقَط بُولُس هَذِه المقاطع فِي سِيَاق تَشجِيع المسيحيِّين على أن يكونوا مُقدَّسِين: «وَأَيَّةُ مُوَافَقَةٍ لِهَيْكَلِ اللهِ مَعَ الأَوْثَانِ؟ فَإِنَّكُمْ أَنْتُمْ هَيْكَلُ اللهِ الْحَيِّ، كَمَا قَالَ اللهُ: إِنِّي سَأَسْكُنُ فِيهِمْ وَأَسِيرُ بَيْنَهُمْ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهًا، وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا» (كُورنثوس الثَّانية ٦: ١٦). وَفِي نِهاية سِفْر الرُّؤْيَا يَسمَع يُوحنَّا صوْتًا عظيمًا مِن عَرْش اَللَّه يَقُول: «هُوَذَا مَسْكَنُ اللهِ مَعَ النَّاسِ، وَهُوَ سَيَسْكُنُ مَعَهُمْ، وَهُمْ يَكُونُونَ لَهُ شَعْبًا، وَاللهُ نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمْ إِلهًا لَهُمْ» (الرُّؤيَا ٢١: ٣). إِذَا عُدنَا إِلى اَلشرِكة الإلهيَّة-البشريَّة فِي جَنَّة عَدْن، فسيكون لَديْنَا لاَهُوت يَمتَدُّ عَبْر الكتَاب اَلمُقدَّس مِن سِفْر التَّكْوين إِلى الرُّؤْيَا عن سُكنَى اَللَّه مع البشريَّة، بل وبشكْلٍ راديكاليٍّ أَكثَر، سُكنَى اَللَّه فِي البشريَّة.

فِي الواقع، إِنَّ هَذِه اَلخُطَّة الإلهيَّة لِلسُّكْنى تَرتَكِز على رَغبَة عَمِيقَة فِي قَلْب اَللَّه تَمتَدُّ إِلى مَا هُو أَبعَد مِن مَقاصِد الفدَاء. إِذ تَعُود إِلى مَقاصِد اَلخَلق نفْسهَا، إِلى سبب وُجُود مخْلوقات مِن الأسَاس، لِكيْ يَكُون اَللَّه ساكنًا فِي وسطهَا. وَإِذَا أَرَاد اَللَّه أن يَسكُن بَيْن البشر، فعليْه أوَّلاً أن يَصنَع البشر. لِذَا فَإِنَّ خُطوَتَه اَلأُولى سَتكُون خلْقهم، مِن أَجْل اِتِّخاذ اَلخُطوة الثَّانية وَهِي العيْش فِي مَا بيْنهم. وَمِن أَجْل أن يَكُون هُنَاك بشر، يَجِب

أن يَكُون هُنَاك عَالَم كَامِل مَخلُوق لِيكونوا هُم فِيه. لِذَا فَإِنَّ خُطَّة اَللَّه لِلسَّكن فِي البشر لَيسَت فقط «قَدِيمَة قِدَم الأَرْض»، بل هِي السَّبب فِي وُجُود الأَرْض مِن الأَسَاس. وهكذَا، إِذَا كَانَت السُّكْنى الإلهيَّة هِي الهدف، فَإِنَّ اَلخَلق نَفسَه هُو وَسِيلَة لِتحْقِيق هذَا الهدف.

إِنَّ هَذِه هِي طَرِيقَة تَوسُّعِيَّة مُتَعمَّدَة لِوَضع الآثَار المترتِّبة على وَعْد اَلآب بِسَكب الرُّوح اَلقُدُس. لَكِنَّ صِياغة اَلأُمور بِهَذه الطَّريقة اَلقُصوى تُثير ثَلاَث قضايَا تَحْتاج إِلى تَوضِيح.

أَوَّلاً، عِنْدمَا نَقُول إِنَّ اَللَّه يَرغَب أن يَسكُن بيْننَا، عليْنَا أن نَتَحذَّر لِئَلاَّ نَصِف هذَا النَّوْع مِن الرَّغْبة وَكَأَنَّهَا تَأتِي مِن أيِّ نَقْصٍ أو عَجْزٍ أو حَاجَةٍ مِن طَرفِه؛ إِذ عليْنَا أن نَذكُر أنَّ اَللَّه فِي نَفسِه لَم تَكُن لَديْه أَيَّة اِحْتياجات غَيْر مُلَبَّاة. لَقد رأيْنَا بِالْفِعْل أنَّ فِكْرَة اِقتِناء اَللَّه لِروحه الإلهيَّة بِالْكامل تَعنِي أَنَّه لاَ يُوجَد فِي وسط جوٍّ خَارِجِيٍّ أو بِيئة يَستَمِدُّ مِنهَا حياته؛ بل هُو فِي نَفسِه لَه كُلُّ مَا يَحْتاج إِلَيه. فَهُو لاَ يَقُول أبدًا لِلْمخْلوق: «أَنْت تُكَمِّلنِي»، بِغضِّ النَّظر عن مدى حُبِّه لِهَذا المخْلوق. إِنَّ اَلحُبَّ الإلَهيَّ لاَ يَجرِي على هذَا النَّحْو، لِأَنَّ اَلحُبَّ الإلَهيَّ مُكْتَمِل بِالْفِعْل. إِنَّ الإله الثَّالوث، وَعلَى الرَّغْم مِن كَونِه واحدًا تمامًا، فَهُو لَيْس وحيدًا مِن النَّاحية الشَّخْصانيَّة. يُمْكننَا أن نرى هذَا بِشَكل وَاضِح لِلْغاية مِن خِلاَل النَّظر فِي اَلشركة السَّرْمديَّة لِلْآب والابْن والرُّوح اَلقُدُس، إِذ لاَ تُوجَد مِساحة فَارِغة لِشعور الوحْدة أو اَلعُزلة. ولوضْع الأَمْر بِشَكلٍ إِيجابيٍّ قَدْر الإِمْكان، فَإِنَّ اَللَّه تَبارَك إِلى الأبد مُكتَفٍ فِي ذاته بِذاته مِن ذاتِه، مُبْتَهِج بِالْمحبَّة

والنُّـور اللَّذَيْـنِ يصْنعَـان الحيَـاة الإلهيَّـة. بِمجـرَّد أن نُذكِّـر أَنفُسـنا بِهَـذه الحقيقـة العميقـة عـن مِـلْء اَللَّـه السَّـرْمديِّ فِـي المجْـد، يُمْكننَـا حِينئـذٍ أن نَمضِي بِأمـان وَنقُـول مَـا يُريـده اَللَّـه، أو يخْتـاره، أو يَسُـرُّه، أو يَرغَـب فِـي تحْقيقـه، أو يخْتـاره بِحرِّيَّـة.[٣] يَرغَـب اَللَّـه فِـي أن يَسكُن وسـط شَـعبِه، لَيْـس بِدافـع الحاجـة أو الجشـع، بـل بِحرِّيَّـة وَبحَـقٍّ وَبعُمـق. كُلَّمَـا فَهِمنَـا بِوضـوح أنَّ اَللَّـه لاَ يَحْتـاج إِلَيْنَـا، اِتَّضـح لَنَـا الفـرح الكامـن فِـي أَنَّـه يُريـد أن يعيـش بيْننَـا بِالـرُّوح.

ثانيًـا، عِنْدمَـا نَقُـول إِنَّ اَللَّـه أَرَاد أن يَسـكُن بيْننَـا، ثُـمَّ نَـرَاه يَفعَل ذَلِـك، فقـد تجاوزْنَـا خُطـوَةً مَـا. لاَحِـظْ التَّسلْسـل. أوَّلاً، أَرَاد اَللَّـه أن يَسـكُن بيْننَـا، وَثانِيًـا، وَعَـدَ أن يَسـكُن بيْننَـا، وَثالِثًـا، سَـكَب رُوحـه اَلقُـدُّوس لِيسْـكن بيْننَـا. لَديْنَـا هُنَـا قِصَّـة سَلِسَـة، وَلكِن عِنْدمَـا طَفِقنَا نرْويهَـا فشـلنَا فِـي ذِكْـر العقَبـة الرَّئيسـيَّة أَمَـام السُّكْنـى الإلهيَّـة اَلتِـي يُخْبرنَـا بِهَـا الكتَـاب اَلمُقـدَّس، وَهِـي مُشْكِلـة الخطيَّـة. هُنَـاك تَعـارُضٌ أَساسِـيٌّ بَيْـن القداسـة والْخطيَّـة بِحَيـث إِنَّ اَللَّـه اَلقُـدُّوس لَـن يَسكُن بِبسـاطة بَيـن أو فِـي شَـعْب غَيْـر مُقـدَّس. وَبَينمَـا يَعمَـل اَللَّـه علـى تَحقِيـق هَدفِـه وَخطَّتِـه، يَتَغلَّـب اَللَّـه بِـشَكلٍ حَاسِـمٍ علـى هَـذِه العقَبـة عـن طريـق الكفَّـارة. وَفِـي نِهايـة المطَـاف، نَـرَاه يُكفِّـر عـن خطايَـا شَـعبِه ويميِّزهـم (أيْ يُقدِّسـهم) لِيكونـوا مِـلْكًا لَـه. فِـي الواقـع، فَـإِنَّ التَّكَشُّـف العمَلـيَّ الكتابـيَّ والتَّاريخـيَّ لِلْكفَّـارة يَنطَـوِي علـى قِصَّتـه الرَّائعـة ونبوَّتـه الخاصَّـة، وَظهُـور أَنمَـاط الأَمْثلـة الحيَّـة،[٤] والتَّحْقيـق النِّهائـيِّ. فمِـن أَجْـل التَّكْفيـر عـن الخطيَّـة ومـن

3 Steven J. Duby, God in Himself: Scripture, Metaphysics, and the Task of Christian Theolo gy (Downers Grove, IL: IVP Academic, 2019).

٤ أنماط الأمثلة الحيَّة Types/Typology؛ هي في علم تفسير الكتاب المقدَّس أن يكون أحد أبطال

أجـل أن تكُـون سُكنـى الله بَيْـن البشـر ممكنـة، أخـذَ اِبْـن اَللَّه لِنفْسـه طَبِيعَـة بَشَـريَّة وَحقَّـق الـخلاَص فِـي تِلْـك الطَّبيعة البشـريَّة.

بِأَخـذ هـذَا فِـي الاعْتبـار، يُمْكننَـا إِعـادة سَـرْد قِصَّـة السُّكْنـى الإلهيَّـة بِطريقـة أَكمَـل إِذ أَرَاد اَللَّـه أن يَسـكُن بيْننَـا، وَلكِـن عَقبَـة الخطيَّـة تَدخَّلَـت. ولتحْقيـق هَدفِـه النِّهائـيِّ، أَرسَـل اَللَّـه اَلآبُ الابْـنَ لِلتَّكْفيـر عـن الخطيَّـة، وَهُـو اَلـذِي مَهَّـد اَلطرِيـق لِانْسكاب الـرُّوح اَلقُـدُس علـى كُلِّ جسـد. لَقـد كان هَـيكَل البشـريَّة بِحاجـة إِلـى التَّطْهيـر حَتَّـى يَسـكُن اَللَّـه فِيـه. وَفِـي الكفَّارة، أخـذ اِبْـن اَللَّـه هَـيكَل الطَّبيعـة البشـريَّة وَطهَّـرَه فِـي شَـخصِه. وَعلَـى هذَا الأَسَـاس، سَـكَب اَللَّـه الـرُّوح اَلقُـدُس علـى البشـريَّة المُصالَحـة. لَقـد أَغْفَلْنَـا مُؤَقَّتًـا خُطـوَة الكفَّارة فقـط مِـن أَجْـل تَسـلِيط الضَّـوْء علـى الصُّـورة الكبيـرة حَتَّـى نَتَمكَّـن مِـن إِعـادة تَقدِيـم الكفَّـارة كَوَسـيلَة إِلـى الغايـة المرْجـوَّة: أن يَكُـون اَللَّـه فِينَـا بِالـرُّوح.

ثالثًـا، فِـي تَخَطِّينَـا اَلمُؤقَّـت لِموْضـوع الكفَّـارة، أيْضًـا وضْعنَـا جانبًـا بِـشَكلٍ مُؤقَّـت الـدَّوْرَ المرْكـزيَّ لِابْـن اَللَّـه. لَقـد حـان الوقْـتُ لِإعادتـه إِلـى بُـؤرَة التَّرْكيـز لِأَنَّ طُـرُق اَللَّـه لَـن يَكُـون لَهَـا مَعنًـى حَتَّـى نفْهمَهَـا علـى أَنَّهَـا تَتمحـوَر حَـوْل يَسُـوع اَلمسِـيح. وَعلَـى الرَّغْـم مِـن أنَّ الفصْـل التَّالـي سيُخصَّص مُبَاشـرَةً لِلنَّظـر فِـي الابْـن وعلاقتـه بِالـرُّوح، فَـإِنَّ حَذفَـه حَتَّـى مِـن هـذَا الفصْـل اَلمُختـصِّ بِـالْآب يَنطَـوِي علـى تَشـوِيه خطيـر لِمَـا نقولـه الآن. إِذًا، مَـا عَلاقَـة الابْـن بِسُكْنـى اَللَّـه؟ كثيـر علـى كُلِّ وَجْـهٍ. فَكمَـا رأَينَـا لِلتَّـوِّ، الابْـن

القصة الكتابيَّة مثالاً حيًّا للمسيح في تحقيق الخلاص لشعب الله. ينطبق هذا على أشخاص مثل موسى ويشوع وشمشون وداود وغيرهم - (المُتَرجِم).

هُـو مِـن يُحقِّـق العمـل اَلـذِي يَجعَـل تِلْـك السُّكْنـى مُمْكِنـةً. وعلاوةً علـى ذَلِـك، هُـو يَفعَـل هـذَا لِكوْنـه الكائـن البشَـريَّ اَلوحِيـد اَلـذِي يَسـكُن فِيـه الـرُّوح اَلقُـدُس بِالْكامـل وَالـذِي يَمنَـح الـرُّوح دُون قِيَـاس (يُوحنَّـا ٣: ٣٤). عِنْدمَـا نُفكِّـر فِـي الابْـن وعملـه مِـن وُجهَـة نظـر خُطَّـة اَلآب لِانْـسكاب الـرُّوح اَلقُـدُس، يُمْكننَـا أن نـرى أنَّ الابْـن هُـو مِـن يُحقِّـق سُكنَـى الـرُّوح أوَّلاً وبـشكْلٍ تأْسيسـيٍّ فِـي طبيعَتـه البشـريَّة الشَّـخْصيَّة. دَعُونَـا نَقُـول هـذَا بِأكْبـر قَـدْر مُمْكِـن مِـن الدِّقَّـة الكريسْـتُولوجيَّة: إنَّ الاتِّحـاد الأقْنومـيَّ Hypostatic Union لِلابْـن هُـو أَسَـاس قَبُـول الطَّبيعـة البشـريَّة لِلـرُّوح اَلقُـدُس. ولنقـول هـذَا بِأكْبـر قَـدْر مُمْكِـن مِـن الدِّقَّـة الثَّالوثيَّـة: إنَّ السُّكْنـى الإلهيَّـة فِي البشـريَّة هِـي عمـل غَيْـر مُجـزَّأ لِلثَّالـوث بِأكْمَلـه، يَتِـمُّ مِـن اَلآب، مِـن خِلاَل الابْـن، فِـي الـرُّوح اَلقُـدُس. إنَّـه يَتَأتَّـى مِـن اَلآب اَلـذِي يَسـكُبه، مِـن خِلاَل إتمَـام كَفَّـارة الابْـن، بِحضـور الـرُّوح اَلقُـدُس اَلشـخْصِيِّ فِـي المؤْمنيـن.

عِنْدمَـا نُفكِّـر فِـي هـذَا الأمْـر مِـن وُجهَـة نظـر اَلآب اَلـذِي يَسـكُب الـرُّوح، يُصْبِـح عمـل الابْـن كَوَسـيلَة لِتحْقِيـق تِلْـك الغايـة. إنَّنـا لَسـنَا مُعْتاديـن علـى التَّفْكيـر فِـي الابْـن بِهَـذه الطَّريقـة لِأنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس يُعَلِّمنَـا عـن حـقٍّ أن نُركِّـز اِهْتمامنَـا علـى اَلمسِـيح كمرْكـز لِطـرق اَللَّـه. وَكذَلِـك فَـإنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس نَفسَـه يَعمَـل علـى أن يُرينَـا الأشْـياء اَلتِـي تَخُـصُّ الابْـن (يُوحنَّـا ١٦: ١٤). وَلكِـن مِـن أَجْـل فَهْـم النِّطَـاق الكامـل لَلنيوماتولوجيـا، مِـن اَلمفِيـد أن نُحـوِّل أَعيُننـا لِلحْظـة إلـى سُكنَـى الـرُّوح اَلقُـدُس كَهـدَف وَتتويـج لِخطَّـة اَلآب. أوَّلاً الكفَّـارة، وَمِـن ثـمَّ علـى أَساسِـها السُّكْنـى. وَبِهـذَا المعْنـى،

فَإِنَّ الكفَّارة اَلتِي قدَّمهَا يَسُوع اَلمسِيح هِي وَسِيلَة اَللَّه المعيَّنة لِغايَته المخْتارة، وَالتِي هِي سُكنَى الرُّوح. لَقد قام اَللَّه مَعنَا، عمَّانوئيل، بِعمله اَلعظِيم بيْننَا لِيمهِّد اَلطرِيق لِلَّه فِينَا بِالرُّوح. لَقد كَانَت الخطيَّة عَقبَة فِي اَلطرِيق، وقد أَزَالهَا مَوْت اَلمسِيح.

بِالطَّبْع، مِن وُجهَة نظر أُخرَى –وُجهَة النَّظر الكريستُولوجيَّة– تمَّ تَحقِيق خُطَّة اَلآب فِي السَّكن مع شَعبِه بِشَكلٍ كَامِلٍ فِي تَجسُّد اِبْنِه. فَمِن خِلاَل اِتِّخاذ طَبِيعَة بَشَريَّة، عَبَر الابْن الفجْوة الكبيرة بَيْن الخالق والْمخْلوق؛ وبالتَّكْفير عن خطايانَا، رَأَبَ الصَّدْع بَيْن اَلمُقدَّس وغيْر اَلمُقدَّس؛ ثُمَّ بِاعْتلائه عَرشه عن يمين اَلآب، جَلَب الطَّبيعة البشريَّة نَفسها إِلى حُضُور اَللَّه. وَعلَى اِتِّصالٍ بِكلِّ هذَا، فَإِنَّ عمل الرُّوح اَلقُدُس هُو مَسْأَلة أَخْذ الفدَاء المكْتمل فِي اَلمسِيح وتطْبيقه شخْصيًّا على المؤْمنين. مِن وُجهَة النَّظر هَذِه، يَبدُو أنَّ عمل الرُّوح اَلقُدُس هُو تقْريبًا مُلحَق أو اِمتِداد لِعَمل الابْن. قد يكُون عمل الرُّوح ضَروريًّا لِلْغاية، وَلكِن مَا هُو ضَرورِيٌّ لِهَذا العمل نَفسِه هُو أَخْذ عمل الابْن وتوْزيعه. إِنَّ الرُّوح المنْسكب يَتَوسَّط فِي حُضُور اَلمسِيح المتجسِّد خِلاَل الفتْرة بَيْن صُعوده وعوْدَته. إِذَا وصفْنَا هَذِه اَلأُمور بِاسْتخْفاف، فَإِنَّنَا نُخَاطِر بِوَضع الابْن والرُّوح اَلقُدُس فِي نَوْعٍ مِن التَّنافس بِشَأن مَن يكُون عَملُه فِي خِدْمَة مَن. لاَ تُوجَد مُنَافسَة مِن هذَا اَلقبِيل! بل تترَاتَب إِرْساليَّتاهمَا تمامًا تُجَاه بَعضهِم البعْض، وتتناسقان تمامًا. ولن تَقُوم أيٌّ مِن الإِرْساليَّتيْنِ بِنفْسِهَا مِن دون اَلأُخرى.

فَكُلُّ شَيْء عن خَلاصِنا يَتِمُّ فِي إِجرَاءٍ لاَ يَنفَصِل يَأتِي مِن

اَلآب، مِـن خِلاَل الابْـن، وَفِـي الـرُّوح. وَلكِـن عِنْدمَـا نَنظُـر إِلـى هـذَا العمـل اَلمُوحَّـد مِـن مَنظُـور عَلاقَـة الـرُّوح اَلقُـدُس بِـالْآب، فَـإِنَّ مَـا يَلفِـت اِنْتباهنَـا هُـو الطَّريقـة اَلتِـي يُمهِّـد بِهَـا عمـل الابْـن اَلطرِيـق لِانْسكاب الـرُّوح اَلقُـدُس. مِـن نَاحِيـةٍ أُخـرَى، عِنْدمَـا نَنظُـر إِلـى هـذَا العمـل اَلمُوحَّـد مِـن مَنظُـور عَلاقَـة الـرُّوح اَلقُـدُس بِالابْـن، فَـإِنَّ مَـا يَلفِـت اِنْتباهنَـا هُـو الطَّريقـة اَلتِـي يُطبِّـق ويمـدِّد بِهَـا الـرُّوح مَـا يُحَقِّقـه الابْـن علـى نَحْـوٍ مِثالـيٍّ. وَهـذِه الحقائـق تُكْمِـل بَعضُهـا بعْضًـا. بـل تُحتِّـم بعْضهَـا بعْضًـا. علـيْنَـا تقْسـيمهَا إِلـى فُصُـول مُنفصلَـة فقـط لِيتسَـنَّى لَنَـا مَـا يَكفِـي مِـن الوقْـتِ لِإِيلاَء اِنْتباهنَـا إِلـيْهَـا كُلٌّ مِنهَـا بِـدوْره.

إِنَّ الصُّـورة اَلكُبـرى للنيوماتولوجيـا تَتَأسَّـس فِـي نِيَّـة اَلآب أن يَسـكُب رُوحَـه علـى كُلِّ جسـدٍ. يَجِـب أَلاَّ نَتَظاهَـر أبـدًا بِـأنَّ الصُّـورة اَلكُبـرى للنيوماتولوجيـا يُمْكِـن أن تُفهَـم دُون اِرْتباطهَـا الضَّـروريِّ بالْكريسـتولوجيا والْكفَّـارة (أي شَـخْص الابْـن وعملـه). لَكِنَّنَـا نَحْتـاج أن نُحـوِّل أَعيُننـا إِلـيْهَـا مِـرارًا وتكْـرارًا بِمَـا يَكفِـي لِإِنْعَـاش وعْينَـا بِالـرُّوح اَلقُـدُس. مِـن خِلاَل تَركِيـز اِنْتباهنَـا مُؤَقَّتـا علـى العلاقـة بَيْـن اَلآب والـرُّوح اَلقُـدُس، يُمْكننَـا أن نـرى بِـشَكلٍ أَكثَـر وُضوحًـا جانبًـا حيويًّـا مِـن رِسـالة الكتَـاب اَلمُقـدَّس. فالْعلاقـة بَيْـن اَلآب والـرُّوح تُضْفِـي نِطاقًـا عَالمِيًّـا مُعَيَّنًـا للنيوماتولوجيـا.

مِـن بَيْـن اَلعدِيـد مِـن الآفَـاق الجديـدة اَلتِـي تُفتَـح لَنَـا لِلتَّفْكيـر علـى اِمتِـداد نسـق اَلآب والـرُّوح، يَجِـب علـيْنَـا، علـى الأقـلِّ بِـشَكلٍ عَابِـرٍ، أن نَذكُـر الإِرْسـاليَّات العالميَّـة. إِنَّ رَغبَـة اَلآب فِـي سَـكْب رُوحـه علـى كُلِّ جسـدٍ تَجعَـل خُطَّـة اَللَّـه لِجميـع اَلأُمـم فِـي جميـع

أَنحَـاء العالـم أَكثَـر وُضوحًـا. إِنَّ رِسـالة الكتَـاب اَلمُقـدَّس تَنبـض بِرغْبـة اَللَّـه فِـي أن يَكُـون مَعرُوفًـا بِعمْـقٍ مِـن قِبـل جميـع اَلأُمـم وأن تَنسَـكِب رُوحُـه على كُلِّ جسـد. عِنْدمَـا نُفكِّـر فِـي الكـرازة العالميَّـة، غالبًـا مَـا تَتَّجِـه أذْهانَنـا مُبَاشـرَةً إِلـى الإِرْسـاليَّة اَلعُظمـى اَلتِـي أَوصَـى بِهَـا يَسُـوع المُقَـام (مَتَّـى ٢٨: ١٨-٢٠). وَلكِـن يُمْكِـن أن تَتَّجِـه أيْضًـا إِلى يَـوْم الخمْسـين (أَعمَـال الرُّسـل ٢)، عِنْدمَـا جلـب الـرُّوح («اَلموْعِـد» مِـن اَلآب) اَلقُـوَّة اللاَّزمـة لِإطاعـة الإِرْسـاليَّة. تَتَضمَّـن الصُّـورة اَلكُبرى للنيوماتولوحيـا هـذَا اَلأُفُـق الواسـع لِلانْتشـار العالمـيِّ لِأَخْبَـار اَللَّـه السَّـارَّة لِجميـع النَّـاس. فـالْآب يَطلُـب مِـن النَّـاس أن يَعبُـدوه بِالرُّوح والْحـقِّ (يُوحنَّـا ٤: ٢٣). والْعبـادة الحقيقيَّـة لِلْآب تَتِـمُّ بِالضَّـرورة فِـي الـرُّوح المنْسـكب.

العبادةُ فِي الرُّوح

لَقـد رأيْنَـا أنَّ اَلآب يُريـد أن يَسـكُب رُوحـه، وَأنَّه يَعِـد بِذَلك، وَأنَّه علـى هـذَا الأَسَـاس يُرْسِـل الـرُّوح. وَلقَـد رأيْنَـا أنَّ النَّتيجـة النِّهائيَّـة لِهَـذا الانْـسكاب هِـي سُكنَـى الـرُّوح، أيْ أنَّ اَللَّـه يَسـكُن بِالـرُّوح فِـي المؤْمنيـن. الآن حـان الوقْـتُ لِنقـول بِصراحـةٍ مَـا سـتؤدِّي إِلَيـه هَـذِه السُّكْنـى. إِنَّهـا العبـادة. إِنَّ العبـادة الحقيقيَّـة هِـي دائمًـا العبـادة اَلتِي تُصْبِـح مُمْكِنـة مِـن خِلاَل اَلحُضـور اَلشـخْصِي لِلـرُّوح اَلقُـدُس، وخلْـق اَلجَـوِّ اَلـذِي يُمْكِـن فِيـه لِلْمخْلوقـات أن تَعبُـد اَللَّـه. وَكمَـا أنَّ كُلَّ عمـلٍ إِلَهـيٍّ يَأتِـي مِـن اَلآب، مِـن خِلاَل الابْـن، وَفِـي الـرُّوح اَلقُـدُس، فَـإِنَّ كُلَّ مُشَـارَكَة بَشَـريَّة فِـي هـذَا العمـل تَبـدَأ بِالـرُّوح، وتذْهـب مِـن خِلاَل الابْـن، وَتعُـود إِلـى اَلآب. يُمْكننَـا أن نَأخُـذ هَـذِه

المجْموعـة المفيـدة مِـن حُـرُوف اَلجَـرِّ، **مِن-خِلاَل-فِـي،** وأعْمالهَـا فِـي الاتِّجـاه المعاكـس **في-خِلاَل-إِلـى.** إنَّ هَيئَـة عمـل اَللَّـه تُجَاهنَـا تَنعَكِـس تمامًـا فِـي حَركتِنـا نَحْـو اَللَّـه، لِأنَّ حَرَكتنَـا نَحْـو اَللَّـه لاَ يُمْكِـن أن تَحـدُث إلاَّ اِسْـتجابة لِهَـذا العمـل الإلَهـيِّ السَّـابق. عِنْدمَـا نَعبُـد اَلآب بِقـوَّة الـرُّوح اَلقُـدُس، فنحْـن نُكْمِـل الـدَّوْرة كُلَّهَـا اَلتِـي تَخـرُج مِـن اَلآب (مِـن خِلاَل الابْـن فِـي الـرُّوح) وتعيدنَـا إِلـى اَلآب (مِـن خِلاَل الابْـن فِـي الـرُّوح).

يَصِـف بُولُـس فِـي أَفسـس الجماعـة المسـيحيَّة بِأنَّهَـا تَجتَمِـع معًـا بِهَـذه الطَّريقـة بِالضَّبْـط عِنْدمَـا يَخلُـق اَلمسِـيح الـسَّلاَم اللاَّزم لَهَـا: «... لأَنَّ بِـهِ لَنَـا كِلَيْنَـا قُدُومًـا فِـي رُوحٍ وَاحِـدٍ إِلَى الآبِ» (أَفسـس ٢: ١٨). إنَّ دِينامِيكيَّـة المصالحـة اَلتِـي نراهَـا هُنَـا (مِـن خِلاَل الابْـن، فِـي الـرُّوح، إِلـى اَلآب) هِـي القواعـد الأساسـيَّة نَفسـها اَلتِـي تَحكُـم كُلَّ حَركَـة نَحْـو اَللَّـه. فِـي السِّـيَاق المباشـر لَأفسـس ٢، يُشـير بُولُـس إِلـى وَحـدَة اَلأُمـم مـع اليهـود، إذ إنَّ لَهمَـا كِلَيْهِمَـا «قُدُومًـا فِـي رُوحٍ وَاحِـدٍ» إِلـى اَلآب ويجْتمعـان معًـا فِـي حُضـوره. يَسْـتخلص بُولُـس الآثَـار المترتِّبـة على الوحْـدة المسـيحيَّة اَلتِـي تَمتَـدُّ عَبْـر الاخْتلافـات العرْقيَّـة والثَّقافيَّـة، وَتحطِيـم الجـدْران وقتْـل العـداوة (٢: ١٣-١٦). لَكِـنَّ هَـذِه الدِّينامِيكيَّـة (فِي-خِلاَل-إِلـى) تَأتِـي مُبَاشـرَةً مِـن دِينامِيكيَّـة مِن-خِلاَل-فِـي العاملـة فِـي النِّصْـف الأوَّل مِـن أَفسـس ٢، حَيْـث يُجعَـل المؤْمنـون أَحيَـاءً مـع اَلمسِـيح ومُخلَّصيـن بِالنِّعْمـة مِـن خِلاَل الإيمـان. يُمْكننَـا تَوضِيـح ذَلِـك بِـشَكلٍ أَكثَـر صَراحَـةً مِـن خِلاَل القـوْل إِنَّـه فِـي النِّصْـف الأوَّل مِـن أَفسـس ٢، يَأتِـي الـخلاَص مِـن اَلآب («اَللهُ الَّـذِي هُـوَ غَنِـيٌّ فِـي الرَّحْمَـةِ، مِـنْ أَجْـلِ مَحَبَّتِـهِ الْكَثِيـرَةِ الَّتِـي

أَحَبَّنَا بِهَا» ٢: ٤)، مِن خِلاَل الابْن («أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ... وَأَقَامَنَا مَعَهُ» ٢: ٥-٦)، فِي الرُّوح (اَلذِي لَم يُذكَر فِي هذَا اَلمقطع، وَلَكنَّه عاملٌ فِي إِقامة اَلمسِيح وتوْحيدنَا فِي قِيامَته، رُومية ٨: ١١). كُلُّ هذَا يُمهِّد اَلطرِيق لِلْعبادة؛ «فالْقُدوم» يَعنِي الدُّخول إِلى حُضُور اَللَّه بِشَكلٍ لاَئِقٍ، أيْ فِي الرُّوح اَلقُدُس الواحد.

يُطلِق جُون أُوِن على هذَا اَلمقطع، أَفسس ٢: ١٨، «اَلدلِيلَ السَّماويَّ» اَلذِي يُحدِّد النِّطَاق الكامل لِلشَّرِكة مع اَللَّه الثَّالوث فِي نِطَاق وحْدانيَّة اَللَّه، فَإِنَّ العلاقة المرتَّبة بَيْن الأَشْخاص وَاضِحة: «هُنَا نرى تمْييزًا بَيْن الأَشْخاص، فِي مَا يَتَعلَّق بِمجْرياتهم، وَلكِن لَيْس فِي مَا يَتَعلَّق بِكوْنِهم مَوضُوع عِبادتنَا».[٥] يَحرِص أُوِن على تذْكيرنَا بِأنَّ الرُّوح اَلقُدُس، اَلذِي لَه طَبِيعَة إِلهيَّة، هُو نَفسُه مَوضُوع العبادة الصَّحيحة. فِي الواقع، يُقدِّم أُوِن حُجَجًا قَويَّة لِحقيقة أنَّ عِبادة أيٍّ مِن أَقانِيم الثَّالوث عن حقٍّ تَنطَوِي على عِبادة الثَّلاثة كَإِلَهٍ وَاحِدٍ: «مِن المسْتحيل أن نَعبُد أحد الأَشْخاص دُون أن نَعبُد الثَّالوث كُلَّه».[٦] وَلكِن لِكيْ نُدْرِك الأهمِّيَّة المميَّزة لِلرُّوح اَلقُدُس فِي العبادة، علَيْنَا أن نُركِّز على حَقِيقَة أَنَّه الشَّخْص اَلذِي تَجرِي فِيه كُلُّ مُقاربات اَللَّه الممْكنة بِالنِّعْمة. والْمفْتاح هُو حَرْف اَلجَرِّ اَلصغِير هذَا: **فِي.** تَذكَّرْ أنَّ الحيَاة الإلهيَّة لِلثَّالوث نَفسه هِي حَيَاة لاَ تَنفَصِل عن اَلآب، مِن خِلاَل الابْن، فِي الرُّوح اَلقُدُس. كمَا أنَّ عمل الثَّالوث

5 John Owen, Communion with the Triune God , ed. Kelly M. Kapic and Justin Taylor (Wheaton, IL: Crossway, 2007), 420. Ryan M. McGraw, A Heavenly Directory: Trinitarian Piety, Public Worship, and a Reassessment of John Owen's Theology (Göttingen, Germany: Vandenhoeck & Ruprecht, 2014).

6 Owen, Communion with the Triune God , 419–20.

غَيْـر اَلمُجـزَّأ تُجَاهنَـا يَحـدُث أيْضًـا مِـن اَلآب، مِـن خِلاَل الابْـن، فِـي الـرُّوح اَلقُـدُس. فِـي تَوضِيـح وُجهَـة نَظـرِه بِشـأن العبـادة، يُـردِّد أُوِن كُلَّ هـذَا ويأْخذنَـا إِلـى اَلخُطـوة التَّاليـة: لَيْـس فقـط فِـي **خُـرُوج فَيْـض** النِّعْمـة مِـن اَللَّـه، **وانْهمـار** الـرُّوح عليْنَـا، وَلكِـن أيْضًـا فِـي جميـع مُقارباتنَـا إِلـى اَللَّـه، نُلاَحِـظ التَّمْييـز نَفسـه.[٧]

قـد يَبـدُو هـذَا وَكَأنَّه بِمثابـة مُعِـدَّات ثالوثيَّـة ثَقِيلَـة وأكْثـر مِـن اللاَّزم لِشَـرح عمـل الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي العبـادة، لَكِـن أُوِن يـرى أَنَّهَـا ضَروريَّـة وَهُـو مُحِـقٌّ فِـي هـذَا. يَجِـب أن يكُـون لَدينَـا شُـعُور بِمـن هُـو الـرُّوح فِـي نَفسِـه وَفِـي علاقَتـه بِـالآب فِـي المقَـام الأوَّل، قَبْـل أن نَتَمكَّـن مِـن تَقدِيـر مَـن هُـو نحْونَـا وَفِـي مَـا يَتَعلَّـق بِعبادتنَـا فِـي المقَـام الثَّانـي. لِـذَا فَـإِنَّ أُوِن يُـفكِّك الصِّيغـة **مِن-خِلاَل-فِـي** بِـشَكلٍ أَكثَـر قلـيلاً مِـن خِلاَل وضْعهَـا فِـي سِيَاق كَيفِيَّـة وُصُـول اَللَّـه إِلَيْنَـا بِالنِّعْمـة: إِنَّ اَلآب يَفعَـل ذَلِـك عـن طريـق السُّـلْطة الأصْليَّـة؛ الابْـن عـن طريـق التَّواصـل مِـن خِزانـة مُشـترَاة؛ والـرُّوح اَلقُـدُس عـن طريـق الفعَّاليَّـة الفوْريَّـة.[٨] إِنَّ «الفعَّاليَّـة الفوْريَّـة» هِـي اَلتِـي تُجسِّـد مَعنَـى اَلوُجـود **فِـي الـرُّوح** فـي أَثنَـاء العبـادة. فِـي شَـركتِنا مـع اَللَّـه الثَّالـوث، يُعَـدُّ الـرُّوح اَلقُـدُس بِمثابـة مَسـكَن لِقائِنَـا.

لاَ عجـب إِذًا أن يَحُثَّنَـا بُولُـس فِـي وَقْـتٍ لاَحِـقٍ فِـي أَفسـس علـى أنَّ «مُصَلِّيـنَ بِكُلِّ صَلاَةٍ وَطِلْبَـةٍ كُلَّ وَقْـتٍ فِـي الـرُّوحِ» (٦: ١٨). فِـي تَأمُّـل مُطـوَّل بِشـأن هَـذِه اَلآيَـة، أَشَـار اللاَّهوتـيُّ البروتسْـتَانْتيُّ ناثانيـل فِنسـنت Nathaniel Vincent (١٦٣٩-١٦٩٧) إِلـى أنَّ عِبـارة

7 Owen, Communion with the Triune God , 96.

8 Owen, Communion with the Triune God , 104.

«فِـي الـرُّوح» فِـي الواقـع «تُشـير إِلـى رُوح اَللَّـه اَلـذِي يُصلِّـي، وأيْضًـا إِلـى رُوح اَللَّـه اَلـذِي يُسَـاعِد على الـصَّلاَة».[٩] يَجِـب تَقدِيـم جميـع أَنـوَاع الـصَّلاَة والدُّعـاء رُوحيًّـا بِمعْنَيَيـنِ: مِـن طبيعتنَـا الرُّوحيَّـة، وَفِـي رُوح اَللَّـه اَلقُـدُّوس. يَربُـط فِنسـنت عمـل الـرُّوح فِـي الـصَّلاَة بِعَمـل اَلمسِـيح، بِحجَّـة أنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس «يُوجِّـه المؤْمنيـن إِلـى اَلمسِـيح، بِاعْتبـاره المحامـي اَلوحِيـد المهيْمـن».[١٠] وَلكِـنَّ الـرُّوح نَفسَـه هُـو اَلـذِي يَقُـوم بِهَـذا التَّوْجيـه، كمَـا أَنَّـه هُـو اَلـذِي تَجـرِي فِيـه الـصَّلاَة.

يُقـدِّم جُـون أُوِن اَلمزِيـد مِـن التَّفاصيـل عـن عمـل الـرُّوح فِـي الـصَّلاَة. مُركِّـزًا على وَعـدِ اَللَّـه: «أُفِيضُ عَلَـى بَيْـتِ دَاوُدَ وَعَلَـى سُكَّانِ أُورُشَـلِيمَ رُوحَ النِّعْمَـةِ وَالتَّضَرُّعَـاتِ» (زَكَرِيَّـا ١٢: ١٠)، يُحَـاجُّ أُوِن بِـأنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس يَعمَـل فِينَـا بِطريقتيْـنِ: «مِـن خِلاَل إِعطَـاء **مُيُـول ونزعَـات مِـن النِّعْمـة** تُجَـاه هـذَا الواجـب» أن نُصلِّـي و«مِـن خِلاَل إِعطَـاء **اِسْـتطاعة مِـن النِّعْمـة** على القيَـام بِـه بِطريقـة مُنَاسـبَة».[١١] أيْ أنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس يجْعلنَـا نَرغَـب فِـي الـصَّلاَة وَمِـن ثـمَّ يُعْطينَـا اَلقُـدرة علـى الـصَّلاَة. اَلخُطـوة اَلأُولـى؛ أيْ جعلنَـا نَرغَـب فِـي الـصَّلاَة، هِـي خُطـوَة أَساسِـيَّة لِأنَّ شـيْئًا مَـا فِـي طبيعتنَـا السَّـاقطة يُقَـاوِم عَـادَةً الاقْتـراب مِـن اَللَّـه فِـي الـصَّلاَة: فَفِـي أَنفسِـنا، بِطبيعـة اَلْحـال، نَفتَقِـر إِلـى أيِّ تَحـادُثٍ أو وِصَـالٍ مـع اَللَّـه، كأَنَّنَـا اِغْتربْنَـا عـن العيْـش لَـه، بِسَـبب جَهْـل وَغـرُور عُقولِنَـا. يَتَطلَّـب الأمْـر عمـل

9 Nathanael Vincent, The Spirit of Prayer (London: Thomas Parkhurst, 1677), 69.

10 Vincent, Spirit of Prayer, 74. Vincent immediately cites Eph. 2:18.

11 John Owen, A Discourse of the Work of the Holy Spirit in Prayer , vol. 4, Works of John Owen , ed. Thomas Russell (London: Richard Baynes, 1826), 40.

الـرُّوح اَلقُـدُس اَلمُحـرِّك لِيدْفعنَـا نَحْـو اَللَّـه. إِنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس هُـو مِـن يُجْهِّـز ويحـرِّك وَيحُـثُّ قُلُـوب المؤْمنيـن إِلـى مُمَارسَـة الـصَّلاَة بِفَـرحٍ وَرضًـى رُوحـيٍّ. وَإِذَا لَـم يَكُـن هـذَا هُـو اَلْحـال، فَـإِنَّ الـصَّلاَة لاَ يُمْكِـن أن تَكُـون مَقبُولـة لَـدى اَللَّـه. فَهُـو لاَ يَتَلـذَّذ بِتلْـك الصَّرخـات اَلتِـي يُغصَـب عليْهَـا العقْـل غَيْـر الرَّاغبـة وَيُجبَـر عليْهَـا جَـرَّاء الرَّغبـات الأَرْضيَّـة أو الضِّيـق أو اَلبُـؤس.[١٢] لَكِـن عِنْدمَـا نُصلِّـي بِإرادتنَـا، مِـن قَلْـبٍ يميـل إِلـى طلـب اَللَّـه وينْجَـذب بِرغْبـة دَاخلِيَّـة فِـي التَّواصـل معـه، نـرى مَـرَّة أُخـرَى أَنَّ تَطبِيـق مَبـدَأ «الـصَّلاَة فِـي الـرُّوح» بِـكلاَ مَعْنَييـه. مِـن خِلاَل رُوح اَللَّـه اَلقُـدُّوس، نُصلِّـي رُوحيًّـا، لاَ مُجـرَّد ظَاهرِيًّـا أو إِجْباريًّـا.

فِـي خُطـوَة ثَانِيـة، يمْنحنَـا الـرُّوح أيْضًـا «اِسْـتطاعة مِـن النِّعْمـة» أن نُصلِّـي بِـشَكلٍ صحيـحٍ. هـذَا لِأَنَّ تَحقِيـق وعـد زَكَريًّـا بـ «رُوح النِّعْمـة والتَّضرُّعـات» قـد يُصْبِـح مَسْـأَلة نخْتبرهَـا فِعْليًّـا. وقـد وصـف بُولُـس هـذَا الاخْتبـار حِيـن قـال: «وَكَذلِـكَ الـرُّوحُ أَيْضًـا يُعِيـنُ ضَعَفَاتِنَـا، لأَنَّنَـا لَسْـنَا نَعْلَـمُ مَـا نُصَلِّـي لأَجْلِـهِ كَمَـا يَنْبَغِـي. وَلَكِـنَّ الـرُّوحَ نَفْسَـهُ يَشْـفَعُ فِينَـا بِأَنَّـاتٍ لاَ يُنْطَـقُ بِهَـا» (رُوميـة ٨: ٢٦). يَخلُـص أُوِن إِلـى أنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس هُـو حقًّـا رُوح التَّضرُّعـات «لِأَنـه يَنقُـل مَوهِبـة أو قُـدرَة لِلْأَشْـخاص علـى مُمَارسَـة كُلِّ نِعْمَـة فِـي طريـق الـصَّلاَة وواجبهَـا. وَهـذَا هُـو مَـا وعـد بِـه هُنَـا، وَوعَـد بِـأن يَسـكُب مِـن أَجلِـه؛ أيْ أَنَّـه سَـيعطِي بِكثْـرة وَوفْـرَة. وَأَينمَـا يَمنَـح بِمقْتَضـى تَحقِيـق هـذَا الوعْـد، فَإِنَّـه يَجعَـل قُلُـوب النَّـاس تُصلِّـي،

12 Owen, Work of the Spirit in Prayer , 43.

ويمكِّنهم مِن القيَام بِذَلك».[١٣] إِنَّ اَلآب اَلذِي يَطلُب مُصَلِّين بِالرُّوح والْحقِّ يُرْسِل الرُّوح اَلذِي فِيه يُمْكِن أن تَكُون العبادة حَقيقِيَّة:

إِنَّنا نَأتِي إِلى اَللَّه كآب، مِن خِلاَل اَلمسِيح، بِمعونة وعوْن الرُّوح اَلقُدُس، اَلذِي يُعْلِنه كأب لَنَا، ويمكِّننَا مِن الذَّهَاب إِلَيه كأبٍ، كم هُو فَيَّاض بِالْحلاوة والرِّضَا! من دون فَهْمٍ وَاجِبٍ لِلَّه فِي إِطَار هَذِه العلاقة، لاَ يُمْكِن لِأيِّ إِنسَانٍ أن يُصلِّي كمَا يَنبَغِي. وليْس لَنَا أيُّ إِدرَاك لِهَذا، وليْس لَنَا أيُّ مَعرِفة بِه إِلاَّ بِالرُّوح اَلقُدُس.[١٤]

غَمْرٌ يُنَادِي غَمْرًا

مَاذَا يَعنِي أنَّ الرُّوح اَلقُدُس، فِي مُساعدته لَنَا على الصَّلاَة، «يَشْفَعُ فِينَا بِأَنَّاتٍ لاَ يَنْطَقُ بِهَا» (رُومية ٨: ٢٦)؟ سَيكُون مِن اَلمُضلِّل أن نُفكِّر فِي هذَا بِاعْتباره بيانًا عن أنَّ الرُّوح اَلقُدُس مَدفُوع بِأنين الأَلم اَلْخاصِّ بِه، وَكَأنَّه يُعَانِي بِطريقةٍ مَا مِن الشَّوْق والضَّنى جَرَّاء العوز. فِي الواقع، أخذ بَعْض المفسِّرين التَّعْبير على نَحْو الإِشارة إِلى هذَا، لَكِنَّ اَلعدِيد مِن هؤلاء المفسِّرين، لِكيْ يكونوا مُتَّسقين فِي وُجهات نَظرِهِم، كان عَليهِم اَلمضِيُّ قُدُمًا والنَّظر إِلى الرُّوح على أَنَّه شَيْء أقلُّ مِن إِلهٍ. وبِإخْضاعه لِمكانة غَيْر إِلهيَّة، فَإِنَّ هؤلاء المفسِّرين غَيْر الثَّالوثيِّين سَوْف يعْتبرونه مُنْخرِطًا فِي الصَّلاَة بِنفْسه، أيْ

13 Owen, Work of the Spirit in Prayer , 42.

14 Owen, Work of the Spirit in Prayer , 82.

مَخلُوق يُصلِّي إِلى الخالق. لَكِنَّ الرُّوح هُو اَللَّه. وبعبارةٍ أُخرَى، فَإِنَّ رِسالة رُومية ٨: ٢٦ لاَ تَتَحدَّث عن الرُّوح اَلقُدُس بِاعْتباره مَخلُوقًا يَئِنُّ ويصلِّي إِلى اَللَّه بِجانبنَا. بل بِالْأَحْرى، يَتَعلَّق الأَمر بِأَنَّ اَللَّه يَقتَرِب مِنَّا لِدرجة أَنَّه يَدعَم صلواتنَا ويقوِّيهَا على مُسْتوًى أَعمَق مِمَّا يُمْكننَا حَتَّى التَّعْبير عَنْه. فِي الواقع، إِنَّ الرُّوح اَلقُدُس أَقرَب إِلَيْنَا مِمَّا نَحْن عليْه لِأَنْفسنَا، لِأَنَّه فِي حِين يَتَعذَّر حَتَّى على عُقولنَا اَلوُصول إِلى أَجزَاء مِن حَياتِنا الدَّاخليَّة، فَإِنَّ أَيًّا مِنهَا لَيْس مُحْتجِبًا أَمَام الرُّوح اَلقُدُس. إِنَّ الرُّوح اَلقُدُس اَلذِي «بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ يَشْفَعُ فِي الْقِدِّيسِينَ» (رُومية ٨: ٢٧)، لاَ يَفعَل ذَلِك بِأَنَّاته غَيْر المُعبَّر عَنهَا (لِأَنَّه لَيْس عَاجِزًا عن التَّعْبير ولاَ مُتَألِّمًا) بل بِأَنَّاتنَا. فَفِي قُوَّته وَملئِه، يُقوِّي ويمْلأ أَنَّاتِنا. إِذَا سمعتَ أنينًا رُوحيًّا عميقًا في أَثنَاء الصَّلاَة، فَهُو مِن رُوحك وَمِن رُوح اَللَّه أَيْضًا، وَلكِن بِطرقٍ مُختلفَة.

يَستكْشِف جُون أُوِن هَذِه الدِّينامِيكيَّة فِي سِيَاق آخر مُفيدٍ لِلْمقارنة. تُخْبرنَا رِسالة رُومية ٨ أَيْضًا أَنَّ المؤْمنين أَخذُوا «رُوحَ التَّبَنِّي الَّذِي بِهِ نَصْرُخُ: يَا أَبَا الآبُ» (رُومية ٨: ١٥). لاَحِظْ مَن يَصرُخ «أَبَا» هُنَا؛ نَحْن، بِالرُّوح. وَلكِن عِنْدمَا يَعُود بُولُس إِلى هذَا التَّعْليم نَفسه فِي غَلاطِيَّة ٤، يَقُول ذَلِك بِشَكل مُخْتَلِف: «أَرْسَلَ اللهُ رُوحَ ابْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِخًا: ‹يَا أَبَا الآبُ›» (غَلاطِيَّة ٤: ٦). لاَحِظ مَن يَصرُخ «أَبَا» هُنَا؛ الرُّوح، مِن دَاخِل قُلوبِنَا. «إِنَّ عَملَه فِينَا وَعملَنا بِواسطته يُعبَّر عَنهُما بِالكلِمة نَفسها. والسُّؤال هُنَا هُو كَيْف يُقَال عَنْه إِنَّه فِي نَفْس أَدَاء الواجب يَصرُخ فِينَا،

ويقـال عَنَّـا إنَّنَـا نَصـرُخ فِيـه.»[١٥] إِنَّ الصَّرْخـة تَنتَمِـي إِلـى كِلَيْهِمَـا، وَلكِـن «بِطـرق مُختلفَـة»، كمَـا يَقُـول أُوِن. «فَبمَـا أَنَّـه عمـلٌ مِـن أَعمَـال النِّعْمـة والْقـوَّة الرُّوحيَّـة، فَهُـو خـاصٌّ بِـه، أو يَتِـمُّ فِينَـا مِـن خِلالـه وَحـده. وَبمَـا أنَّ هـذَا وَاجِـب نَقُـوم بِـه، فبفضْـل مُساعدته، فَهُـو واجبنَـا؛ وَبِـه نُنَـادِي: يَـا أَبَـا اَلآب».[١٦] إِنَّ عمـل الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي الـصَّلاَة هُـو ذُو جانبَيْـنِ، فَهُـو إِلَهـيٌّ مِـن جَانِـبٍ، وَبشَـرِيٌّ مِـن جَانِـبٍ آخـر. وَفِـي كثيـرٍ مِـن الأَحْيـان، عِنْدمَـا نُوَاجِـه ثُنائِيَّـة الإِنْسـان وَالإِلـه فِـي اللاَّهـوتِ المسـيحيِّ، نُفكِّـر فِـي تفْسـيرهَا مِـن النَّاحيـة المسـيحيَّة، بِالْإِشـارة إِلـى تَجسُّـد اِبْـن اَللَّـه فِـي الطَّبيعـة البشـريَّة. لَكِنَّنَـا هُنَـا نُحَـاوِل أن نُفكِّـر بِطريقـة رُوحيَّـة، وليْـس بِأَخـذ التَّجَسُّـد فِـي الاعْتبـار. إنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس لَيْـس مُتجسِّـدًا، بـل سـاكنٌ.

وَهـذِه السُّكْنـى هِـي فِـي الواقـع المِفْتـاحُ. فَوجُـود الـرُّوح فـي الدَّاخـل أو عُمْقـه فِـي اَلمُؤمـن هُـو اَلـذِي يُعْطِـي لِعملـه جانبـه الإِنْسـانيَّ. وعنْدَمَـا يُرْسِـل اَلآب رُوحَـه إِلَيْنَـا، تَنطَلِـق صَرخَـة «أَبَـا» مِـن أَعْماقنَـا كَكلِمـة بَشَـريَّة تُنطَـق مِـن أَعمَـاق قُلوبِنَـا وَفِـي الوقْـتِ عَينـه كنفْـس اَلكلِمـة مِـن قَلْـب اَللَّـه.[١٧] وَهـذَا هُـو مـدى عُمْـق سُكنَـى الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي المُخلَّصيـن. ويكْتَسـب هـذَا أَهَمِّيَّـة أَكبَـر عِنْدمَـا نَتَذكَّـر مَـا قُلْنـاه فِـي الفصْـل الثَّانـي عـن وُجُـود الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي

15 Owen, Work of the Spirit in Prayer , 52.

16 Owen, Work of the Spirit in Prayer , 52.

١٧ ربَّما تكون «أَبَا» هي الكلمة التي نتوقَّع أن ينادي بها الابنُ الآبَ، وليس الروح القدس. فالآب، في نهاية المطاف، ليس أَبًا للروح القدُس، بل أبٌ للابن. لدينا الكثير لنفهمه هنا! إنَّها حالة يقوم فيها الروح بما قال يسوع إنَّه سيفعله: «لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ» (يوحنَّا ١٦: ١٤). وفي المرَّتين اللتين ذكر فيهما بولس هذه الخدمة، فإنَّه يحدِّد بوضوح الروح القدس باعتباره «رُوحَ التَّبَنِّي» (رومية ٨: ١٥) و«رُوحَ ابْنِهِ» (غلاطيَّة ٤: ٦). لذلك فإنَّ الروح اَلقدس يتكلَّم ويُمكِّننا من لغة الابن بينما هو نفسه بالكامل ولا ينتحل شخص الابن.

اَللَّـه. فمَـن هُـو فِـي اَللَّـه بِطبيعتـه الأزليَّـة هُـو أيْضًـا فِينَـا بِالنِّعْمـة. عِنْدمَـا نَشـرَع فِـي اِسْـتخْدام لُغَـة «اَلعمِيـق فِينَـا» عِنْدمَـا نَتَكلَّـم عـن الـرُّوح اَلقُـدُس، يَتَعيَّـن علَيْنَـا أن نَعتبِـره عميقًـا فِـي دَاخِـل اَللَّـه وأيْضًـا عميقًـا فِـي دَاخِـل المخْلوقـات. فَهُـو يَسـكُن فِـي اَلآب والْأبْنـاء. يَسـكُب اَلآب رُوحَـه علـى ذِي الجسـد ويطْلـب أُولئـك الَّذيـن سـيعْبدونه بِالـرُّوح والْحـقِّ.

لَقـد تَمَكنَّـا مِـن رُؤيَـة هـذَا اَلعُمـق المـزْدوج لِلـرُّوح اَلقُـدُس مِـن خِلاَل التَّأَمُّـل فِـي خِدْمتـه لِلـصَّلاَة والْعبـادة. وَلكِـنَّ عُمقَـه المـزْدوج لَـه أَهَمِّيَّـة وَاسِـعة جِـدًّا لِفَهـم الكيْفيَّـة اَلتِـي يَتَكلَّـم بِهَـا الكتَـاب اَلمُقـدَّس عـن الـرُّوح اَلقُـدُس (أيْ كَيْـف يَتَكلَّـم الـرُّوح اَلقُـدُس عـن نَفسِـه). ولأَنَّـه فِـي قَلْـب اَللَّـه وَفِـي قَلْـب المؤْمنيـن فِـي نَفْـس الوقْـتِ، فَـإِنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس يَعـزُو إِلَيـه بِـشَكلٍ مُسْـتَمِرٍّ بَعْـض الصِّفَـات اَلتِـي تُلاَئِـم الإِنْسـانيَّة، أو تَنشَـأ بِطريقـةٍ مَـا فِـي نَفْـس النُّقْطـة اَلتِـي يَحـدُث فِيهَـا اِلتقَـاء الإِنْسـانيَّة مـع اللاَّهـوتِ. لَقـد رأيْنَـا بِالْفِعْـل كَيْـف أنَّ «أبَـا» هِـي صَرخَـة بَشَـريَّة يَنطِـق بِهَـا الـرُّوح اَلقُـدُس السَّـاكن فِـي الإِنْسـان، وكيْـف أنَّ اَلأَنِيـن المناسـب لِاحْتيـاج المخْلـوق يقـع أيْضًـا تَحْـت إِشـرَاف الـرُّوح اَلقُـدُس وَيصبِـح مِـلْكًا لَـه، كمَـا لَـو أَنَّـه مِـلْكًا لَـه بِالْأسـاس.[١٨] وبالْمثْـل، يُمْكِـن أن يَحـزَن الـرُّوح اَلقُـدُس، كمَـا تُحَذِّرنَـا رِسـالة أَفسـس: «وَلاَ تُحْزِنُـوا رُوحَ اللهِ الْقُـدُّوسَ الَّـذِي بِـهِ خُتِمْتُـمْ لِيَـوْمِ الْفِـدَاءِ» (أَفسـس ٤: ٣٠). إِنَّ الرُّوح اَلقُـدُس لاَ يُمْكِـن أن يَحـزَن بِقَـدر مَـا لاَ يُمْكِـن لِلْآب أن يَحـزَن، سَـوَاء حسـب طبيعَتـه الإلهيَّـة أو فِـي تمايـزه الأقْنومـيِّ. لَكِـن بِالْمعْنـى

18 Gordon Fee, God's Empowering Presence: The Holy Spirit in the Letters of Paul (Peabody, MA: Hendrickson, 1994), 582.

اللاَّهوتيِّ اَلدقِيق، بِطبيعة اَلْحال، فَإِنَّ الرُّوح لاَ يُمْكِن أن يَحزَن على الإطْلاق، لِأَنَّه هُو اَللَّه اَلذِي لاَ يُمْكِن أن يَتَعرَّض لِلْمعاناة.[١٩] وَلكِنَّ الرُّوح يَسكُن فِي عُمْقٍ مُزْدَوِجٍ، على اَلحُدود الدَّاخليَّة بَيْن قَداسَة اَللَّه وَخَطيَّة البشريَّة. عِنْدمَا نَتَذكَّر أنَّ هذَا السَّطْر مِن أَفسس ٤ هُو تَطبِيق بُولُس لِتحْذِير العهْد اَلقدِيم بِأنَّ شَعْب اَللَّه اَلمخلَّص تمرَّدوا وأحْزنوا رُوح قَدسِه (إشعِياء ٦٣: ١٠)، حِينئذٍ نَبدَأ فِي رُؤيَة النَّمط اَلْأَوسع.

إِنَّ الكتَاب اَلمُقدَّس غالبًا مَا يُعْطِي الأوْلويَّة لِلرُّوح اَلقُدُس على وَجْه التَّحْديد عِنْدمَا يُشير إِلى نُقطَة الصِّرَاع بَيْن اللاَّهوتِ والْإِنْسانيَّة. وَفِي تَأمُّله لِهَذه الظَّاهرة، ذكر إِدْوارد هِنري بِيكرستيث Edward Henry Bickersteth هذَا المبْدأ: «إِنَّها وَظِيفَة خَاصَّة لِلرُّوح اَلقُدُس أن يُجَاهِد مع النَّاس».[٢٠] إِذَا كان هذَا صحيحًا، فَإِنَّه يُسَاعِد على تَفسِير سبب أنَّ الرُّوح اَلقُدُس، اَلذِي لاَ يَتَجسَّد، يُجَاهِد، وَيئِنُّ، ويَصْرخ، وَيمكِن أن يَحزَن. لاَ يُمْكِن تَفسِير ذَلِك بِمقْتَضى أيِّ شَيْءٍ يَتَعلَّق بِطبيعته السَّرْمديَّة أو تمايزه اَلشخْصِيِّ

---

١٩ يلتقط لانسلوت أندروز Lancelot Andrewes معنى الآية في عظة على ذلك: «يمكننا، من جانبنا، أن «نحزِن»، أي أن نفعل ما في داخلنا من شأنه أن «يحزنه»، لأنَّه «إذا كان من الممكن بأيِّ وسيلةٍ في العالم أن يقع هذا الحزن في الجوهر الإلهيِّ»، فإنَّنا سنجعل ذلك يحدث. ولكن بسبب «الكمال الفائق في طبيعته غير القادرة على ذلك»، فإنَّ الروح لا يتأذَّى في الواقع».

Lancelot Andrewes, *Ninety-Six Sermons* (Oxford, UK: John Henry Parker, 1841), 3:206

إنَّ حزن الروح يشبه سرقة مجد الله: محاولة سرقة، وهي حقيقيَّة تمامًا من جانبنا، لكنَّها لا تسبِّب أيَّ خسارة في مجد الله.

20 E. H. Bickersteth, The Spirit of Life: or, Scripture Testimony to the Divine Person and Work of the Holy Ghost (London: Religious Tract Society, n.d.), 67.

ويمكن العثور على أمثلة أخرى للروح وهو يجاهد مع البشر، بما في ذلك البشريَّة الساقطة، في سفر التكوين ٦: ٣، غلاطيَّة ٥: ١٧، ويعقوب ٤: ٥، على الرغم من أنَّ تفسير هذه المقاطع صعبٌ. فالمقطعان الأخيران على وجه الخصوص غامضان للغاية بحيث سيكون من غير الحكمة أن نبني أيَّ استنتاجات عقائديَّة مهمَّة عليهما وحدهما.

دَاخِـل الثَّالـوث، بـل مِـن خِلاَل مَنصبِـه ذِي اَلعُمـق المـزْدوج. فَهُـو اَلـذِي هُـو بِالطَّبيعـة فِـي اَلآب، وَالـذِي بِالنِّعْمـة يَسـكُن فِينَـا.

فِـي الواقـع، عِنْدمَـا نُحَـاوِل أن نَفهَـم الطَّريقـة اَلتِـي يَقتَـرِب بِهَـا اَللَّـه مِنَّـا ويبْقى مَعنَـا رُوحيًّـا، يكُـون هُنَـاك شَـيْء مُفيـد بِـشَكلٍ خـاصٍّ فِـي التَّرْكيـز علـى عَلاقَـة اَلآب بِالـرُّوح اَلقُـدُس. فالابْـن، بِاعْتبـاره الشَّـخْص المتجسِّـد فِعْليًّـا فِـي الثَّالـوث، مُرْتَبِـط بِـشَكلٍ وَاضِح جِـدًّا بِالْحقائـق الإنْسـانيَّة. إنَّنـا مُعرَّضـون لِخَطـر الإجابـة عـن جميـع أسْـئلتنَا اللاَّهوتيَّـة قَبْـل أَوانِهـا بِإجابـة وَاحِـدة وَهِـي: «بِسَـبب التَّجَسُّـد». وَلكِـنَّ جَـوَاب التَّجَسُّـد لاَ يَنطَبِـق مُبَاشـرَةً وَشـخصِيًّا علـى اَلآب أو الـرُّوح اَلقُـدُس. فَمِـن خِلاَل اِتِّبـاع إِرْشـادات الكتَـاب اَلمُقدَّس بِشـأن اَلعُمـق المـزْدوج لِلـرُّوح اَلقُدُس فِـي اَللَّـه والْمؤْمنين، نَكتَسِـب فهْمًـا أَفضَـل لِطـرق اَللَّـه مـع البشـريَّة ونكْتَسـب نَظـرَة ثَاقِبـة إِلـى دَاخِـل الـرُّوح اَلقُـدُس شـخْصيًّا.

الرُّوح يَنبَثِق مِن اَلآب

يَنبَغِـي لَنَـا أن نَختَتِـم هـذَا الفصْـل عـن اَلآب والـرُّوح اَلقُـدُس بِبيـان مُوجَـز عـن العلاقـة الأزليَّـة بَيْـن الشَّـخْص الثَّالـث والشَّـخْص الأوَّل. لَقـد تَتَبَّعنَـا عَلاقَـة اَلآب بِالـرُّوح اَلقُـدُس عَبْـر العهْـد اَلقدِيـم وَإِلَـى العهْـد اَلجدِيـد، مِـن أَعمَـاق اَللَّـه إِلـى أَعمَـاق قَلْـب الإنْسـان. وَلكِـنَّ هَـذِه لَيسَـت سِـوى طُـرُق جَانبِيَّـة لِطريقـه الأساسـيِّ، وَهُـو الأعْمـال الخارجيَّـة لِلْآب فِـي الـرُّوح اَلقُـدُس **تُجَاهنَـا**. مَـاذَا عسـانَا أن نَقُـول عـن اَلهوِيَّـة الأبديَّـة لِلـرُّوح اَلقُـدُس فِـي علاقتهَـا بِـالْآب فِـي الثَّالـوث نَفسـه؟ مَـاذَا يُمْكِـن أن نَتَعلَّـم مِـن تَوجِيـه اِنْتباهنَـا إِلـى

عَلاقَـة اَلآب بِالـرُّوح اَلقُـدُس فِـي الحيَـاة الأبديَّـة الثُّلاثيَّـة؟

إِنَّ هـذَا السُّـؤَال مُهِـمٌّ لِأَنَّ اَلآب والـرُّوح اَلقُـدُس كَانَـا سـيبْقيان فِـي عَلاقَـة سَـرمدِيَّة مـع بَعضهِمـا البعْـض حَتَّـى لَـو لَـم نُوجَـد نَحْـن أبـدًا. فِلـو لَـم يَكُـن الـرُّوح «يَـرِفُّ عَلَـى وَجْـهِ الْمِيَـاهِ» (التَّكْويـن ١: ٢) لِتشْـكِيل ومِـلْء الكـوْن، لَكَان مـع ذَلِـك حيًّـا دائمًـا بِالْكامـل دَاخِـل كِيَـان اَللَّـه، وَاحِـدًا مِـن الثَّالـوث، رُوح اَلآب والابْـن. فِـي هـذَا الفصْـل تَتَبَّعنَـا الـرُّوح اَلقُـدُس آتيًـا مِـن اَلآب إِلَيْنَـا؛ هـذَا هُـو خُروجـه، إِرْسـاله إِلـى الخـارج، إِرْسـاليَّته. وَلكِـنَّ وَرَاء هَـذِه الإِرْسـاليَّة يكمُـن الانْبثـاق الأبَـديُّ. تَذكَّـر أنَّ **الإِرْسـاليَّة** فِـي اللاَّهـوتِ الثَّالوثـيِّ، هِـي كَلمَـة خَاصَّـة لِلطَّريقـة اَلتِـي يَكُـون بِهَـا شَـخْص الثَّالـوث حاضرًا لَنَـا نَحْـن المخْلوقـات علـى أَسَـاس اِنْبثاقـه السَّـرْمديِّ دَاخِـل اَللَّـه. هـذَا الانْبثـاق السَّـرْمديُّ نَفسُـه هُـو مَـا نَحْتـاج إِلـى أن نَقُـول شـيْئًا عَنْـه الآن.

عِنْدمَـا عَلَّـم يَسُـوع تلاميـذه عـن الـرُّوح اَلقُـدُس، أخْبرَهـم أَنَّهُـم سيلْبسـون قُـوَّة «وَمَتَـى جَـاءَ الْمُعَـزِّي الَّـذِي سَأُرْسِـلُهُ أَنَـا إِلَيْكُـمْ مِـنَ الآبِ، رُوحُ الْحَـقِّ، الَّـذِي مِـنْ عِنْـدِ الآبِ يَنْبَثِـقُ» (يُوحنَّـا ١٥: ٢٦) لاَحَـظ الإِرْسـال والانْبثـاق هُنَـا. أَوَّلاً، يَصِـف الإِرْسـاليَّة قـائلاً («سَأُرْسِـلُهُ»)، ثُـمَّ يَصِـف شـيْئًا أَعمَـق مِـن الإِرْسـاليَّة: «... الَّـذِي مِـنْ عِنْـدِ الآبِ يَنْبَثِـقُ». يَبـذُل يَسُـوع قُصَـارَى جُهْـدِه لِلتَّأْكيـد علـى المصْـدر اَلـذِي مِنْـه يَأتِـي الـرُّوح اَلقُـدُس، وأنَّ هَـذا الـرُّوح اَلقُـدُس لَـه مُسْـتويان: مُرسَـل مِـن ومنْبَثـق مِـن. تَظْهَـر كَلمَـة «يَنبَثِـق» مَـرَّة وَاحِـدة فقـط فِـي العهْـد اَلجدِيـد، هُنَـا فِـي يُوحنَّـا ١٥: ٢٦.

وقـد اِعتـرَف عُلَمـاء اللاَّهـوتِ بِمكانـة تِلْـك اَلكلِمـة الخاصَّـة

كدليل لِتمْيِيز مَصدَر الرُّوح السَّرْمديِّ.[٢١] وقد اِسْتشْهد غِريغوريوس النِّزينزيُّ Gregory of Nazianzus بِهَذه اَلكلِمة بِشَكلٍ مُبَاشِر بِاعْتبارهَا مُصطلَحًا قَدَّمَه عَالِمٌ لاَهُوتيٌّ مُتَفوِّق حقًّا، أَيْ يَسُوع نَفسه.[٢٢] بِقوْلِنَا إِنَّ الرُّوح اَلقُدُس يَنبَثِق مِن اَلآب نَضعُه دَاخِل كِيَان اَللَّه، ونعْتَرف بِه بِاعْتباره فَوْق كُلِّ مَخلُوق (لِأنَّ المخْلوقات تَنبَثِق مِن اَللَّه الثَّالوثيِّ كُلِّه كَإِلَه وَاحِد). كمَا أَنَّه يُمَيِّزه كشخْصٍ مُتَمايِزٍ عن الابْن، لِأنَّ الانْبثاق لَيْس هُو نَفسه الولادة. عِنْدمَا يُخْبرنَا يَسُوع أنَّ الرُّوح اَلقُدُس «مِن عِنْد اَلآبِ يَنبَثِقُ»، فَإِنَّه يَكشِف اَلكثِير عن اَلهوِيَّة المميَّزة لِلرُّوح اَلقُدُس. وقد اِلتقَط قَانُون الإيمان النِّيقاويُّ هَذِه العبارة بِالضَّبْط فِي بَيانِه عن الرُّوح اَلقُدُس، واصفًا إِيَّاه بِأَنَّه «اَلرَّبُّ اَلمحْيِي، المنْبثق مِن اَلآب، مَسجُودٌ لَه ومُمجَّد مع اَلآب والابْن». إِنَّ القوْل بِأَنَّه «مَسجُودٌ لَه ومُمجَّد مع اَلآب والابْن» هُو وَضعُه بِالْكامل دَاخِل اللاَّهوتِ جنْبًا إِلى جَنْبٍ مع الشَّخْصيْنِ الآخريْنِ فِي الثَّالوث، بيْنمَا يُشير اِسْتخْدام عِبارة يُوحنَّا ١٥: ٢٦ «اَلذِي مِن عِنْد اَلآبِ يَنبَثِقُ» إِلى التَّمايز اَلشخْصِيِّ (الأقْنوميِّ) لِلرُّوح اَلقُدُس.

إِنَّ الرُّوح اَلقُدُس، فِي سِيَاق الحيَاة الإلهيَّة، يَنبَثِق مِن

---

٢١ في اللاهوت البروتستانتيّ، يقول ملخَّص ليدن Leiden Synopsis إنَّ الانبثاق «يُنسَب في الكتابات المقدَّسة بشكلٍ فريدٍ إلى الروح القدس، باعتباره خاصِّيَّةً مميِّزةً شخصيَّةً له»، وأنَّ «جميع المفسِّرين القدامى يفهمون المقطع المعروف [يوحنَّا ١٥: ٢٦]».. على أنَّه يتعلَّق بالانبثاق السرمديِّ للروح القدس».

Leiden Synopsis, Disputation 9, par. 11–12, in *Synopsis Purioris Theologiae / Synopsis of a Purer Theology* :*Latin Text and English Translation* , ed. Dolf te Velde (Leiden, Netherlands :Brill, 2014), 1:235–37.

22 Gregory of Nazianzus, "Oration 31:8," in On God and Christ: The Five Theological Orations and Two Letters to Cledonius (Crestwood, NY: St. Vladimir's Seminary Press, 2002), 122.

اَلآب بِطريقـة خَاصَّـة، وَهـذِه الطَّريقـة تَختَلِـف عـن طَرِيقَـة الابْـن. وَكمَـا أَشَـار آبـاء الكنيسـة مِـرارًا وتكْـرارًا، إِذَا جـاء الشَّـخْصان الثَّانـي والثَّالـث مِـن الشَّـخْص الأوَّل بِنَفـس الطَّريقـة بِالضَّبْـط، فإنَّهمَـا سـيكونان اِبْنيْـنِ لِلْآب. وَلذَلِـك عِنْدمَـا تحدَّثـوا عـن الـرُّوح اَلقُـدُس، أَعطـوا إِكْرامًـا خاصًّـا لِحقيقـة اِنْبثاقـه. وَحتَّـى لَـو اِعْترفـوا عـن طِيـب خَاطـر أَنَّهُـم لاَ يسْـتطيعون أن يُعْلنـوا الطَّبيعـة الدَّقيقـة لِانْبثـاق الـرُّوح اَلقُـدُس (كمَـا أَنَّهُـم لاَ يسْـتطيعون أن يُعْلنـوا الطَّبيعـة الدَّقيقـة لِـولادة الابْـن)، فَقَـد أصـرُّوا على أنَّ هـذَا يَكفِي، لِمعْرِفـة أنَّ الابْـن والـرُّوح اَلقُـدُس يأْتيَـان مِـن اَلآب بِطـرق مُختلفَـة.

فِـي عِلْـم الهنْدسـة، هُنَـاك عَـادَة تَتَمثَّـل فِـي وَضْـع عَلامَـة على اَلخُطـوط بِاعْتبارهَـا مُتطابقـة أو غَيْـر مُتطابقـة بِاسْـتخْدام رُمُـوز بَسِـيطَة تُسـمَّى «علامَـات التَّظْليـل». اُنظُـر الـشَّكْل ٣-١:

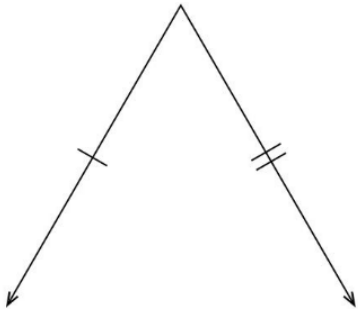

الشكل ٣-١

يَسـتطِيع عُلَمـاء الهنْدسـة أن يعْرفـوا أنَّ اَلخَـطَّ الموْجـود علـى

اليسَـار (عَلامَـة تَظلِيـل وَاحِـدة) لَيْـس هُـو نَفسـه اَلخَـطَّ الموْجـود علـى اَليمِيـن (علامَتـا تَظلِيـل)، حَتَّـى مِـن دُون أن يتمكَّنـوا مِـن قَـوْل أيِّ شَـيْء أَكثَـر إِيجابيَّـة بِشـأنِ مَاهِيَّـة اَلخُطـوط. بَعْـض جَوانِـب المعْرفـة الثَّالوثيَّـة تُشْـبِه ذَلِـك. فلأنَّهَـا تَعتَمِـد بِـشَكلٍ صَـارِمٍ علـى الوحْـي، لِـذَا نَجِـد أَنفُسـنا أَحيانًـا فِـي مَوقِـف نَضطَـرُّ فِيـه إِلـى قَبُول مَـا تـمَّ إِعْلانـه، حَتَّـى عِنْدمَـا لاَ نَكُـون قَادرِيـن علـى النَّظـر خَلْـف السِّـتَار لِمعْرِفـة سـبب كَـون هَـذِه الأشْـياء كمَـا هِـي. يَقُـول يُوحنَّـا الدِّمشْـقيُّ (٦٧٥-٧٤٩): «لَقـد تَعَلَّمنَـا أنَّ هُنَـاك فرْقًـا بَيْـن الـولادة والانْبثَـاق، وَلكِـن لَـم يَتِـمَّ إِخْبارنَـا بِـأيِّ شَكْلٍ مِـن الأشْكال عـن طَبِيعَـة هـذَا الاخْـتلاف».[٢٣] فَـإِنَّ معْرفتنَـا بِالـرُّوح اَلقُـدُس، وَمعرِفـة أَنَّـه يَنبَثِـق مِـن اَلآب (علامَتـا تَظلِيـل؛ غَيْـر مَولُـود)، هِـي بِالْفِعْـل، كمَـا رأيْنَـا، مَعرِفـة عَظِيمَـة.

ومـع ذَلِـك، هُنَـاك صُـورَة إِرْشـاديَّة يُقَدِّمهَـا لَنَـا الكتَـاب اَلمُقدَّس يُمْكنهَـا أن تُسـاعدنَا فِـي أن نَقُـول اَلمزِيـد عـن عَلاقَـة الـرُّوح اَلقُـدُس بِـالْآب. يُمْكننَـا أن نَقُـول إِنَّـه يُشْـبِه التَّنَفُّـس. إِنَّ الـرُّوح هُـو عُمْـق الحيَـاة فِـي اَللَّـه اَلآب اَلـذِي يَأتِـي مِنْـه بِقـوَّة فَعَّالـة. وقـد زعـم باسـيليوس القيْصـريُّ Basil of Caesarea (٣٣٠-٣٧٩) أنَّ هـذَا الـرُّوح اَلقُـدُس هُـو نَفسـه مَـن يُمَكِّننَـا مِـن القـوْل بِأَنَّـه لَيْـس مَخلُوقًـا ولاَ اِبْنًـا: «يُوصَـف الـرُّوح بِأَنَّـه مِـن اَللَّـه، لَيْـس بِمعْنـى أنَّ كُلَّ الأشْـياء هِـي مِـن اَللَّـه، بـل لِأَنَّـه يَنبَثِـق مِـن فـم اَلآب، وليْـس مَولُـودًا مِثـل الابْـن».[٢٤] وبطبيعـة اَلْحـال، يَنبَغِـي أن نَفهَـم التَّنَفُّـس بِـشَكلٍ

23 John of Damascus, On the Orthodox Faith (Crestwood, NY: St. Vladimir's Seminary Press, 2022), 78.

24 Basil the Great, On the Holy Spirit (Crestwood, NY: St. Vladimir's Seminary Press,

مُنَاسِبٍ، بِطريقةٍ تُناسِب اَللَّه. بِالنِّسْبة إلَى باسيليوس، «إنَّ مُقَارنَة الرُّوح بِالنَّفَس لاَ تَعنِي أَنَّه كالنَّفَس البشَريِّ اَلذِي يَتَبدَّد بِسرْعة عِنْد اَلزفِير، لِأنَّ الرُّوح كَائِنٌ حيٌّ بِقوَّة اَللَّه لِتقْدِيس الآخرين».[٢٥] فبالْإضافة إلى القوْل بِأنَّ الابْن والرُّوح يأْتيَان مِن اَلآب بِشَكلٍ مُخْتَلِفٍ، يُمْكننَا أن نَقُول إنَّ الابْن مَولُود أو مُتَولِّد، بيْنمَا الرُّوح اَلقُدس مُتَنفَّس أو مَنفُوخ.

إنَّ الرُّوح اَلقُدُس يَنبَثِق مِن اَلآب. لَقد حرص التَّقْليد اللاَّهوتيُّ اَلغرْبِيُّ، وَخَاصَّةً مُنْذ زمن القدِّيس أُوغسْطِينوس، على إضافة عِبارة «وأيْضًا مِن الابْن». وَفِي الفصْل التَّالي سنوجِّه اِهْتمامنَا الكامل إلى العلاقة بَيْن الرُّوح والابْن وَنرَى قُوَّة التَّوَسُّع اَلغرْبِيِّ. وَلكِن تَجدُر الإشارة إلى إجمَاع الشَّرْق والْغَرْب على العقيدة اَلْأَوسع اَلتِي تَقُول بِأنَّ الرُّوح اَلقُدُس يَنبَثِق مِن اَلآب. لاَ يُمْكننَا تَجاهُل نُقطَة الاتِّفاق هَذِه بيْنمَا نَندَفِع نَحْو الخلافات. فِي الواقع، حَتَّى فِي خِضمِّ الخلاَف، اِعترَف التَّقْليد اَلغرْبِيُّ بِكلِّ سُرُورٍ بِأنَّ هُنَاك شيْئًا خاصًّا وفريدًا بِشأن الطَّريقة اَلتِي يَنبَثِق بِهَا الرُّوح اَلقُدُس مِن اَلآب؛ شَيْئًا مَا بِشأن عَلاقَة اَلآب بِالرُّوح اَلقُدُس يُرسِّخ بِشَكلٍ فريدٍ هُويَّة الرُّوح اَلقُدُس. قال أُوغسطِينوس نَفسه (وَهُو لَيْس بِمثابة شَخْصٍ عَادِيٍّ فِي أُمُور مِثْل هَذِه): «إنَّ اَلآب يُدعَى الشَّخْص اَلذِي يُولَد مِنْه اَلكلِمة وينْبَثق مِنْه الرُّوح اَلقُدس أولويًّا». مَاذَا تَفعَل تِلْك اَلكلِمة الصَّغيرة «أولويًّا» هُنَا؟ يَقُول لَنَا القدِّيس أُوغسطِينوس: «لَقد

2001), 73.

25 Michael Haykin, "'The Lord, The Life-Giver': Confessing the Holy Spirit in the Fourth Century," Journal of the Evangelical Theological Society 62 (March 2019): 77.

أَضفتُ «أولويًّا»، لِأَنَّنَا وجدْنَا أنَّ الرُّوح اَلقُدُس يَنبَثِق أيْضًا مِن الابْن. وَلكِنَّ هذَا أيْضًا قد أُعطيَ لِلابْن مِن اَلآب».[٢٦]

لَقد حَافَظ التَّقْليدُ اَلشرْقِيُّ بِغيْرة على اَلكلِمة الخاصَّة «يَنبَثِق» (يُوحنَّا ١٥: ٢٦)، مُعْترِفًا فِيهَا بِحقيقة ثَمِينَة بِشأن العلاقة الفريدة لِلرُّوح اَلقُدُس مع اَلآب. لَكِنَّ الغرْبَ يُمْكِنه أيْضًا أن يَنضَمَّ ويعْتَرف بِأنَّ الرُّوح يَنبَثِق مِن اَلآب أولويًّا. فِي هذَا الفصْل، أوْلَيْنَا اِهْتمامًا وثيقًا لِعلاقة اَلآب بِالرُّوح اَلقُدُس وَرَأينَا كَيْف تكافئنَا بِرؤى مُهمَّة بشأن تَقدِيم الكتَاب اَلمُقدَّس لِلرُّوح اَلقُدُس: وعد اَلآب، رُوح التَّضرُّعات، السَّاكن فِي أَعمَاق اَللَّه وأعْمَاق البشريَّة.

وَلكَي نَجعَل حَقائِق اَلآب والرُّوح اَلقُدُس أَكثَر وُضوحًا، كان علينَا أن نَتَجنَّب مُؤَقَّتًا التَّحَدُّث كثيرًا عن الابْن. لَكِن حان الوقْتُ لِإعادة تقْدِيمه، لِأَنَّه لاَ يُمْكِن أن يَكُون هُنَاك رُوحانيَّة بِلاَ اِبْنٍ، وَهُو يَقِف فِي مَركَز كُلِّ الأشْياء.

26 Augustine, The Trinity , trans. Edmund Hill (New York: New City Press, 1991), 419.
الكلمة اللاتينيَّة التي يستخدمها أوغسطينوس هنا هي *principaliter*.

٤

الرُّوح اَلقُدُس والابْنُ

هُنَـاك عَلاقَـة وَثِيقَـة بَيْـن الابْـن والـرُّوح اَلقُـدُس لِدرجـة أَنَّنَـا فِـي بَعْـض الأَحْيـان قـد لاَ نُميِّـز بَينَهُمـا فِـي المجْـدِ. هـذَا الارْتبـاط اَلقَـوِيُّ هُـو مَـا نتوقَّعـه، بِنَـاءً علـى لاَهوتِنَـا الثَّالوثـيِّ، فِـي إِطَـار مُسْـتويات الوحْدانيَّـة: إِلـه وَاحِـد، اَلْجَوهـر الإِلَهـيُّ عَينـه، مُجريَـات ثالوثيَّـة لاَ تَنفَصِـل، وَتدبِيـر وَاحِـد لِلْـخلاَص فِيـه يُرْسِـل اَلآبُ الابْـنَ والـرُّوحَ اَلقُـدُسَ (غَلاطِيَّـة ٤: ٤-٦). لَكِـنَّ اللاَّهـوتَ الثَّالوثـيَّ نَفسـه يُعَلِّمنَـا أيْضًـا أنَّ هـؤلاء الأَشْـخاص لَيسُـوا هُـم بَعضُهـم البعْـض. إِذ لاَ يُمْكِـن فَصلُهـم أبـدًا، وَلكِـن يُمْكِـن التَّمْييـز بيْنهـم، ويظْهـرون شـخْصيَّاتهم المتمايـزة علـى وَجْـه التَّحْديـد فِـي علاقتهـم مـع بَعضهِـم البعْـض. وبعبـارة مُعَاكسَـة، لاَ يُمْكِنـك اَلحُصـول علـى أَحدِهـم مـن دون الآخـر، وَهـذِه هِـي الطَّريقـة اَلتِـي يُمْكِنـك مِـن خِلالِهَـا مَعرِفـة أَنَّهُـم مُخْتلفـون. وَلكَـي نَفهَـم الـرُّوح اَلقُـدُس بِـشَكلٍ

أَكثَـر وُضوحًـا، يَجِـب علينَـا أن نُولـي اِهْتمامًـا وثيقًـا لِلابْـن، وَخَاصَّـةً فِـي خِدْمتـه المتجسِّـدة.

إذ تُصْبِـح صُورتاهمَـا الثَّالوثيَّتـان أَكثَـر وُضوحًـا مـع تَطـوُّر التَّاريـخ الكتابـيِّ. أَشَـار وِيلْيَـام بِيـرت بُـوب William Burt Pope (١٨٢٢-١٩٠٣) إِلـى أنَّ «الأَشْـخاص الإلهيِّيـن الثَّلاثـة أُعلِـن عَنهُـم بِدرجَـات مُتفاوتـة فِـي النِّظَـام اَلقدِيـم؛ لَكِـنَّ وظائفهـم لَـم تَتَمايَـز بِوضـوحٍ وبـشكْلٍ كَامِـل حَتَّـى الأيَّـام الأخيـرة. فَكَان الابْـن والـرُّوح اَلقُـدس مُتشـابهيْنِ فِـي إِطَـار مَوعِـد العهْـد اَلقدِيـم، ومتشـابهين فِـي العهْـد اَلجدِيـد اَلمُرسـل إِتْمامًـا لِلْوعْـد».[1] وعنْدَمَـا يحيـن تَوقِيـت إِرْسـاليَّتهمَا الزَّمنيَّـة، فَـإِنَّ تمَايزهمَـا يُصْبِـح أَكثَـر وُضوحًـا. يُمْكننَـا أن نَقُـول إِنَّهمَـا مُخْتلفـان بِوضـوحٍ كاخْـتلاف التَّجَسُّـد ويـوْم الخمْسـين، حَيْـث يَتَّخِـذ الابْـن الطَّبيعـة البشـريَّة ويسْـكب الـرُّوح اَلقُـدُس علـى كُلِّ جسـدٍ. هـذَا صحيـح. ومـع ذَلِـك، قـد يُشـير هـذَا إِلـى نَـوْعٍ مِـن سِـبَاق التَّتابـع أو المصارعـة الزَّوْجيَّـة: أَوَّلاً يَصِـل الابْـن، ثُـمَّ فِـي وَقْـتٍ لاَحِـقٍ يَصِـل الـرُّوح اَلقُـدُس. فِـي الواقـع، يَنبَغِـي لَنَـا أن نَبـدَأ فِـي مُلاَحظَـة عمـل الـرُّوح اَلقُـدُس قَبْـل وَقْـت طويـل مِـن دُخولـه اَلعظِيـم فِـي يَـوْم الخمْسـين. فالـرُّوح اَلقُـدُس حَاضِـر دائمًـا وَفَعَّال فِـي عمـل الابْـن المتجسِّـد.

الرُّوح اَلقُدُس فِي حَيَاة يَسُوع

وَمِـن زَاوِيـةٍ، كمَـا رأيْنَـا فِـي الفصْـل السَّـابق، فَـإِنَّ عمـل يَسُـوع

1 William Burt Pope, *A Higher Catechism of Theology* (London: T. Woolmer, 1883), 196–97. In the margin, Pope cites Gal. 4:4–6, Acts 2:33, and Acts 13:33.

اَلمسِيح مَهَّد اَلطرِيق لِعَمل الرُّوح اَلقُدُس (الكفَّارة اَلتِي تَجعَل السُّكْنى مُمْكِنةً). وَلكِن إِذَا نظرْنَا إِلى عَملهما المتكامل عن كثب مِن وُجهَة نظر أُخرَى، يَتَعيَّن علَيْنَا أن نُدْرِك الحقيقة المعاكسة أيْضًا: إِنَّ عمل الرُّوح اَلقُدُس أعدَّ اَلطرِيق لِعَمل الابْن المتجسِّد. فِي الواقع، فَإِنَّ العمل اَلذِي قام بِه الابْن لِلتَّجْهِيز لِحلول الرُّوح اَلقُدُس كان فِي حدِّ ذَاتِه عملاً قامَ بِه الابْنُ بِقوَّة الرُّوح اَلقُدُس، أو بِتمْكِين الرُّوح اَلقُدُس، أو بِطرِيقة أُخرَى فِي إِطَار علاقَته بِالرُّوح اَلقُدُس. إِنَّ هَذِه الحقيقة وَاضِحة تمامًا فِي العهْد اَلجدِيد، وَكُلُّ مَا نَحْتاج إِلَيه هُو أن نَبدَأ فِي الاهْتمام بِهَا فِي أيِّ مَكَانٍ على طُول اَلطرِيق حَتَّى نَبدَأ فِي مُلاَحظَة أَنَّهَا مُنتشرَة على نِطَاقٍ وَاسِع. إِنَّ قِراءة حَيَاة يَسُوع ومراقبة علامَات نَشَاط الرُّوح اَلقُدُس هِي فِي الواقع وَاحِدة مِن أَسهَل التَّمارين وأكْثرهَا إِفادة فِي كُلِّ اللاَّهوتِ. هُنَاك فَائِدة نِيوماتولوجيَّة هَائِلة تَتَأَتَّى مِن مُشَاهدَة يَسُوع والتَّأمُّل فِي الرُّوح اَلقُدُس.

فِي بِداية خِدْمَة الابْن المتجسِّد، كان الرُّوح اَلقُدُس فعَّالاً بِشَكل مُبَاشِر فِي الحبَل بِيسوع وولادته. ويشير كُلٌّ مِن مَتَّى وَلُوقَا إِلى ذِكْر الرُّوح بِالاسْم فِي هذَا السِّيَاق. يُخْبرنَا مَتَّى أنَّ مَريَم «وُجِدَتْ حُبْلَى مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ» (مَتَّى ١: ١٨)، ويؤكِّد الملاَك لِيوسف أنَّ «الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ» (مَتَّى ١: ٢٠). فِي لُوقَا، تَتَضمَّن بِشارة جِبْرائِيل لِمرْيم الوعْد بِأنَّ «اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ، فَلِذلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ» (لُوقَا ١: ٣٥). هُنَاك اِرتِفاع مَلحُوظ فِي اَلحُضور اَلنشِط والْفعَّال لِلرُّوح اَلقُدُس بشأن هذَا

الحـدث.

يَتَنـاوَل قَانُـون الإيمـان الرَّسـوليُّ هَـذِه الظَّاهـرة، ويعْتَـرف بِـأنَّ يَسُـوع «حُبِـل بِـه مِـن الـرُّوح اَلقُـدُس». وَهـذَا أَمْـر مُدْهِـش، إذ يَخْتـار قَانُـون الإيمـان عَشـرَة أَحـدَاث فقـط مِـن حَيَـاة اَلمسِـيح لِيشْـملهَا فِـي مُلَخَّصِـه اَلمُوجـز لِلْأناجيـل، وَأحَـد هَـذِه الأحْـداث هُو الحَمْـل المعْجـزيُّ مِـن قِبَـل الـرُّوح اَلقُـدُس. يُسـاعدنَا هـذَا القانـون علـى التَّأْكيـد لَيْـس فقـط علـى مُعْجِـزة التَّجَسُّـد وَلكِـن أيْضًـا علـى الـدَّوْر اَلْخـاصِّ لِلـرُّوح اَلقُـدُس فِـي حَيَـاة يَسُـوع اَلمسِـيح. وَإذَا كُنَّـا فِـي خطـرٍ مِـن إغفَـال مَـا قَالَـه مَتَّـى وَلُوقَـا بِـشَكلٍ مُوجَـز فِـي بِدايـة إنْجيليْهمَـا، فَـإنَّ قَانُـون الإيمـان يَضعُـه فِـي التَّعْليـق الافْتتاحـيِّ بِشـأن تَجسُّـد الابْـن. مِـن الواضـح أَنَّـه يَجِـب أن يكُـون ذَلِـك أوَّلاً مِـن النَّاحيـة الزَّمنيَّـة؛ فالْحَمْـل يَسـبِق الـولادة (وِلادَتـه مِـن العـذْراء مَريـم هُـو السَّـطْر التَّالـي فِـي قَانُـون الإيمـان). هَكـذَا فَحَقيقَـة إدرَاج الحمْـل والْـولادة بَيْـن العناصـر العشَـرة اَلأُولـى تَعنِـي أنَّ قَانُـون الإيمـان يُشـير إلَيْنَـا إلـى أهمِّيَّتهمَـا الأساسـيَّة. إنَّنَـا نَسـتفِيد حقًّـا مِـن الإشـارة المتعمَّـدة إلـى الـرُّوح اَلقُـدُس كَمشـرِف علـى اِتِّخـاذ الابْـن طبيعتنَـا البشـريَّة. يُمْكننَـا أن نَقُـول إنَّ عمـل الابْـن المتجسِّـد بِأكْمَلـه يَتِـمُّ تَحْـت ظِـلِّ جَناحِـه.

وبطبيعـة اَلْحـال، علَيْنَـا أن نضـع فِـي اِعْتبارنَا أنَّ العمـل اَلْخاصَّ لِلـرُّوح اَلقُـدُس فِـي تَجسُّـد الابْـن لَيْـس عـملاً مُنْفـصِلاً بِطريقـة أو بِأخْـرى عـن الثَّالـوث. كمَـا يُذَكِّرنَا أبْراهـام كويبـر Abraham Kuyper (١٨٣٧-١٩٢٠):

كمَـا هُـو اَلْحـال مـع جميـع أَعمَـال اَللَّـه الصَّـادرة، فَـإنَّ إعـدَاد

جسـد اَلمسِـيح هُـو عمـلٌ إِلَهـيٌّ مُشـتَرَك بَيْـن الأَشْـخاص الثَّلاثـة. وَمِـن الخطـأ أن نَقُـول إِنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس هُـو خَالِـق جسـد يَسُـوع، أو كمَـا عَبَّـر البعْـض عـن ذَلِـك: ‹إِنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس كان أبًـا لِلْمسِـيح حسـب طبيعَتـه البشـريَّة›. يَجِـب رَفْـض مِثْـل هَـذِه التَّصـوُّرات، لِأَنَّهَـا تُدمِّـر اِعتِـراف الثَّالـوث الأقْـدس.[٢]

عِنْدمَـا نُفكِّـر فِـي المجْريـات الخارجيَّـة غَيْـر المنْفصلـة لِلثَّالوث، فَهِـي تُعَلِّمنَـا أن نَسـتحْضِر الصِّيغـة الثَّالوثيَّـة: «مِـن اَلآب، مِـن خِلاَل الابْـن، فِـي الـرُّوح اَلقُـدُس». لاَ يَسـتخْدِم كوييـر هَـذِه الكلمـات بِالضَّبْـط هُنَـا، لَكنَّـه يَشـرَح كَيْـف يُمْكِـن رُؤيَـة الأَشْـخاص الثَّلاثـة وَهُـم يعْملـون فِـي العمـل الواحـد المتمثِّـل فِـي تَشـكِيل الطَّبيعـة البشـريَّة لِلْمسِـيح: «كمَـا أنَّ الأفْعـال المترابطـة لِلآب والابْـن فِـي اَلخُلـق والْعنايـة الإلهيَّـة تَكتَسِـب حيويَّتَهَـا وكمالهَـا مِـن خِلاَل الـرُّوح اَلقُـدُس، فَكذَلِـك يُوجَـد فِـي التَّجَسُّـد عمـلٌ خـاصٌّ لِلـرُّوح اَلقُـدُس مِـن خِلالـه تَكتَسِـب أَفعَـال اَلآب والابْـن فِـي هـذَا السِّـرِّ اِكْتمـالاً وَظهُـورًا».[٣]

إِنَّ كَلمَـة التَّجَسُّـد كمَـا نـرى، لَهَـا مَعنـى أَضيَـق ومَعنـى أَوسَـع. فِـي بَعْـض الأَحْيـان عِنْدمَـا نَقُـول «التَّجَسُّـد» فَإِنَّنَـا نَعنِـي، بِالْمعْنـى الضيِّـق، الفعْـل اَلـذِي ناقشْـناه لِلتَّـوِّ: فِعْـل اِتِّخـاذ الطَّبيعـة البشـريَّة، وَخَاصَّـةً بِدايـة هـذَا الفعْـل فِـي الحبَـل بِالْمسيح بِالـرُّوح اَلقُـدُس وولادتـه مِـن العـذْراء مَريـم. وَبِهـذَا المعْنـى فَإِنَّنَـا نُفكِّـر

2 Abraham Kuyper, *The Work of the Holy Spirit* (New York: Funk & Wagnalls, 1900), 80.

3 Kuyper, *Work of the Holy Spirit* , 81.
يُمْكِننَا أن نُعيد صِياغة كَلامِه على النَّحْو التَّالِي: «مِن اَلآب والابْن، فِي الرُّوح اَلقُدُس». إِنَّ القسْم بِأَكْمَله بَين الصَّفحات ٧٩ إِلى ٩٣ يَستَحِقُّ الرُّجوع إِلَيه لِمعالجة الرُّوح والتَّجسُّد.

فِـي التَّجَسُّـد بِـشَكلٍ خـاصٍّ فِـي المـيلاد. وَلكِـن فِـي بَعْـض الأحْيـان نَسـتخْدِم اَلكلِمـة بِمعْنًـى أَوسَـع بِكثيـر، لِلْإشـارة إِلـى حَيَـاة اَلمسِـيح بِأكْملهَـا، «أَيَّـام جَسـدِه» كمَـا تُسَـمِّيهَا رِسـالة العبْرانيِّيـن (العبْرانيِّيـن ٥: ٧). وَبِهـذَا المعْنـى اَلْأَوسـع، فَـإِنَّ تَجسُّـد اَلمسِـيح يَشـمَل الميلاد، والْقيامـة، والصُّعـود إِلـى السَّـمَاء.[٤]

عِنْدمَـا نَـدرُس عمـل الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي اَلمسِـيح، فَإِنَّنَـا نَتَعلَّـم الـدَّرْس نَفسـه بِالضَّبْـط مِـن المعْنـى الضَّيِّـق والْأَوْسـع. وَهـذَا يَعنِـي أَنَّنَـا عِنْدمَـا نُـدْرِك أَنَّـه فِـي الحبَـل بِالْمسيح كان الـرُّوح اَلقُـدُس هُـو العامـل المباشـر اَلـذِي يَحـدُث فِيـه العمـل الثَّالوثـيُّ (مِـن اَلآب، مِن خِلاَل الابْـن، وبـشكْل حَاسِـم هُنَـا، فِـي الـرُّوح) نَكُـون حِينئـذٍ بِصَـدد التَّأَمُّـل فِـي مَـا يَتَعلَّـق بِحـقٍّ بِخدْمـة اَلمسِـيح المتجسِّـد على الأرْض بِأكْملهَـا. كُلُّ هـذَا يَحـدُث بِقـوَّة وَحضُـور الـرُّوح اَلقُـدُس.

إِنَّ العـرْض الحقيقـيَّ لِحضـور الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي حَيَـاة يَسُـوع اَلمسِـيح يَأتِـي أَيْضًـا فِـي مُقَدِّمَـة الأناجيـل. إِنَّ معْموديَّـة يَسُـوع على يـد يُوحنَّـا المعْمـدان فِـي نَهْـر اَلأُردن هِـي الحـدث اَلـذِي يَفتَتِـح الخدْمـة العلنيَّـة لِيسـوع بِاعْتبـاره اَلمسِـيح. وَهنَـا يَتَقدَّم ويبْـدأ عَملَه كمعلِّـم، داعيًـا التَّلاميـذ، ومبْتدئًـا الخدْمـة المعْجزيَّـة اَلتِـي ستنْتَهي بِموْتـه وقيامتـه فِـي أُورشـليم. هُنَـا يَنطَلِـق صَـوْت اَللَّـه اَلآب مِـن السَّـمَاء، مُعْلِنًـا أَنَّ يَسُـوع هُـو اِبْنـه اَلحبِيـب والْمُرضِـي. وَلكِـن قَبْـل الصَّـوْتِ مُبَاشـرَةً، هُنَـاك عَلامَـة مَرئِيَّـة: «اعْتَمَدَ يَسُـوعُ أَيْضًـا. وَإِذْ كَانَ

٤ فِي الواقع، بِالْمعْنى اَلْأَوسع، تَستَمِرُّ حَالَة التَّجَسُّد حَتَّى بَعْد ذَلِك، لِأَنَّ اِبْن اَللَّه لَن يَتَخلَّى عن طبيعَته البشريَّة. فِي كِتَاب عن الكريستولوجيا، سَيكُون مِن اَلمهمِّ التَّأْكيد على اِسْتمْرار التَّجَسُّد. وَلكِن بِالنِّسْبة للنيوماتولوجيا، فَإِنَّ وُجهَة نظرنَا هِي فقط أَنَّ هُويَّة الرُّوح اَلقُدُس وَاضِحة عِنْدمَا نَدرُس عمل يَسُوع اَلمسِيح على الأَرْض.

يُصَلِّي انْفَتَحَتِ السَّمَاءُ» (لُوقَا ٣: ٢١-٢٢). وَهذَا حدث مُذْهِل، ظُهُورٌ يَهدِف إلى لَفْت اِنْتباهنَا إلى نَشَاط الثَّالوث بِأكْمَله فِي عمل اَلمسِيح. إنَّ الابْن هُو بِالطَّبْع مَركَز كُلِّ هذَا، وَلكِن فِي هذَا الحدث اَلفرِيد، فَإنَّ اَلآب والرُّوح اَلقُدُس يعرِّفَان نفْسيْهمَا أيْضًا مِن خِلاَل الصَّوْتِ والصُّورة. وَهنَا يَبرُز صَوْت اَلآب وَهيْئَة الرُّوح اَلقُدُس. «وَكَان المسيحيُّون الأوائل يقولون لِكلِّ من يُشكِّك فِي الثَّالوث: *abi ad Jordanem et videbis*؛ أيْ اِذْهب إلى اَلأُردن وَستجِده هُنَاك».[٥]

مَاذَا يَعنِي أنَّ الرُّوح نزل عليْه بِهيْئَة جِسْميَّة مِثْل حَمامَة؟ هُنَاك اَلكثِير مِن الأشْياء اَلتِي لَم يَتِمَّ تفْسيرهَا فِي هَذِه اَلقِصَّة القصيرة: هل اِستقَرَّ الرُّوح؟ أيْن؟ وَإلَى متى؟ وهناك أيْضًا اَلعدِيد مِن الاسْتنْتاجات اَلتِي يَجِب علينَا بِالتَّأْكيد تَجنُّب اِسْتخْلاصهَا مِن اَلقِصَّة. فالشَّخْص الثَّالث مِن الثَّالوث لَيْس طائرًا، ولم يَتَجسَّد بِشَكلٍ دَائِمٍ كَحَمامَة، ولم يَتَّخِذ طَبِيعَة الطَّيْر فِي اِتِّحادٍ مع نَفسِه. ولاَ يَنبَغِي لَنَا أن نَقرَأ هذَا على أنَّه نَوْعٌ مِن قِصص نَشأَة بطل خَارِق تَشرَح مِن أيْن حصل يَسُوع اَلمسِيح على قُوَاه قَبْل أن يَبدَأ مُغامراته، أو أنَّه تَرقَّى مِن كَونِه طَبيعِيًّا إلى كَونِه اِبْنَ اَللَّه، وَهذِه لَيسَت مُجرَّد فِكْرَة سَيِّئَة، بل هَرطقَة فِعْليَّة. وأخيرًا، لاَ يَنبَغِي لَنَا بِالتَّأْكيد أن نُفكِّر فِي هذَا بِاعْتباره قِصَّة لِقَاء يَسُوع اَلمسِيح بِالرُّوح اَلقُدُس. إذ لَم يَكُن هذَا لِقاءَهمَا الأوَّل! وَرُبَّمَا يُساعدنَا هذَا الإنْكار على التَّرْكيز على مَا يَجِب أن نُقرَّه فِعْليًّا بِشَأن نُزُول الحمامة على

5 Edmund Polhill, *Precious Faith Considered in Its Nature, Working, and Growth* (London: Thomas Cockerill, 1675), 354.

يَسُـوع فِـي اَلأُردن. وَيَظهَـر لَنَـا بِوضـوح العلاقـة بَيْـن الابْـن والـرُّوح اَلقُـدُس. فَهُـو يَجعَـل هَـذِه الحقيقـة غَيْـر المرْئيَّـة مَرئيَّـةً، وَهِـي أنَّ الابْـن والـرُّوح يـصلان إِلـى مَشـهَد الـخلاَص معًـا، ويعْـملان معًـا على تَنفِيـذ إِرادة اَلآب، وَكُلُّ هـذَا لِأَنَّهمَـا موْجـودان معًـا إِلـى الأبـد فِـي وَحـدَة الإلـه الواحـد اَلتِـي لاَ تُقهَـر. إِنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس يَنـزِل على الابْـن المتجسِّـد لِيُظْهـر بِـشَكلٍ مَرئِـيٍّ مَـا يقولـه صَـوْت اَلآب: هـذَا هُـوَ ابْني الْحَبِيبُ الَّـذِي بِـهِ سُـرِرْتُ. إِنَّهـا نَفْـس الرِّسـالة تَتَكـرَّر مرَّتيْـنِ، فِـي صَـوْت اَلآب وَفِـي هَيئَـة الـرُّوح. وَهِـي تُكـرِّس هُويَّـة يَسُـوع فِـي بنوَّتـه الأزليَّـة الشَّـخْصيَّة، مُتجسِّـدًا الآن ومطيعًـا تمامًـا فِـي التَّاريـخ.

لَـن تُظْهِـر لَنَـا الأناجيـل الـرُّوح اَلقُـدُس مَـرَّة أُخـرَى فِـي عَلامَـة مَرئيَّـة؛ ولـن يَحـدُث ذَلِـك إِلاَّ فِـي يَـوْم الخمْسـين. لَكِنَّهَـا تَنطَلِـق مِـن اِفتِـراض أَنَّـه بَعْـد أن أخْبرتْنَـا أنَّ يَسُـوع قـد حُبِـل بِـه مِـن الـرُّوح اَلقُـدُس، وبعْـد أن أَظهَـرت لَنَـا أنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس نـزل على خِدْمتـه عِنْـد بدْئهَـا، يَجِـب أن نَفهَـم أنَّ الـرُّوح غَيْـر اَلمرْئِـيِّ حَاضِـرٌ وَفَعَّـالٌ فِـي كُلِّ مَكَان. وتذكِّرنَـا بِهَـذه الحقيقـة فِـي بَعْـض النِّقَـاط الحاسـمة. تَأَمَّـلْ كَيْـف يُقـدِّم لُوقَـا لَحظَـة اِبتِهـاج يَسُـوع بِـإرادة اَلآب:

«وَفِـي تِلْـكَ السَّـاعَةِ تَهَلَّـلَ يَسُـوعُ بِالـرُّوحِ وَقَـالَ: ‹أَحْمَـدُكَ أَيُّهَـا الآبُ، رَبُّ السَّـمَاءِ وَالأَرْضِ، لأَنَّـكَ أَخْفَيْـتَ هـذِهِ عَـنِ الْحُكَمَـاءِ وَالْفُهَمَـاءِ وَأَعْلَنْتَهَـا لِلأَطْفَـالِ. نَعَـمْ أَيُّهَـا الآبُ، لأَنْ هكَـذَا صَـارَتِ الْمَسَـرَّةُ أَمَامَـكَ›. وَالْتَفَـتَ إِلَـى تَلاَمِيـذِهِ وَقَـالَ: ‹كُلُّ شَـيْءٍ قَـدْ دُفِـعَ إِلَـيَّ مِـنْ أَبِـي. وَلَيْـسَ أَحَـدٌ يَعْـرِفُ مَـنْ هُـوَ الابْـنُ إِلاَّ الآبُ، وَلاَ مَـنْ هُـوَ الآبُ إِلاَّ الابْـنُ، وَمَـنْ أَرَادَ الابْـنُ أَنْ يُعْلِـنَ لَـهُ›» (لوقـا ١٠: ٢١-٢٢).

إِنَّ اِنْتباهنَا مُنصَبٌّ على يَسُوع، واهْتمامه مُنصَبٌّ على اَلآب، وَلكِنَّ الفرح الحقيقيَّ يَتِمُّ «فِي الرُّوح اَلقُدُس».

وَهذِه هِي حَيَاة اَلمسِيح بِأَكْملهَا. لَقد كان يَسُوع طَوَال عَملِه يقوده الرُّوح اَلقُدُس، وَيمكِّنه الرُّوح اَلقُدُس، ويفْرح بِالرُّوح اَلقُدُس. إِنَّ دِراسة حَيَاة وَعمل يَسُوع فِي الأناجيل هِي رُؤيَة شَخْص وَعمَل الرُّوح اَلقُدس فِيه. فَهدَف الأناجيل هُو تَقدِيم حَيَاة يَسُوع اَلمسِيح إِلَيْنَا، وَهِي تَفعَل ذَلِك تَحْت إِلهَام الرُّوح اَلقُدس، اَلذِي يُركِّز عَمله على جَعْل اَلمسِيح مَعرُوفًا فِي هَذِه النُّصوص. وَرُبَّمَا مِن المفارقات أَنَّ الرُّوح اَلقُدُس هُو اَلذِي يَجعَل نَفسَه مَعرُوفًا أَيْضًا مِن خِلاَل عَمَليَّة التَّعْريف بِالْمسيح.

الخدْمة الثُّلاثيَّة لِلْمَمْسوح

إِنَّ الوقْتَ لَن يَتَّسِع لَنَا إِذَا تَتَبَّعنَا العلاقة بَيْن الابْن والرُّوح اَلقُدُس مِن خِلاَل كُلِّ حدثٍ فِي حَيَاة يَسُوع. إِنَّ التَّعَمُّق فِي حُضُور الرُّوح اَلقُدُس فِي كُلِّ سِرٍّ مِن أَسرَار حَيَاة يَسُوع هُو مَشرُوعٌ غَنِيٌّ وَمُجزٍ يُمْكِن لِأَيِّ شَخْص القيَام بِه بِاسْتخْدام الكتَاب اَلمُقدَّس وبعْض المؤشِّرات الثَّالوثيَّة. لَقد نظرْنَا لِلتَّوِّ إِلى عمل الرُّوح اَلقُدُس فِي بِداية حَيَاة يَسُوع وخدْمَته (الحبَل والْمعْموديَّة)، وبعْد لَحظَة سننْظر إِلى اِكْتماله (الصُّعود والْجلوس عن يمين اَلآب). ولأَغْراض تمْهيديَّة، سَيكُون هذَا كافيًا. لَكِن بَيْن هَذِه الأَقْواس المفْتوحة والْمغْلقة يَكمُن كُلُّ مَا فَعلَه يَسُوع اَلمسِيح مِن أَجلِنا فِي الرُّوح اَلقُدُس. وَلكَي نَفهَم ذَلِك، يُمْكننَا أن نُحوِّل اِنْتباهنَا مِن حَيَاة يَسُوع، اَلتِي نَنظُر إِلَيْهَا مِن

مَنظُـور السِّـيرة الذَّاتيَّـة، إِلـى عَملِـه الخلاصـيِّ، اَلـذِي نَنظُـر إِلَيـه مِـن مَنظُـورٍ لاَهُوتـيٍّ أَكثَـر.

إِحْـدى الطُّـرق المفيـدة لِتنْظِيـم عَناصِـر العمـل الخلاصـيِّ اَلـذِي قـام بِـه يَسُـوع هِـي اِعْتبـاره تَحْـت ثَلاثَـة وَظائِـف، اَلمسِـيح كَنبِـيٍّ، وَكاهِـنٍ، وَمَلِـكٍ. هَـذِه الوظائـف الثَّلاثـة هِـي فِئَـات العهْـد اَلقدِيـم، وَفِـي العهْـد اَلقدِيـم كَانَـت عِبـارة عـن وَظائِـف مُختلفَـة إِلـى حـدٍّ مَـا ويشْـغلهَا أَشـخَاص مُخْتلفـون. تَأَمَّـل فِـي أَمْـر دَاوُد بِشَـأن اِبْنِـه سُـلَيْمَان، «وَلْيَمْسَـحْهُ هُنَـاكَ صَـادُوقُ الْكَاهِـنُ وَنَاثَـانُ النَّبِـيُّ مَـلِكًا عَلَـى إِسْـرَائِيلَ» (مُلُـوك الأَوَّل ١: ٣٤). وَلكِـن عِنْدمَـا يَقُـوم اَلمسِـيح بِهَـذه الأَدْوار الثَّلاثـة رُوحيًّـا، فَإِنَّنَـا لاَ نَتَحـدَّث عَنهَـا كَثَلاثَـة وَظائِـف، بـل كَوَظيفَـة وَاحِـدة ثُلاثِيَّـة. جُـون كَالفِـن، اَلـذِي كان أَوَّل مـن أَعطَـى اِعْتبـارًا مُوَسَّـعًا لِهَـذا اَلمنْصِـب الثُّلاثـيِّ لِلْمسِـيح، قَدَّمَـه بِهَـذه الطَّريقـة: «لِكـيْ يَجِـد الإيمـان أساسًـا ثابتًـا لِلْخلاَص فِـي اَلمسِـيح، وبالتَّالـي يَسـتَقِرُّ فِيـه، يَجِـب وَضْـع هـذَا المبْـدأ: إِنَّ الوظيفـة اَلتِـي فرضهَـا اَلآب على اَلمسِـيح تَتَكـوَّن مِـن ثَلاثَـة أَجـزَاء. لِأَنَّـه أُعْطِـي أن يَكُـون نبيًّـا وملكًا وَكاهِنـا.»[6] وَمِـن هُنَـا، يَتَعمَّـق كالْفِـن فِـي شَـرْح الطُّـرق اَلتِـي يَفِـي بِهَـا اَلمسِـيح بِكلٍّ مِـن هَـذِه الأَدْوار فِـي خِدْمتـه الشَّـاملة. إِنَّهـا دِراسـة غَنيَّـة.

وَلكِـن يَجِـب علَيْنَـا أن نَنتَبِـه جيِّـدًا لِعمـل الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي هَـذِه الوظيفـة الثُّلاثيَّـة. رَغْـم أَنَّ كالْفـن قـد لاَ يَذكـر الـرُّوح اَلقُـدُس دائمًـا بِالاسْـم عِنْدمَـا يَشـرَح الوظيفـة الثُّلاثيَّـة، فـإِنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس

6 John Calvin, *Institutes of the Christian Religion* , trans. Ford Lewis Battles, ed. John T. McNeill (Louisville, KY: Westminster John Knox, 1960), 1.15.1.

هُـو فِـي الواقـع النُّقْطـة الأساسيَّة. مَـا يَشـتَرِك فِيـه اَلنبِـيُّ والْكاهـن والْمَلـك هُـو أَنَّهُـم جميعًـا مُخصَّصـون مِـن قِبَـل اَللَّـه وممسـوحون لِلْقيَـام بِمهامِّهِـم. كان المسْـح، اَلـذِي يَرمُـز إِلَيـه الاسْـتخْدام اَلطقْسِـيُّ لِلزَّيْـتِ، هِبـة خَاصَّـة مِـن الـرُّوح اَلقُـدُس لِلْأَنْبياء والْكهنـة والْملـوك. لَقـد تـمَّ مَسْـح كُلِّ وَاحِـدٍ مِنْهـم، أو جَعلِـه مسـيحًا، بِواسِـطة الـرُّوح اَلقُـدُس. وَهـذَا هُـو مِفتَـاح اِختِيـار كالْفـن لِهَـذه الأدْوار الثَّلاثـة بِاعْتبارهَـا الأدْوار اَلتِـي تَجِـد مَرْكَزهـا فِـي يَسُـوع اَلـذِي هُـو اَلمسِـيح، الممْسـوح بِـشَكلٍ فريـدٍ. وباعْتبـاره اَلمسِـيح، فَهُـو يُنفِّـذ غـرض المسْـحة على أَكمَـل وَجْـه. فالْممْسـوح لَـه مَسـحَة وَاحِـدة.

وَهـذَا لَـه طَبَقـات مِـن المعْنـى النِّيوماتولوجـي بِالنِّسْـبة إِلَينَـا. أَوَّلاً، يقودنَـا هـذَا إِلـى الاعْتـراف بِـأَنَّ اَلمسِـيح نَفسَـه لَـن يَكُـون كمَـا هُـو مـن دون حُضُـور الـرُّوح اَلقُـدُس. فالْمسـيح لَيْـس هُـو شَـخْص الـرُّوح اَلقُـدُس، لَكنَّهمَـا يسـيرَان معًـا. إِنَّ اَلمسِـيح هُـو الشَّـخْص اَلـذِي تـمَّ مَسـحُه حقًّـا وبـشكْل كَامِـل وَفِـي نِهايـة المطَـاف بِواسِـطة الـرُّوح اَلقُـدُس. إِنَّهمَـا قريبَـان جِـدًّا بَعضُهمـا مِـن بَعْضٍ، كمَـا يَتَّضِح مِـن مَعنَـى اللَّقـب. فَفِـي كُلِّ مَـرَّة نَقُـول فِيهَـا «يَسُـوع اَلمسِـيح» فَإِنَّنَـا نُكـرِّر حَقِيقَـة أَنَّ يَسُـوع (اِسْـمه) هُـو اَلمسِـيح (لَقبُـه، اَلكلِمـة العربيَّـة لِلْكلِمـة العبْريَّـة **مَشِـيخَا**). مَـرَّة أُخـرَى، فِـي نَفْـس النُّقْطـة اَلتِـي نُركِّـز فِيهَـا بِـشَكل مُبَاشِـر قَـدْر الإِمْكان على مَـا هُـو مُميَّـز بِشَـأن عمـل الابْـن، فَإِنَّنَـا نَجِـد أَفضَـل توْجيهاتنَـا بشـأن عمـل الـرُّوح اَلقُـدُس فِيـه، وَمعَـه، وتحْتـه.

ثانيًـا، إِنَّ حُضُـور الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي اَلمسِـيح يَعنِـي أَنَّـه فِـي كُلِّ

جَانِب مِن جَوانِب عمل اَلمسِيح، هُنَاك اِكتِمال وشموليَّة تَتَدفَّق مِن التَّحْقيق التَّاريخيِّ لِلْخلاَص وتفيض إِلى اِسْتقْبالنَا الحاليِّ لَه. يَسأَل مِنهَاج هايدلبرغ لِلْإيمان The Heidelberg Catechism، اَلذِي يُركِّز دائمًا على التَّطْبيق الرُّوحيِّ لِلْعقيدة، عن يَسُوع فِي السُّؤَال ٣٠ قائلاً: «لِماذَا يُدعَى ‹اَلمسِيح›، أيْ ‹المَمْسوح›؟» وإجابته تَتكشَّف فِي وَظِيفَة ثُلاثِيَّة مَملُوءة بِالرُّوح:

لِأَنَّه قد رُسِم مِن قِبَل اَللَّه اَلآب ومُسِح بِالرُّوح اَلقُدُس لِيكون نَبِيَّنَا ومعلِّمنَا الرَّئيسيَّ اَلذِي يكشِف لَنَا تمامًا المشورة السِّرِّيَّة وإرادة اَللَّه لِخلاصنَا؛ ورئيس كَهَنتنَا اَلوحِيد اَلذِي حرَّرْنَا بِذبيحة جَسدِه الواحدة، وَالذِي يَتوسَّل بِاسْتمْرار لِصالحنَا أَمَام اَلآب؛ وَملكَنا الأبَديَّ اَلذِي يَحكُمنا بِكلمَته وَروحِه، وَالذِي يَحرُسنا ويحفَظنَا فِي اَلحُرِّيَّة اَلتِي فاز بِهَا لَنَا.[٧]

يُحوِّل المنْهاج اِنْتباهنَا إِلى العمل المسْتمرِّ لِلْمسِيح القائم فِي الرُّوح اَلقُدُس دُون أن يُرْخِي قبْضته على العمل التَّاريخيِّ لِلْمسِيح فِي أَثنَاء حَياتِه اَلتِي سَبقَت القيامة. إِنَّه يُعْلِن لَنَا عن اَللَّه بِشَكلٍ كَامِلٍ، ويدافع عن قَضيَّتِنا، ويحْمينَا فِي الزَّمن الحاضر. إنَّ اَلمسِيح نَفسَه اَلذِي عَمَل كَنبِيٍّ وَكاهِنٍ وَملِكٍ فِي حَياتِه، «فِي أَيَّام جَسدِه»، يَعمَل الآن مِن يمين اَلآب بِمقْتَضى اَلقُوَّة المسْتمرَّة لِهَذا اَلمنْصِب الثُّلاثيِّ، بِالرُّوح اَلقُدُس.

ثالثًا، إنَّ حُضُور الرُّوح اَلقُدُس فِي اَلمسِيح يَعنِي أنَّ المسْحة لَيسَت فقط لِنفْسه، بل أيْضًا لِلْمؤْمنين عن طريق الفيْض

7 Heidelberg Catechism, Question 30.

المتعمَّد. يَقُول كالْفن: «لَقد تَلقَّى المسْحة نِيابةً عن جَسدِه كُلِّه حَتَّى تَكُون قُوَّة الرُّوح حَاضِرة فِي اِسْتمْرار الكرازة بِالْإِنْجيل».[٨] إِنَّ التَّعْليم بِالْوظيفة الثُّلاثيَّة قد مكَّننَا دائمًا مِن فَهْمٍ أَعمَق لِلْكنيسة كمشاركة فِي خِدْمَة اَلمسِيح. تَمثِّل وَظِيفَة الوعْظ اِمْتدادًا لِخدْمَته كَنبِيٍّ؛ ويمثِّل التَّسْبيح والشَّفاعة اِمْتدادًا لِخدْمَته كَكاهِن؛ ويمثِّل الاجْتماع كَجَماعَة دَاخِل نِظَام كَنِيسَة مَسؤُول اِمْتدادًا لِخدْمَته كَملِك.

رابعًا، إِنَّ حُضُور الرُّوح اَلقُدُس فِي اَلمسِيح يَرفَع أَعيُننا إِلى اَلشرِكة الأبديَّة اَلتِي بَيْن الابْن والرُّوح اَلقُدُس فِي الثَّالوث الأَقْدس. إِنَّ العمل المسيَّانيَّ اَلذِي قام بِه الابْن بِقوَّة الرُّوح اَلقُدُس هُو فِي حدِّ ذَاتِه مَظهَر عظيم مِن مَظاهِر الوحْدة السَّرْمديَّة. لَم يَشرَح إِيريناوس أُسقُف لِيون Irenaeus of Lyons (١٣٠-٢٠٢) بِالتَّفْصيل وَظِيفَة اَلمسِيح الثُّلاثيَّة فِي الرُّوح اَلقُدُس، لَكنَّه اِسْتعْرض دلالاَت لَقب اَلمسِيح ذَاتِه اَلذِي يَحتَوِي على السِّرِّ المسيَّانيِّ لِثالوث اَللَّه. فِي الواقع، يَجِد إِيريناوس أَنَّ الثَّالوث كُلَّه يَتَكشَّف فِي هذَا الجانب مِن عمل الابْن:

لِأَنَّ اِسْم اَلمسِيح يَعنِي اَلذِي يَمسَح، وَالذِي يُمسَح، والْمسْحة نفْسهَا اَلتِي يُمسَح بِهَا. فالْآب هُو اَلذِي يَمسَح، وَلكِنَّ الابْن هُو اَلذِي يُمسَح بِالرُّوح، اَلذِي هُو المَسْحة، كمَا تُعْلِن اَلكلِمة بإشعياء: «رُوحُ السَّيِّدِ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّ الرَّبَّ مَسَحَنِي»، مُشيرًا إِلى كُلٍّ مِن اَلآب اَلذِي يَمسَح، والابْن المَمْسوح، والْمَسْحة،

8 Calvin, *Institutes* , 1.15.2.

اَلتِي هِي الرُّوح.[٩]

«اَلمسِيح» يَعنِي «المَمْسوح» أيْ «اَلمسِيَّا»، و«اَلمسِيَّا» هُو بِالتَّأْكِيد لَقب يَنطَوِي على دَلالَة تاريخيَّة. وَلكِن مَا يَتَبادَر إِلى الأذْهان فِي هذَا العمل التَّاريخيِّ المسيَّانيِّ لِلابْن هُو العلاقة السَّرْمديَّة بَيْن رُوح المَسْحة والابْن المَمْسوح. إِنَّ «المَسْحة» هُو لَقب لِلرُّوح اَلقُدُس اَلذِي هُو حَاضِر سَرمدِيًّا فِي كِيَان اَللَّه وَعلَى هذَا الأسَاس يُشَارِك فِي عمل اَلمسِيح مِن أَجلِنا وَمِن أَجْل خَلاصِنا.

الصُّعودُ ويوْمُ الخَمْسين

لَقد رأيْنَا أنَّ الابْن والرُّوح اَلقُدُس يعيشَان ويعْملان فِي عَلاقَة مُسْتمِرَّة طَوَال خِدْمَة اَلمسِيح على الأرْض. وَهذَا يَعنِي أَنَّه عِنْدمَا نَتَأمَّل فِي حَيَاة يَسُوع، لاَ تُوجَد لَحظَة نَتَعامَل فِيهَا مع الابْن وَحده بِمعْزل عن الرُّوح اَلقُدُس. إِنَّ الابْن لَيْس هُو الرُّوح اَلقُدُس، وَلَكِنَّنَا نَتَعلَّم عن كِلَيْهِمَا، وعن اَلآب، بِشَكلٍ لاَ يَنفَصِل. وَهذَا يَنطَبِق على كُلِّ لَحظَةٍ مِن حَيَاة يَسُوع وخِدْمَته على طُول اَلطرِيق، وينْطَبق على حَياتِه كَكُلٍّ. يُمْكننَا أن نَنظُر إِلى حَيَاة يَسُوع بِاعْتبارهَا كُلاًّ مُكْتمِلاً مِن خِلاَل التَّأَمُّل فِي صُعوده. فَقَد جلس عن يمين اَلآب عِنْدمَا أتمَّ عَملَه «فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ» بِالْكامل. لَيْس مِن المُسْتغرَب إِذًا أن يكون لِلْكتَاب اَلمُقدَّس اَلكثِير لِيقوله عن عَلاقَة الابْن بِالرُّوح اَلقُدُس فِي هَذِه النُّقْطة بِالتَّحْديد، عِنْد صُعُود اَلمسِيح وَجلُوسه فِي السَّمَاء.

9 Irenaeus, *Against Heresies* 3.18.3.

هُنَـاك نَـوْع مِـن التَّسْـليم بَيْـن الابْـن والـرُّوح اَلقُـدُس فِـي هَـذِه النُّقْطـة الحاسـمة مِـن تَارِيـخ الـخلاَص. كان يَسُـوع قـد قـال لِتلاميـذه قَبْـل صُعـوده: «إِنَّـهُ خَيْـرٌ لَكُـمْ أَنْ أَنْطَلِـقَ، لأَنَّـهُ إِنْ لَـمْ أَنْطَلِـقْ لاَ يَأْتِيكُـمُ الْمُعَـزِّي، وَلكِـنْ إِنْ ذَهَبْـتُ أُرْسِـلُهُ إِلَيْكُـمْ» (يُوحنَّـا ١٦: ٧). إِنَّنـا بِحاجـة إِلـى فَهْـم المعْنـى الكامـل لِهَـذا التَّبـادل بَيْـن الابْـن والـرُّوح، وَمِـن أَجْـل القيَـام بِذَلـك يَجِـب علَيْنَـا أن نَنفِـي بَعْـض الأَفْكار البسـيطة لِلْغايـة وَالتِي لاَ تَسـتَحِقُّ الاهْتمـام بِشَـأن مَاهِيَّـة هـذَا التَّبـادل. أَوَّلاً، التَّبـادل لاَ يَعنِـي فقـط إِخلاَء مِسـاحة لِإِفْسَـاح المجَـال لِشَـخصٍ آخـر. قـد تَنُـصُّ الفيزْيـاء علـى أَنَّـه لاَ يُمْكِـن لِجسْـمَيْنِ مادِّيَّيـنِ أن يشـغلاَ المسـاحة نفسـها فِـي الوقْـتِ نفسـه، وَلكِـن هـذَا لاَ يَنطَبِـق علـى الـرُّوح اَلقُـدُس.

ثانيًـا، هـذَا التَّبـادل لَيْـس حَالَـة يَبتَعِـد فِيهَـا شَـخْصٌ مَـا حَتَّـى يَتَمكَّـن مِـن التَّحَـوُّل إِلـى شَـخْصٍ آخـر ثُـمَّ يَعُـود. قـد يُفسِّـر هـذَا النَّـوْع مِـن التَّبْديـل سـبب وُجُـوب اِختِفـاء البطـل فِـي شـخْصيَّته العاديَّـة لِفتْـرة قَبْـل أن يَظْهَـر علـى السَّـاحة مَـرَّة أُخـرَى كسـوبرمان، لَكِـن هـذَا لاَ يَنطَبِـق علـى يَسُـوع والـرُّوح اَلقُـدُس، فهُمـا شَـخْصان مُتمايـزان. إِنَّ التَّعامـل مـع تَبـادُل الابْـن والـرُّوح بِهَـذه الطَّريقـة مِـن شَـأنِه أن يُـؤدِّي إِلـى بِدْعَـة المودالِيَّة/السَّابلِيَّة/الشَّـكلانيَّة. وأخيـرًا، فَـإِنَّ التَّبـادل لاَ يَعتَمِـد علـى نَـوْعٍ مِـن الإِقْصـاء أو الغيَـاب الكامـل لِلـرُّوح اَلقُـدُس عـن التَّلاميـذ المقيميـن علـى الأَرْض حَتَّـى هَـذِه النُّقْطـة. فَكمَـا رأَينَـا بِالْفِعْـل، كان الـرُّوح اَلقُـدُس حاضـرًا وفعَّـالاً فِـي عمـل يَسُـوع اَلمسِـيح طَـوَال الوقْـتِ؛ ولـم يَكُـن غائبًـا أبـدًا. وَلكَـي نَقُـول الحقيقـة الكاملـة عَمَّـا حـدث عِنْـد صُعُـود اَلمسِـيح،

يَنبَغِي أن نَقُول إِنَّه حَتَّى تِلْك اللَّحْظة لَم يكُن الرُّوح غائبًا، لَكنَّه لَم يُرْسَل بَعْد.

يُخْبرنَا إِنْجيل يُوحنَّا أَنَّه في أَثنَاء خِدْمته وعد يَسُوع أنَّ «مَنْ آمَنَ بِي، كَمَا قَالَ الْكِتَابُ، تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَيٍّ» (يُوحنَّا ٧: ٣٨). ويوضِّح الرَّاوي بِشَكلٍ مُفيدٍ: «قَالَ هذَا عَنِ الرُّوحِ الَّذِي كَانَ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ مُزْمِعِينَ أَنْ يَقْبَلُوهُ، لأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أُعْطِيَ بَعْدُ، لأَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَكُنْ قَدْ مُجِّدَ بَعْدُ» (يُوحنَّا ٧: ٣٩). مِن مِنظَار عمل يَسُوع المتدرِّج، كان لاَ بُدَّ لِلْوعْد بِالرُّوح المتدفِّق مِن المؤْمنين أن يَكُون فِي زمن المُسْتقبَل: فَهُو لاَ يَتَدفَّق حِينئذٍ، لَكنَّه سَوْف يَتَدفَّق لاَحقًا. تَقُول مُعظَم التَّرْجمات الحديثة إنَّ الرُّوح «لَم يُعْط» بَعْد، لَكِنَّ التَّرْجمة اليونانيَّة تَقُول بِبساطة «لَم يَكُن». لَقد أَصَاب المترجمون فِي اِسْتخْدام الفعْل «يُعطَى» مِن أَجْل اِسْتكْمال المعْنى. إن تُرِكَت التَّرْجمة هَكذَا: «لِأَنَّ الرُّوح لَم يَكُن مَوجُودًا بَعْد» سَيكُون هذَا مُضَلِّلاً لِأَنَّ اَلقُرَّاء سَوْف يتوقَّعون عقْليًّا عِبارة «لَم يَكُن مَوجُودًا بَعْد»، أو «لَم يَكُن شخْصًا بَعْد» أو شَيْئًا زَائِفًا بِنَفس القدر (وَسُرعَان ما ستُظْهِر ذلك قِراءةٌ بَقيَّة الإِنْجيل). لَكِنَّ اَلكلِمة التَّالية اَلتِي يرْوِيهَا الرَّاوي هِي المفْتاح لِكلِّ شَيْء: «لأَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَكُنْ قَدْ مُجِّدَ بَعْدُ».

هَذِه هِي الرُّؤْية الحاسمة فِي عَمَليَّة التَّبادل بَيْن الابْن والرُّوح، وَهِي الرُّؤْية اَلتِي أعْددْنَا أَنفُسنا لَهَا مِن خِلاَل القضَاء على التَّفْسيرات الخاطئة. لَن يَبدَأ عمل الرُّوح اَلقُدُس اَلْخاصُّ حَتَّى يَصِل عمل الابْن اَلْخاصُّ إِلى اِكْتماله فِي تمْجيده. هذَا

لِأنَّ عمـل الابْـن هُـو الأسَـاس والْفرْضيَّـة المُسـبَّقة لِعَمـل الـرُّوح اَلقُـدُس. عِنْدمَا يُكْمِـل الابْن عَملَه، ويذْهـب إلى اَلآب، ثُـمَّ يُرْسِـل الـرُّوح اَلقُـدُس (يُوحنَّـا ١٦: ٧)، فَإنَّـه يُرْسِـل الـرُّوح بِطريقـة جَدِيـدَة أَصبَحـت مُمْكِنـة مِـن خِلاَل عمـل الابْـن المكْتمـل فقـط. هُنَـاك فَـرْق بَيْـن حُضُـور الـرُّوح اَلقُـدُس بَيْـن التَّلاميـذ قَبْـل وبعْـد صُعُـود اَلمسِـيح وَجلُوسـه عـن يميـن اَلآب وإرْسـاله لِلـرُّوح اَلقُـدُس. قـال يَسُـوع لِلتَّلاميـذ إنَّ العالـم بِأسْـره «لاَ يَسْـتَطِيعُ [...] أَنْ يَقْبَلَـهُ»؛ رُوح اَلحَـقِّ، لِأنَّ العالـم لاَ يعْرفـه. وَلكِـن علـى اَلنقِيـض مِـن ذَلِـك، «أَمَّـا أَنْتُـمْ فَتَعْرِفُونَـهُ لأَنَّـهُ مَاكِـثٌ مَعَكُـمْ وَيَكُـونُ فِيكُـمْ» (يُوحنَّـا ١٤: ١٧). قبـل أن يُرْسَـل الـرُّوح اَلقُـدُس، كان يَسـكُن مـع التَّلاميـذ، وبعْـد ذَلِـك أَصبَـح فِيهـم.[10] إنَّ الفـرْق بَيْـن العصْريْـنِ لَيْـس سِـرًّا ولاَ خفيًّـا؛ بـل هُـو تَجسُّـد اِبْـن اَللَّـه وَموتـه وقيامتـه وَصعُـوده مِـن أَجْـل خَلاصِنـا. وقـد شـرح يُوحنَّـا فـم الذَّهـب John Chrysostom (٣٤٧-٤٠٧) هـذَا اَلمقطـع قـائلاً إنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس لَـم يُرْسَـل إلاَّ بَعْـد رحيـل اَلمسِـيح «لِأنَّ اللَّعْنـة لَـم تُرفَـع بَعْـد، وربـاط الخطيَّـة لَـم يُحَـلَّ بَعْـد، بـل كَانَـت كُلُّ الأشْـياء خَاضِعـة لِلانْتقـام، لِذَلـك لَـم يَسـتَطِع أن يَأتِـي».[11]

إنَّ إِرْساليَّة الـرُّوح اَلقُـدُس تَعتَمِـد علـى اِكتِمـال إِرْساليَّة الابْـن. وَإِن أردْنَـا أنَّ نصيـغ الأمْـر فـي شكل أَحـدَاث علـى خـطٍّ زَمنِـيٍّ،

10 James M. Hamilton Jr., *God's Indwelling Presence: The Holy Spirit in the Old and New Testaments* (Nashville, TN: B&H Academic, 2006).
يُثْبِت هاملتون هذَا الأمْر مع/بالتَّمْييز عن إِنْجيل يُوحنَّا ويدْرس آثاره على مدى الاسْتمْراريَّة بَيْن تلقِّي الخَلاَص فِي العهْد اَلقدِيم والْعَهْد اَلجدِيد.

11 John Chrysostom, Homily 78 on John, in Nicene and Post-Nicene Fathers of the Christian Church, 1st ser., ed. Philip Schaff (Buffalo, NY: Christian Literature Publishing, 1889), 14:288.

يَأتِي صُعُود اَلمسِيح أوَّلاً، ثُمَّ يَأتِي اِنسِكاب الرُّوح اَلقُدُس فِي يَوْم الخمْسين بَعْد ذَلِك. فالابْن يَصعد قَبْل أن يَنزِل الرُّوح. الحدثان مُتتاليان، ومع ذَلِك فَمِن اَلمثِير لِلدَّهْشة أَنَّه يُمْكِن اِعْتبارهمَا مِن النَّاحية اللاَّهوتيَّة وجْهَيْنِ لِعمْلة وَاحِدة. وَفِي كُلٍّ مِن الصُّعود ويوْم الخمْسين، نرى الحقيقة العميقة بَيْن اَللَّه والْإنْسانيَّة فِي شَركَة المصالحة. إنَّ اَلمسِيح المتجسِّد، المرْتفع إلى يمين اَلآب، هُو ضَمَان دَائِم لِوجودنَا البشَريِّ فِي حَضرَة اَللَّه. والرُّوح اَلقُدُس اَلذِي يَسكُن فِي المؤْمنين، ويتدَفَّق مِنْهم، هُو حَقِيقَة عَمِيقَة عن حُلُول اَللَّه فِي هَيكلِه البشَريِّ. إنَّ كِلا الحدثيْنِ يُتمِّمَان وَعْد «اَللَّه مَعنَا» بِطرق تَختَصُّ بِالابْن والرُّوح اَلقُدُس.

وَإذَا أخَذنَاهمَا معًا، فَإنَّ الصُّعود ويوْمَ الخمْسين يُحقِّقَان تَمجِيد يَسُوع اَلمسِيح. وَبمَا أنَّ الابْن والرُّوح اَلقُدُس شَخْصان مُتمايزان مُتساويان فِي الألوهيَّة (تَذكَّر الشَّكْل ٢-١)، فقد يَكُون مِن اَلمغْرِي أن نُحَاوِل مُعَاملَة الابْن والرُّوح اَلقُدُس على أَنَّهُما مُتوازيان مع بَعضهِما البعْض فِي كُلِّ شَيْء، وَنقَع فِي خطأ القوْل إنَّ الصُّعود هُو تَمجِيد الابْن بيْنمَا يَوْم الخمْسين هُو تَمجِيد الرُّوح اَلقُدُس. وَلكِن سَتكُون هَذِه طَرِيقَة تَفكِير شَدِيدَة التَّكَلُّف، وَرُبَّمَا تَكُون مُجَرَّدَة أو مِيكانيكيَّة بِشَكلٍ مُفْرِط فِي اِتِّباع الشَّكْل ٢-١ كدليل. إنَّ الرِّواية الكتابيَّة الفعْليَّة عن الصُّعود ويوْم الخمْسين هِي أَفضَل دليل لَنَا. وَفِي الواقع، فَإنَّ كِلاَ الحدثيْنِ يتَّجهَان نَحْو نَفْس الهدف، وَهُو تَمجِيد الابْن. وَهذَا وَاضِح فِي سِفْر أَعمَال الرُّسل، حَيْث يُركِّز عمل الرُّوح اَلقُدس بِاسْتمْرار على

تَمكِيـن التَّلاميـذ مِـن الشَّـهادة عـن يَسُـوع. وَقبـل الصُّعـود، قـال يَسُـوع لِلتَّلاميـذ: «لكِنَّكُـمْ سَـتَنَالُونَ قُـوَّةً مَتَـى حَـلَّ الـرُّوحُ الْقُـدُسُ عَلَيْكُـمْ، وَتَكُونُـونَ لِـي شُـهُودًا فِـي أُورُشَـلِيمَ وَفِـي كُلِّ الْيَهُودِيَّـةِ وَالسَّـامِرَةِ وَإِلَـى أَقْصَـى الأَرْضِ» (أَعمَـال الرُّسـل ١: ٨). ويعلِّـم يَسُـوع بِـشَكلٍ أَكثَـر وُضوحًـا فِـي إِنْجيـل يُوحنَّـا عـن دِينامِيكيَّـة الـرُّوح اَلتِـي تَشـهَد لَـه:[١٢]

«إِنَّ لِـي أُمُـورًا كَثِيـرَةً أَيْضًـا لأَقُـولَ لَكُـمْ، وَلكِـنْ لاَ تَسْـتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُـوا الآنَ. وَأَمَّـا مَتَـى جَـاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَـقِّ، فَهُـوَ يُرْشِـدُكُمْ إِلَـى جَمِيـعِ الْحَـقِّ، لأَنَّـهُ لاَ يَتَكَلَّـمُ مِـنْ نَفْسِـهِ، بَـلْ كُلُّ مَـا يَسْـمَعُ يَتَكَلَّـمُ بِـهِ، وَيُخْبِرُكُـمْ بِأُمُـورٍ آتِيَـةٍ. ذَاكَ يُمَجِّدُنِـي، لأَنَّـهُ يَأْخُـذُ مِمَّـا لِـي وَيُخْبِرُكُـمْ» (يوحنَّـا ١٦: ١٢-١٥).

يَشـرَح يَسُـوع التَّفاعـل بَيْـن الابْـن والـرُّوح هُنَـا علـى أَعمَـق مُسْـتوًى. فَهمَـا مُترابطـان ومتَّحـدان بِحَيـث لاَ يَسـتطِيع التَّلاميـذ أن يفْتنـوا أَحَدهمَـا مـن دونِ الآخـر. لَـم يَكُـن عمـل يَسُـوع التَّعْليمـيُّ لِيكْتَمـل مـن دون عمـل الـرُّوح اَلقُـدُس اللاَّحق؛ ولـم يَتَمكَّـن التَّلاميذ مِـن التَّعامـل مـع «أُمُـورًا كَثِيـرَةً» كان علـى يَسُـوع أن يُخْبرَهـم بِهَـا. إِنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس سَيرشِـد التَّلاميـذ إِلـى «رُوحُ الْحَـقِّ» عـن الابْـن. يُوَجِّهنَـا يَسُـوع إِلـى أن نُفكِّـر فِـي الـرُّوح اَلقُـدُس لَيْـس كَأَنَّـه يَحمِـل حقيقَتَـه الخاصَّـة عـن نَفسِـه، ولاَ كَأَنَّـه يُمجِّـد نَفسَـه، ولاَ كَأَنَّـه

١٢ سيلاحظ اَلقُرَّاء اليقظون أَنَّنِي أُدْمِج فِي هـذَا الفصْـل بَيْن أَعمَـال الرُّسـل (بِمَـا يتضمَّنـه مِـن عَرْض سَرديٍّ لِصعـود يَسُـوع وانْـسكاب الـرُّوح اَلقُـدُس) وَإِنجِيـل يُوحنَّـا (بِمَـا يتضَمَّنـه مِـن تصْريحـات يَسُـوع عـن تمْجيـده، وَالتِي تَـعني جُزْئِيًّـا رَفعـه على الصليـب وتعْليمـه عـن كَيفِيَّـة إِرْسـاله هُـو والآب لِلرُّوح اَلقُـدُس). سَيكُون مِن اَلمفِيد أيْضًـا تتبُّع كُلٍّ مِن هَـذِه الشَّـواهد على طُـول خُطُوط اِمْتدادهَـا الخاصَّـة بِمزيـد مِـن التَّفْصيـل، مـع وضْعهَـا بِعنايـة بَيْن قَـوْسيْنِ لِلتَّأَكُّـد مِـن أَنَّنَـا نَسـمَع شَـهادَة كُلٍّ مِنهَـا على حِـدَى. لَقـد تَعمَّـدتُ قِراءتهَـا معًـا مِـن أَجْـل الاخْتصـار.

يَشـهَد لِنفْسـه، بِطريقـة مُسْـتقِلَّة أو مُنفصلَـة. بـل مَـا يُعْلِنـه لَنَـا الـرُّوح اَلقُـدُس هُـو مَـا يَخُـصُّ الابْـن. ولإكْمـال السِّـيَاق الثَّالوثـيِّ، أَكَّـد يَسُـوع أنَّ مَـا يُعْلِنـه الـرُّوح هُـو مَـا يملكـه الابْـن مِـن اَلآب. كُلُّ مَـا أَعـدَّه اَللَّـه الثَّالـوث لَنَـا يَصِـل إِلَيْنَـا بِسَـبب نُقطَـة الارْتبـاط بَيْـن الابْـن والـرُّوح، وَالتِـي مِـن خِلالِهَـا يُمجِّـد الـرُّوحُ الابْـن تمامًـا.

إِنَّ الـدَّرْس اَلـذِي نتعلَّمـه بِشَـأن الابْـن والـرُّوح اَلقُـدُس فِـي قَلْـب قِصَّـة الصُّعـود ويـوْم الخمْسـين مُهِـمٌّ لِلْغايـة لِدرجـة أنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس يُكَـرِّره بِطـرق أُخـرَى عَدِيـدَة. تَأَمَّـل فِـي تَعلِيـم الكتَـاب اَلمُقـدَّس عـن اَلمُعـزِّي. فِـي يُوحنَّـا، وعـدَ يَسُـوع أَنَّـه عِنْدمَـا يُغَـادِر، سَـوْف يَتَلقَّـى التَّلاميـذ مُعَينًـا أو مُعَزِّيًـا. اَلكلِمـة اليونانيَّـة هِـي *parakletos*، وَهُـو أَمْـرٌ مِـن الصَّعْـب جِـدًّا ترْجمَتـه بِـشَكلٍ مِثالـيٍّ لِدرجـة أنَّ المعلِّميـن غالبًـا مَـا ينْطقونـه حرْفيًّـا بِاسْـم البَارَاكليـت. الفكْـرة الأساسـيَّة لِجـذور اَلكلِمـة هِـي وُجُـود شَـخْصٍ مَدعُـوٍّ لِلْمساعدة. لَكِـنَّ مَعْنَاهـا الحقيقـيَّ يَأتِـي مِـن مـدى حِـرْص يَسُـوع علـى اِسْـتخْدامهَا فِـي المـرَّات الأَرْبـع اَلتِـي وَردَت فِيهَـا فِـي إِنْجيـل يُوحنَّـا:

> وَأَنَـا أَطْلُـبُ مِـنَ الآبِ فَيُعْطِيكُـمْ مُعَزِّيًـا آخَـرَ لِيَمْكُـثَ مَعَكُـمْ إِلَـى الأَبَـدِ. (يوحنَّـا ١٤: ١٦)

> وَأَمَّـا الْمُعَـزِّي، الـرُّوحُ الْقُـدُسُ، الَّـذِي سَيُرْسِـلُهُ الآبُ بِاسْـمِي، فَهُـوَ يُعَلِّمُكُـمْ كُلَّ شَـيْءٍ، وَيُذَكِّرُكُـمْ بِكُلِّ مَـا قُلْتُـهُ لَكُـمْ. (يوحنَّـا ١٤: ٢٦)

> وَمَتَـى جَـاءَ الْمُعَـزِّي الَّـذِي سَأُرْسِـلُهُ أَنَـا إِلَيْكُـمْ مِـنَ الآبِ، رُوحُ

الْحَـقِّ، الَّـذِي مِـنْ عِنْـدِ الآبِ يَنْبَثِـقُ، فَهُـوَ يَشْـهَدُ لِـي. (يوحنَّـا ١٥: ٢٦)

إِنَّـهُ خَيْـرٌ لَكُـمْ أَنْ أَنْطَلِـقَ، لأَنَّـهُ إِنْ لَـمْ أَنْطَلِـقْ لاَ يَأْتِيكُـمُ الْمُعَـزِّي، وَلكِـنْ إِنْ ذَهَبْـتُ أُرْسِـلُهُ إِلَيْكُـمْ. (يوحنَّـا ١٦: ٧)

هُنَـاك تَـدرُّج دقيـق هُنَـا، يَسـتَحِقُّ التَّأَمُّـل. أوَّلاً، فِـي ١٤: ١٦، يَذكُـر يَسُـوع هـذَا اَلمُعـزِّي بِطريقـة غَامِضـة، ولـم يُحَـدِّده بَعْد على أَنَّـه الـرُّوح اَلقُـدُس. لَكِـنَّ حَقِيقَـة أنَّ يَسُـوع يَقُـول إِنَّ هـذَا اَلمُعين سَـوْف يُعطَـى مِـن اَلآب هِـي مُهمَّـة، وَكذَلِـك حَقِيقَـة أَنَّـه «آخَـرَ». تِلْـك اَلكلِمـة الواحـدة **آخَـرَ**، تَعنِـي أنَّ يَسُـوع وَهـذَا اَلمُعـزِّي القـادم مُتشـابهان بِـشَكلٍ أَساسِـيٍّ. ومَـا فَعلَـه يَسُـوع، سـيفْعَله اَلمُعـزِّي. بَعـد عشـر آيـات، فِـي ١٤: ٢٦، يُحـدِّد يَسُـوع اَلمُعـزِّي بِاسْـم «الـرُّوحُ الْقُـدُسُ» ويحـدِّد رِسـالة الـرُّوح اَلقُـدُس علـى أَنَّهَـا تَذكِيـر التَّلاميـذ بِكلمَـات يَسُـوع. ثالثًـا، فِـي ١٥: ٢٦، نَتَعلَّـم أنَّ اَلمُعـزِّي سَـوْف يَشـهَد. تـمَّ تقْديمـه علـى أَنَّـه «مُعَزِّيًـا آخَـرَ» وَلكِـن سُـرْعان مَـا أَصبَـح بِبسـاطة «اَلمُعـزِّي». إِنَّنـا لاَ نَتَحـدَّث عـن مُعزِّيَيـنِ، اَلمسِيح والـرُّوح اَلقُـدُس، بـل قـد أَصبَـح اللَّقـب مُخَصَّصًـا تمامًـا لِلـرُّوح اَلقُـدُس.[١٣] إِنَّ تَعلِيـم يَسُـوع نَفسـه يقودنَـا إِلـى الانْتقـال مِـن الابْـن إِلـى الـرُّوح اَلقُـدُس، مُظْهِـرًا التَّمايـز بيْنهمَـا مِـن حَيْـث الشَّـخْصيَّة («آخَـرَ») وعملهمَـا غَيْـر المنْفصـل («الْمُعَـزِّي»).

---

١٣ إِنَّ اَلكلِمـة اليونانيَّـة نَفسـها تُطبَّـق مُبَـاشرَةً على يَسُـوع اَلمسِيح فِي يُوحنَّـا اَلأُولى ٢: ١، وَلكِـن بِسَـبب السِّـيَاق المخْتلـف هُنَـاك، تُتَرْجَـم عَـادَةً بِمعْناهَـا القانـونِيّ الأَكْثر «شَـفِيعٌ». وعلاوةً على ذَلِـك، فَـإِنَّ اَلآب هُـو «إِلـهُ كُلِّ تَعْزِيَـةٍ» فِي كُورنثـوس الثَّانيـة ١: ٣. إِنَّهـا كَلمَـة ثالوثيَّـة غَنيَّـة وَمَلاَنَـة! وُجهَـة نَظـري هُنَـا هِـي أَنَّ اِسْـتخْدام يَسُـوع لِلْكلِمـة فِي إِنْجيـل يُوحنَّـا، بِهَـذا التَّسلْسـل اَلدقِيـق، يجْعلهَـا مِحْوريَّـة فِي نِيوماتولوجيـا. وَبِسـبَب يُوحنَّـا ١٤-١٦، يَعـرِف المسـيحيُّون أَنَّـه عِنْدمَـا نَتَحـدَّث عـن «اَلمُعـزِّي»، فَإِنَّنَـا عَـادَةً مَـا نُـشير إِلى الـرُّوح اَلقُـدُس.

مِـن اَلمثِيـر لِلدَّهْشـة هُـو مـدى مَـا يحْويـه يَسُـوع فِـي لَقـب الـرُّوح اَلقُـدُس، وَعلَى وَجْـه اَلخُصـوص، مـدى مَـا يُعَلِّمنَـا بِـه عـن عَلاقَـة الـرُّوح اَلقُـدُس بِـه هُـو نَفسـه. وهنـاك اَلمزِيـد هُنَـا إِذَا ركَّزْنَـا علـى مَسْـأَلة مِـن يُرْسِـل الـرُّوح اَلقُـدُس. إِذ نَتَعلَّـم، تدْريجيًّـا، أنَّ يَسُـوع يَطلُـب مِـن اَلآب أن يُعْطِـي الـرُّوح اَلقُـدُس، وأنَّ اَلآب يُرْسِـله بِاسْـم يَسُـوع، وأنَّ يَسُـوع يُرْسِـل الـرُّوح اَلقُـدُس مِـن اَلآب، وأنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس يَنبَثِـق مِـن اَلآب. وَفِـي الإشـارة الأخيـرة، يَسـتطِيع يَسُـوع أن يَقُـول بِوضـوح: «أُرْسِـلُهُ إِلَيْكُـمْ»، دُون أن يَذكُـر اَلآب. كُلُّ هـذَا صحيـح فِـي نَفْـس الوقْـتِ، وَلكِـن مِـن الصَّعْـب وَضعُـه فِـي عِبـارة مُوجَـزَة؛ فالابْـن والـرُّوح اَلقُـدُس مُرْتبطـان بِطـرق عَدِيـدَة فِـي هَـذِه المفصلـة التَّاريخيَّـة الخلاصيَّـة حَيْـث اِكتمَـل عمـل اَلمسِـيح بِـشَكلٍ كَامِـلٍ ثُـمَّ يَأتِـي عمـل الـرُّوح اَلقُـدُس إِلـى الصَّـدارة.

تحقَّقَ مِن أجْلِنَا، وطُبِّقَ عَلينَا

إِنَّ العلاقـة بَيْـن الـرُّوح والابْـن مُهمَّـة لِلْغايـة لِفَهـم الـخلاَص. والسَّـببُ الرَّئِيسـيُّ هُـو أنَّ الـخلاَص نَفسَـه هُـو نَتِيجَـة إِرسَـال اَلآب لِهذيْـنِ الاثْنيْـنِ، الابْـن والـرُّوح اَلقُـدُس (غَلاطِيَّـة ٤: ٤-٧). وهكـذَا فَـإِنَّ هذيْـنِ المرْسـلين لاَ يقومَـان بِعَمـل الـخلاَص فحسْـب، بـل يطْبعَـان شـخْصيَّتيْهِمَا فِـي العمـل اَلـذِي يقومَـان بِـه. إِنَّ مَجَـال الـخلاَص بِأكْمَلـه مَبنِـيٌّ بِالطَّرِيقـة اَلتِـي يُنسِّـق بِهَـا اَلآب بَيْـن إِرْسـاليَّة الابْـن والـرُّوح اَلقُـدُس.[١٤] إِنَّهـا دِينامِيكيَّـة تَظهَـر فِـي كُلِّ جَوانِـب

14 Fred Sanders, *The Deep Things of God: How the Trinity Changes Everything* (Wheaton, IL: Crossway, 2016), chaps. 7, 8.
إِنَّني هنا أستخدم عبارة «تدبير الخلاص» لوصف هيكل الابن-الروح المتعلِّق بأعمال الله الخلاصيَّة.

السوتيريولوجيا Soteriology (عَقِيدَة لاَهُوت الخلاَص).

إِنَّ الـخلاَص لَـه بِنْيَـة أو نِظَـامٌ ثُلاَثِـيٌّ، وفهْـم هـذَا النِّظَـام هُـو أَمْـر بَالِـغ الأهمِّيَّـة بِالنِّسْـبة إِلَينَـا إِذَا أردْنَـا أن نُقـدِّر الـرُّوح اَلقُـدُس بِـشَكلٍ صحيـحٍ. تَذكَّـر الصِّيغـة الموْثوقـة مِن-خِلاَل-فِـي أنَّ الـخلاَص هُـو مِـن اَلآب، وَمِـن خِلاَل الابْـن، وَفِـي الـرُّوح اَلقُـدُس. على الرَّغْـم مِـن أنَّ جُـون أُون لاَ يَسـتخْدِم دائمًـا هَـذِه الصِّيغـة، إِلاَّ أَنَّـه يَتَتبَّـع نَفْـس الدِّينامِيكيَّـة بِالضَّبْـط فِـي الكلمـات اَلتِـي لاَحظْنَاهَـا سـابقًا، أَنَّـه عِنْدمَـا يُحقِّـق اَللَّـه الثَّالـوث اَلشـرِكة مَعنَـا، «فَـإِنَّ اَلآب يَفعَـل ذَلِـك مِـن خِلاَل السُّـلْطة الأَصْليَّـة؛ والابْـن مِـن خِلاَل إِيصَـال مَخـزُونٍ مُشْـترَى؛ والـرُّوح اَلقُـدُس مِـن خِلاَل الفعَّاليَّـة المباشـرة».[١٥] إِنَّ حَركَـة عمـل اَللَّـه الخلاصـيِّ غَيْـر المنْفصـل تَنبُـع مِـن اَلآب كمصْـدر لَهَـا، مِـن خِلاَل الابْـن كمـن يُتمِّـم العمـل، وتنْتَهـي فِـي الـرُّوح اَلقُـدُس اَلـذِي يُطَبِّقـه علَيْنَـا. إِنَّنـا نُحَـاوِل أن نُركِّـز اِنْتباهنَـا علـى الـرُّوح اَلقُـدُس مِـن خِلاَل تَتبُّـع العلاقـة بَيْـن الابْـن والـرُّوح اَلقُـدُس، لِذَلـك مِـن اَلمفِيـد بِـشَكلٍ خـاصٍّ أن نَقُـول اَلمزِيـد عـن العلاقـة بَيْـن الـخلاَص اَلـذِي تَحقَّـق فِـي الابْـن والْـخلاص اَلمُطبَّـق فِـي الـرُّوح اَلقُـدُس. يَصفُهـا هِرْمَـان بافنـك Herman Bavinck (١٨٥٤-١٩٢١) بِهَـذه الطَّريقـة:

> لاَ يُوجَـد مَجَـال لِنظـام الـخلاَص بِالْمعْنى الكتابيِّ والْمسيحيِّ والْمُصْلـح إِلاَّ علـى أَسَـاس إِقـرَار الإيمـان الثَّالوثـيِّ. أَوَّلاً،

15 John Owen ,*Communion with the Triune God* , ed. Kelly M. Kapic and Justin Taylor (Wheaton, IL: Crossway, 2007), 104.
إِنَّ كِتَاب أُون بِأَكْمَله يَدُور حَوْل طَبِيعَة هَذِه اَلشرِكة، وَلَكنَّه يُحَدِّدهَا بِإِيجَاز فِي الصَّفْحة ٩٤ على أَنَّهَا «تَوَاصُل اَللَّه مَعنَا مِن خِلاَل عَودتِنَا إِلَيه بِمَا يتطلَّبه ويقْبَله، وَالذِي يَنبُع مِن ذَلِك الاتِّحاد اَلذِي لَدينَا معه فِي يَسُوع اَلمسِيح».

يَنـدَرِج مِـن هـذَا الإقْـرار أنَّ تَطبِيـق الـخلاَص يَختَلِـف عـن اِكْتسـابه. فالـرُّوح اَلقُـدُس، كمَـا نَعلَـم، مـع أَنَّـه وَاحِـد فِـي اَلْجَوهـر مـع اَلآب والابْـن، فَهُـو مُتَمايِـزٌ عَنهُمـا كشـخْصٍ. ولديْـه طريقَتـه الخاصَّـة فِـي اَلوُجـود، وأسْـلوبه اَلْخـاصُّ فِـي العمـل. وَعلَـى الرَّغْـم مِـن أَنَّـه مِـن اَلصحِيـح أنَّ جميـع الأعْمـال الخارجيَّـة لِلَّـه [*opera Dei ad extra*] هِـي غَيْـر مُنقسـمَة ولاَ مُنفصلَـة، وَلكِـن فِـي اَلخلـق والتَّجْديـد يُمْكننَـا مـع ذَلِـك أن نُلاَحِـظ تدْبيـرًا يُعْطينَـا اَلحَـقَّ فِـي التَّحَـدُّث عـن اَلآب فِـي خلقنَـا، والابْـن فِـي فِدائِنَـا، والـرُّوح اَلقُـدُس فِـي تقْديسـنَا.[١٦]

عِنْدمَـا نُركِّـز علـى تَمايُـز الـرُّوح اَلقُـدُس، فَإِنَّنَـا نـرى كَيْـف أنَّ «تَطبِيـق الـخلاَص يَختَلِـف عـن اِكْتسـابه». وَلكَـي نَقُـول ذَلِـك بِأبْسـط طَرِيقَـة مُمْكِنـة، فَإِنَّنَـا نَنسُـب تَحقِيـق الـخلاَص إِلـى الابْـن، ونَنْسُـب تَطبِيـق الـخلاَص إِلـى الـرُّوح اَلقُـدُس. وَهـذَا يُسـاعدنَا علـى سَـمَاع دِينامِيكيَّـة الـخلاَص ذات النَّبْضتيْـنِ (التَّحْقيـق والتَّطْبيـق) بِاعْتبارهَـا صـدًى لِعلاقـة الابْـن بِالـرُّوح. أو، كمَـا يَقُـول بافنـك، فَإِنَّنَـا نَبنِـي نِظَـام الـخلاَص «علـى أَسَـاس إِقـرَار الإيمـان الثَّالوثـيِّ».

إِذَا كان هـذَا الأمْـر يَبـدُو جديـرًا بِالْعنـاء، فَذلِـك لِأَنَّـه جديـر بالعنَـاء بِالْفِعْـل. إِنَّ إِدرَاك مَكانَـة الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي الفـدَاء يَجمَـع كُلَّ شَـيْءٍ معًـا، مِـن عُلُـوِّ الثَّالـوث إِلـى اِتِّسـاع الـخلاَص الكامـل. تُعتَبَـر نَظـرَة جُـون مُـوراي John Murray العامَّـة الكلاسـيكيَّة علـى

16 Herman Bavinck ,*Sin and Salvation in Christ* , vol. 3 ,*Reformed Dogmatics* , ed. John Bolt, trans. John Vriend (Grand Rapids, MI: Baker Academic, 2006), 569–70.

السُّـوتيريولوجيا البروتسْـتانْتيَّة الـواردة فِـي كِتَـاب *Redemption Accomplished and Applied*، مِثـالاً مُختصَـرًا وَذاخِـرًا.[١٧] وَلكِـن كَانَـت هُنَـاك أيْضًـا بَعْـض المَشـروعَات الأكْبـر حجْمًـا اَلتِـي تَتَعقَّـب الحركتيْـنِ فِـي مُجلدَيـن مُتتالييْـنِ. كَـرَّس جُـون فليفـل *John Flavel* (١٦٢٧–١٦٩١) كِتابًـا بِعنْـوَان *The Fountain of Life* لِلْـخلاَص المتحقِّق فِـي اَلمسِـيح، وكتَابًـا ثانيًـا بِعنْـوَان *The Method of Grace* عن الرُّوح اَلقُـدُس. ولإزالـة كُلِّ الشُّـكوك، فَـإِنَّ العنْـوان الكامـل لِلْكتَـاب الثَّانـي هُــو *The Method of Grace in the Holy Spirit's Applying to the Souls of Men the Eternal Redemption Contrived by the Father and Accomplished by the Son*، وَالـذِي يَعنِـي طَرِيقَـة النِّعْمـة فِـي تَطبِيـق الـرُّوح اَلقُـدُس الفـدَاء الأبَـديَّ اَلـذِي خَطَّـط لَـه اَلآب وَأَتمَّـه الابْـنُ على نُفُـوس البشـر.[١٨] مُؤَخَّـرا، كتـب رُوبـرت بِيترسـن Robert Peterson مُجلَّدَيـن بِعنْـوَان *Salvation Accomplished by* the Son *and Salvation Applied by the Spirit*،[١٩] وَكمَـا يَتَّضِـح بِسـهولة

17 John Murray, *Redemption Accomplished and Applied* (1955; repr., Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2015).

18 John Flavel, *The Fountain of Life Opened Up, or, A Display of Christ in his Essential and Mediatorial Glory* , vol. 1, *The Whole Works of John Flavel* (London: W. Baynes & Son, 1820).

نُشر الكتاب الثاني تحت عدَّة عناوين مختلفة، ولكنَّني أعطيت النسخة الأكثر وضوحًا من الكتاب: *The Method of Grace in the Holy Spirit's Applying to the Souls of Men the Eternal Redemption Contrived by the Father and Accomplished by the Son* (London: Religious Tract Society, 1875).

وقد طُبع أيضًا تحت عنوان:

The Method of Grace in Bringing Home the Eternal Redemption, Contrived by the Father, and Accomplished by the Son, through the Effectual Application of the Spirit unto God's Elect (London: Thos. Parkhurst, 1699).

19 Robert A. Peterson, *Salvation Accomplished by the Son: The Work of Christ* (Wheaton, IL: Crosway, 2012); and *Salvation Applied by the Spirit: Union with*

مِـن العنْـوان، فَهُـو يُعَالِـج النُّقْطـة المتعلِّقـة بِالْعلاقـة بَيْـن الابْـن والـرُّوح ويوفِّـر مجـالاً واسـعًا لِاسْتكْشـاف مـلْء الـخلاَص.

وَلكِـن بِالْإضافـة إِلـى كَونِـه مُفيـدًا لِاسْتكْشـاف النِّطَـاق والْبنْيـة الكاملـة الـخلاَص، وبالتَّالـي صلاحيَّتـه لِأن يكُـون دلـيلاً دائمًـا لِمعلِّمـي اللاَّهـوتِ، فَـإِنَّ عَلاقَـة الابْـن بِالـرُّوح لَهَـا أيْضًـا قَيمَـة رُوحيَّـة مُبَاشـرَة، فِـي مَـا قـد نُسَـمِّيه وضْعًـا حيويًّـا أَكثَـر. وبعبـارة سَـلبِيَّة، إِذَا اِرْتكبْنَـا خطـأً فِـي فَهْـم بِنْيَـة الـخلاَص القائمـة علـى الابْـن والـرُّوح اَلقُـدُس، فَإِنَّنَـا نَتعـرَّض لِخَطـر سُـوء فَهْـم مَـا هُـو الـخلاَص بِرمَّتـه. المثَـال الحاسـم اَلـذِي يَجِـب أَخـذُه فِـي الاعْتبـار هُـو التَّمْييـز بَيْـن التَّبْريـر والتَّقْديـس. وقـد عَبَّـر جُـون وسْـلِي John Wesley عـن الأمْـر بِهَـذه الطَّريقـة فِـي عِظَتـه الكلاسـيكيَّة «التَّبْريـر بِالْإيمـان». إِنَّ التَّبْريـر هُـو أن يُحسَـب الإنْسـانُ بَـارًّا، وَلكِـن لَيْـس «أن يُصْبِـح بَـارًّا وَصالِحًـا بِالْفِعْـل». يَقُـول وسْـلِي إِنَّ «التَّقْديـس هُـو فِـي الواقـع إِلـى حـدٍّ مَـا الثَّمَـرة المباشـرة لِلتَّبْريـر؛ وَلَكنَّـه مـع ذَلِـك عَطيَّـة مُمَيَّـزَة مِـن اَللَّـه، وَذَات طَبِيعَـة مُختلفَـة تمامًـا». هـذَا هُـو اللاَّهـوتُ البروتسْـتانْتيُّ القياسـيُّ والْأصيـل. وَلكِـن وسْـلِي يُؤَسِّـس ذَلِـك التَّمْييـز بَيْـن التَّبْريـر والتَّقْديـس علـى العلاقـة بَيْـن الابْـن والـرُّوح اَلقُـدُس: «فـالْأَوَّل يُشـير إِلـى مَـا يفْعلـه اَللَّـه لَنَـا مِـن خِلاَل اِبْنِـه؛ والثَّانـي يُشـير إِلـى مَـا يعْملـه فِينَـا بِروحـه».[٢٠] إِنَّنـا بِحاجـة إِلـى كِلَيْهِمَـا بِالطَّبْـع، وَكَان وسْـلِي مَشـهُورًا بِإِصْـراره علـى أَنَّ اَلمُخلِّـص نَفسَـه اَلـذِي يُبـرِّر المؤْمنيـن لَـن يُخْفِـق فِـي تَقدِيـس المؤْمنيـن. فِـي

Christ (Wheaton, IL: Crossway, 2014).

20 John Wesley, "Justification by Faith," in *The Standard Sermons* (Toronto: William Briggs, 1881), 45.

الواقـع، كُلُّ مُؤْمِـن مُبـرَّر هُـو أيْضًـا مَولُـود مِـن جديـد، والتَّجْديـد هُـو نَـوْع مِـن «التَّقْديـس اَلْأَوَّلـيِّ»، وَهُـو تَغييـر حَقيقِـيٌّ يَحـدُث فِينَـا بِواسِـطة الـرُّوح اَلقُـدُس.[٢١] وَلكِـن على الرَّغْـم مِـن كُلِّ حَماسِـه بِشَـأن التَّقْديـس، كان وسْـلِي يَعلَـم أَنَّـه يَجِـب أن يَبقَـى خارجًـا عـن عمـل التَّبْريـر.

لَقـد أَوضَـح جِيمْـس بُوكانـان (١٨٠٤-١٨٧٠) هَـذِه النُّقْطـة بِوضـوح كمَـا لَـم يَفعَـل أيُّ شَـخْصٍ آخـر، فِـي مُحَاضـرَة بِعنْـوَان «التَّبْريـر: علاقَتـه بِعَمـل الـرُّوح»:

> رُبَّمَـا لاَ يُوجَـد خطـأ أَكثَـر دِقَّـة أو معْقوليَّـة، فِـي مَوضُـوع التَّبْريـر، مِـن الخطـأ اَلـذِي يجْعلـه يَعتَمِـد علـى اَلوُجـود السَّـاكن، والْعَمـل اَلمِلـيء بِالنِّعْمـة اَلـذِي يَقُـوم بِـه الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي القلْـب. إِنَّـه شَكْل فريـد مِـن نَوعِـه مِـن المعارضة لِعقيـدة التَّبْريـر بِمقْتَضـى بـرِّ اَلمسِـيح المُحْتسـب، لِأَنَّـه بِبسـاطة يَسـتبْدِل عمـلَ شَـخْصٍ إِلَهـيٍّ بِعَمـل شَـخْصٍ آخـر... لاَ يُوجَـد شَـيْء غَيْـر كِتابـيٍّ أَكثَـر فِـي حـدِّ ذَاتِـه، أو أَكثَـر إِضْـرارًا لِأَرْوَاح البشـر، مِـن اِسْـتبْدال عمـل الـرُّوح اَلقُـدس بِالنِّعْمـة فِينَـا، بِعَمـل اَلمسِـيح النِّيابـيِّ مِـن أَجلِنـا، كَأَسـاس لِمغْفرتنَـا وقبولنَـا لَـدى اَللَّـه.[٢٢]

قـد يَبـدُو الفـرْق بسـيطًا، لَكِـنَّ نتيجَتـه فِـي الحيَـاة الرُّوحيَّـة

21 Sanders, *Wesley on the Christian Life: The Heart Renewed in Love* (Wheaton, IL: Crossway, 2013), 77–79.

22 James Buchanan, *The Doctrine of Justification: An Outline of Its History in the Church, and of its Exposition from Scripture, with Special Reference to Recent Attacks on the Theology of the Reformation* (Edinburgh: T&T Clark, 1867), 387–88.

لِلْمؤمـن مُذْهِلـة. إنَّ اَلثقَـة بِأنَّنَـا مُبـرَّرون ومقْبولـون أَمَـام اَللَّـه بِفَضـل مَـا حَقَّقَـه الابْـن يَعنِـي أَنَّنَـا نَبتَعِـد عـن أَنفسِـنا ونَنْظـر إِلـى عَملِـه خارجنَـا ونيابـةً عَنَّـا. وَلكِـن أن نَتَصـوَّر أَنَّنَـا مُبـرَّرون بِفَضـل عمـل اَللَّـه فِينَـا فَهـذَا يَعنِـي أَنَّنَـا نَبتَعِـد عـن عمـل الابْـن الخارجـيِّ ونَنْظـر إِلـى قُلوبِنَـا. فَحتَّـى لَـو كان مَـا نَبحَـث عَنْـه فِـي قُلوبِنَـا لَيْـس هُـو أعْمالنَـا الخاصَّـة، بـل عمـل الـرُّوح اَلقُـدُس المعْجـزيُّ والْمغيِّـر كُلِّيًّـا، فَإِنَّنَـا نُصْبِـح فِـي اِرتِبـاك عميـق. يُمْكننَـا أن نَخلِـط اَلأُمـور أَكثَـر عِنْدمَـا نُفكِّـر فِـي العمـل الدَّاخلـيِّ علـى أَنَّـه حُلُـول اَلمسِـيح فِينَـا، أيْ اَلمسِـيح فِـي قُلوبِنَـا، وبالتَّالـي نَجعَـل الأمْـر يَبـدُو وَكَأَنَّنَـا «نَثِـق بِاَلمسِـيح» مِـن أَجْـل التَّبْريـر. لَكِـنَّ مَعنَـى اَلثقَـة بِاَلمسِـيح فِـي العهْـد اَلجدِيـد وَاضِـح، ومتوافـق بِـشَكلٍ وَاضِحٍ مـع دِينامِيكيَّـة الابْن والـرُّوح اَلقُـدُس. إذ يَعلَـم بُولُـس أنَّ اَلمسِـيح يَحيَـا فِيـه (غَلاطِيَّـة ٢: ٢٠)، لَكِـنَّ «إِيمانـه بِابْـن اَللَّـه» هُـو أنَّ الابْـن أَحبَّـه (فِـي الماضـي، مُشـيرًا إِلـى حـدث حَاسِـم تـمَّ خَـارِج بُولُـس) وَأَسْـلَمَ نَفْسَـهُ لأَجْلـه.

«وَلهَـذِه الأسْـباب»، كمَـا يَقُـول بُوكانـان، «مِـن الأهمِّيَّـة العمليَّـة اَلقُصـوى أن نَفهَـم بِـشَكل صحيـح كُلاًّ مِـن عمـل اَلمسِـيح اَلوسِـيط، والْعَمـل الدَّاخلـيِّ لِروحـه، فِـي العلاقـة اَلتِـي تَرْبطهمَـا بِبعْضهمَـا البعْـض، فِـي ظِـلِّ مُخطَّـط النِّعْمـة والْفـداء».[٢٣] لاَ يَسـتبْعِد بُوكانـان الـرُّوح اَلقُـدُس تمامًـا مِـن عَقِيـدَة التَّبْريـر، وَكَأَنَّـه يُؤجِّـل عَملَـه حَتَّـى عَقِيـدَة التَّقْديـس. لاَ، بـل «إِنَّ عمـل الـرُّوح اَلقُـدُس ضَـرورِيٌّ لِتبْريرنَا مثـل عمـل اَلمسِـيح نَفسـه؛ وَلَكنَّـه لَيْـس ضَرورِيًّـا لِنَفـس الأسْـباب،

23 Buchanan, *Doctrine of Justification* , 388.

ولاَ هُـو فَعَّـال لِنَفـس الغايـات».[٢٤] إِنَّ عمـل الـرُّوح اَلقُـدُس ضَـرورِيٌّ لَيْـس كَأَسـاسٍ لِلتَّبْريـر، وَلكِـن (وَهـذَا لَيْـس مُفاجِئًـا) بِطريقـة تطْبيقيَّـة مُحَـدَّدَة. إِذ لاَ يتبـرَّر أحـد دُون أن يُطبِّـق الـرُّوح اَلقُـدُس عمـلَ اَلمسِـيح عليْـه؛ والاعْتقـاد بِـأنَّ مِثْـل هـذَا الشَّـيْء مُمْكِـن سَـيكُون بِمثابـة خَفْـض الإيمـان الخلاصـيِّ إِلـى مُسـتَوَى العمـل البشَـريِّ المحْـض (الأفْكار الصَّحيحـة، أو المشـاعر الصَّحيحـة، أو القـرَار اَلقَـوِيُّ بِمَـا فِيـه الكفايـة) بـدلاً مِـن أن يكُـون عمـل اَللَّـه.[٢٥]

وبعْـد أن رأيْنَـا أَهَمِّيَّـة أن نَتَعلَّـم التَّمْييـز بَيْـن عمـل الابْـن وَعمَل الـرُّوح اَلقُـدُس، يَنبَغِـي لَنَـا أيْضًـا أن نَعُـود لِنؤكِّـد أَهَمِّيَّـة أنَّ هذيْـنِ الشَّـيْئيْنِ، علـى الرَّغْـم مِـن كَونهِمـا مُتمايزيـن، فإنَّهُمـا لاَ ينْفـصلان. فِـي عـام ١٥٨٩، تَبـادُل جُـون كَالفِـن الرَّسـائل مـع الكارْدينـال جَاكوبـو سـادوليتو Jacopo Sadoleto حَـوْل طَبِيعَـة تَعالِيـم الإصْلاح بِشَـأن الـخلاَص. رَفَـع سـادوليتو دَعـوَى قَضائِيَّـة كاثوليكيَّـة رُومانيَّـة ضِـدَّ البروتسْـتانْتِ. وَزعَـمَ أنَّ المُصْلحيـن «بِإِسْـنَاد كُلِّ شَـيْء إِلـى الإيمـان، لَـم يَترُكـوا مجـالاً لِلْأَعْمـال». وَيصِـل ردُّ كالفـن إِلـى ذُرْوتـه عِنْدمَـا يَطـرَح هَـذِه النُّقْطـة: إِنَّ وَحـدَة الحيَـاة المسـيحيَّة تَشـمَل

24 Buchanan, *Doctrine of Justification* , 392.

٢٥ إِنَّ وُجهَة نظر بُوكانان هِي وُجهَة نظر بُروتسْتانْتيَّة لِلْغاية. ويجادِل أيْضًا البروتستانتُ الآخرون، مِن الفرَق غَيْر المُصْلحة، بِالطَّرِيقة نفْسهَا تمامًا. لِنسْخة إِنْجليكانيَّة أكثَر عُدْوانيَّة فِي الجدل ضِدَّ السُّوتيريولوجيا الكاثوليكيَّة، اُنظُر:

E. A. Litton, who says in his *Introduction to Dogmatic Theology,* (Cambridge, UK: James Clarke, 1960), 281.

اَلذِي يَقُول «إِنَّ العقيدة الرُّومانيَّة تَخلِط بَيْن وَظائِف الشَّخْص الثَّانِي والثَّالِث مِن الثَّالوث الأقْدس [...] فِي الوظائف اَلتِي يُؤَدِّيهَا كُلٌّ وَاحِدٍ مِنهَا فِي تدْبيرات النِّعْمة». أيْضًا يُحذِّر

William Burt Pope, *A Compendium of Christian Theology* (London: Wesleyan Conference Office, 1877), 2:449, 451.

مِن أنَّ اَلكثِير مِن الأدبيَّات التَّعبُّديَّة مُصَابَة «بِفكْرة أنَّ اَلمسِيح السَّاكن فِينَا هُو السَّبب اَلرسْمِيُّ لِتبْريرنَا»، وأنَّ «كُلَّ خطأ تقْريبًا فِي هذَا المَوْضوع هُو تَفاوُت بسيط عن هذَا الرَّأْي».

الإيمـان والْأعْمـال، لِأَنَّهَـا مَبنِيَّـة علـى وَحـدَة عمـل اَلمسِيح والـرُّوح اَلقُـدُس، وَالتِـي هِـي مَبنِيَّـة علـى وَحـدَة اَللَّـه الثَّالـوث الأقْـدس. وَهُـو يَصُـوغ الأمْـر هَكـذَا: إنَّنَـا نُنْكِـر أنَّ الأعْمـال الصَّالحـة لَهَـا أيُّ نصيـب فِـي التَّبْريـر، وَلَكنَّنَـا نَدَّعِـي السُّـلْطة الكاملـة لَهَـا فِـي حَيَـاة الصَّالحيـن. لِأَنَّـه إِذَا كان مـن قـد نـال التَّبْريـر يَملِـك اَلمسِيح، وَفِـي نَفْـس الوقْـتِ لاَ يَكُـون اَلمسِـيح أبـدًا حَيْـث لاَ يَكُـون رُوحُـه، فَمِـن الواضـح أنَّ اَلبـرَّ المجَّانـيَّ مُرْتَبِـط بِالضَّـرورة بِالتَّجْديـد. لِذَلـك، إِذَا كُنْـت تُريـد أن تَفهَـم جيِّـدًا كَيْـف أنَّ الإيمـان والْأعْمـال لاَ ينْفـصلان، فانْظـر إِلـى اَلمسِيح، اَلـذِي، كمَـا يَعلِّـم الرَّسـول (كُورنثـوس اَلأُولـى ١: ٣٠)، قـد أُعطـيَ لَنَـا لِلتَّبْريـر والتَّقْديـس. فَحَيثمَـا يَكُـون بِـرُّ الإيمـان اَلـذِي نَعتبِـره مَجَّانِيًّـا، فهنـاك اَلمسِيح أيْضًـا؛ وحيْـث يكـون اَلمسِيح، هُنَـاك أيْضًـا رُوح القداسـة اَلـذِي يُجـدِّد النَّفْـس إِلـى حَيَـاة جَدِيـدَة. وَعلَـى العكْـس مِـن ذَلِـك، حَيْـث لاَ يَكُـون هُنَـاك حَماسَـة لِلنَّزاهـة والْقداسـة، فلاَ يَكُـون هُنَاك رُوح اَلمسِيح ولاَ اَلمسِيح نَفسَـه حاضـرًا. وحيْـث لاَ يَكُـون اَلمسِـيح، لاَ يُوجَـد بِـرٌّ، بـل ولاَ يُوجَـد إِيمَـانٌ أيْضًـا؛ لِأَنَّ الإيمـان لاَ يَسـتطِيع أن يُمْسِـك بِالْمسـيح بِـرًّا مـن دون رُوح التَّقْديـس.[٢٦]

فِـي الفقْـرة التَّاليـة، يَربُـط كالْفـن حُجَّتـه الكريسْـتولوجيَّة والنِّيوماتولوجيَّـة بِمحبَّـة واخْتيـار اَللَّـه اَلآب، مِمَّـا يَجعَـل اَلحُجَّـة الثَّالوثيَّـة وَاضِحـة وَكامِلـة. فَوُجهَـة نَظـرِه هِـي أنَّ وَحـدَة عمـل الثَّالـوث فِـي الـخلاَص تَسـتلْزِم وَحـدَة التَّبْريـر مِـن خِلاَل الإيمـان والتَّقْديـس اَلـذِي يُمكِّـن مِنْـه الـرُّوح. إِنَّ الإيمَـان والْأعْمـال الصَّالحـة

26 John Calvin and Jacopo Sadoleto ,*A Reformation Debate* , ed. John C. Olin (Grand Rapids, MI: Baker, 1966), 62.

يسيرَان معًا لِأنَّ اَلمسِيح والرُّوح اَلقُدُس يسيرَان معًا فِي إِرْساليَّة اَلآب.[٢٧]

العَلاقة السَّرْمديَّة بَيْن الرُّوح اَلقُدُس والابْن

اِنتهَى فَصلُنا السَّابق، عن الرُّوح والآب، بِتأمُّلات بشأن العلاقة السَّرْمديَّة بَيْن الشَّخْصيْنِ الأوَّل والثَّالث فِي الثَّالوث. اِسْتنْتجْنَا أنَّ اَلآب يُرْسِل رُوح اَلموْعِد فِي مِلْء الزَّمَان، لِأنَّ الرُّوح اَلقُدُس يَنبَثِق أَبدِيًا مِن اَلآب فِي أَعمَاق الثَّالوث. وَيجِب علَيْنَا أن نَختَتِم هذَا الفصْل على نَحْوٍ مُمَاثِلٍ، بِالتَّأمُّل فِي العلاقة السَّرْمديَّة بَيْن الابْن والرُّوح اَلقُدُس. وَكمَا رأَيْنَا لِلتَّوِّ، فَإِنَّ اَلكثِير يَعتَمِد على العلاقة وَكذَا التَّمايز بَيْن هذيْنِ الشَّخْصيْنِ غَيْر المنْفصلين فِي تَارِيخ الخلاَص. مَا هِي أُسُس عَلاقَة الخلاَص التَّاريخيَّة؟ مَاذَا يُمْكننَا أن نَقُول عن الأعْماق السَّرْمديَّة لِعلاقة الرُّوح اَلقُدس بِالابْن؟

لِنبْدأ بِنظْرة سَرِيعَة على الشَّكْل ٢-١ (ص ٥٦)، يُمْكننَا أن نَقُول إِنَّ هُنَاك عَلاقَة أَبدِيَّة دَاخلِيَّة بَيْن الابْن والرُّوح. لَكِنَّ الشَّكْل يُشير فقط إِلى أَنَّهُم أَشخَاص فِي عَلاقَة؛ ولاَ يُعْطِي تِلْك العلاقة أيَّ مُحْتوًى. وَبَينمَا نَقُوم بِالتَّثْليث، يُمْكننَا أن نُضيف أنَّ الابْن والرُّوح اَلقُدُس كِلاهمَا مُرْتبطان بِالآب. فالابْن يَأتِي مِن اَلآب كَكلِمة والرُّوح كَنسمَة. وهاتَان طريقتَان مُخْتلفتَان لِلْوجود

٢٧ للتعليق على هذا القسم من محاورات كالفن-سادوليتو، انظر:
Michael Reeves, *Delighting in the Trinity: An Introduction to the Christian Faith* (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2012), 88–90.

مِـن اَلآب، مِمَّـا يُسـاعدنَا علـى فَهْـم أنَّ الابْـن والـرُّوح اَلقُـدُس لَيسَـا قَابِلِيـن لِلتَّبـادل أو ليْسَـا بِلاَ تَمايُـز. يُمْكننَـا دائمًـا التَّمْييـز بيْنهمَـا علـى الأقـلِّ مِـن خِلاَل الطَّريقتيْـنِ المتمايزتيْـنِ اللَّتَيْـنِ يأْتيَـان بِهمَـا مِـن اَلآب. هـذَا مُهِـمٌّ! وَلكِـن بِصَـرف النَّظـر عـن علاقاتهمَـا الخاصَّـة مـع الشَّـخْص الأوَّل نَفسـه، هـل لَديهمـا أيْضًـا عَلاقَـة مُبَاشـرَة، إِذَا جـاز التَّعْبيـر، بَعضُهمـا بِبَعـض؟

بِالطَّبْـع، ويمْكننَـا أن نُـدْرِك طَابَـع تِلْـك العلاقـة بِعـدَّة طُـرُق. فَكِّـر أوَّلاً فِـي صُـورَة التَّنَفُّـس اَلتِـي يُقَدِّمهَـا لَنَـا الكتَـاب اَلمُقـدَّس. وقـد زعـم إِيرينـاوس أُسـقُف لِيـون، علـى أَسَـاس هَـذِه الصُّـور، أنَّ «اَللَّـه لَفظِـيٌّ» وَروحِـيٌّ أيْضًـا، أيْ أَنَّـه يَتَنفَّـس؛ فـالْآب لَديْـه بِطبيعتـه كُلُّ مِـن اَلكلِمـة والنَّسـمة. اِسْـتنادًا إِلـى مَجمُوعـة وَاسِـعة مِـن الإشـارات الكتابيَّـة (بِمَـا فِـي ذَلِـك المزْمـور ٣٣: ٦، «بِكَلِمَـةِ الـرَّبِّ صُنِعَـتِ السَّـمَاوَاتُ، وَبِنَسَـمَةِ فِيـهِ كُلُّ جُنُودِهَـا»)، أَشَـار إِيرينـاوس إِلـى أنَّ اَلكلِمـة والنَّسـمة لَهمَـا عَلاقَـة مُتَأصِّلَـة بعْضهمَـا بِبَعـض. «إِنَّ الـرُّوح يُبيِّـن اَلكلِمـة»، و«اَلكلِمـة تُعبِّـر عـن الـرُّوح».[٢٨] وقـد شـرح يُوحنَّـا الدِّمشْـقيُّ هَـذِه الصُّـورة بِالتَّفْصيـل عِنْدمَـا شـرح شَـخْص الـرُّوح اَلقُـدُس:

> وبالْإضافـة إِلـى ذَلِـك، فَمِـن الضَّـروريِّ أن تَكُـون لِلْكلِمـة أيْضًـا رُوحٌ. لِأنَّ كَلاَمَنَـا أيْضًـا لَيْـس خاليًـا مِـن النَّفَـس. فِـي حَالتِنـا فقـط يَكـون التَّنَفُّـس شـيْئًا مُخْتلِفًـا عـن جَوهرِنـا. فَهُـو سَـحْب وإِخْـرَاج اَلْهَـواء اَلـذِي يَتِـمُّ اِسْتنْشـاقه وزفيـره

28 Irenaeus of Lyons, *On the Apostolic Preaching* (Crestwood, NY: St. Vladimir's Seminary Press, 1997), 43.

لِمعيشة الجسد. أَمَّا فِي حَالَة التَّكَلُّم بِصَوتٍ عالٍ يُصْبِح هذَا نُطْقًا بِالْكلام، لِأَنَّه فِي ذَلِك الفعْل تَظْهَر قُوَّة الكلاَم. وَأَمَّا الطَّبيعة الإلهيَّة فَهِي بَسِيطَة وغيْر مُرَكَّبَة... فليْس صحيحًا أن نَعتَبِر الرُّوح شيْئًا غريبًا يَأتِي إِلى اَللَّه مِن خَارِجِه، كمَا هُو اَلْحال بِالنِّسْبة إِلَيْنَا نَحْن الكائنات المركَّبة.[٢٩]

إِذَا أَخذَت تِلْك الصُّور حرْفيًّا، فَيمكِنك تَخيُّل الأمْر. فعنْدَمَا يَتَواصَل النَّاس، يكُون مَا يَخرُج مِن أفْواههم هُو قُوَّة أنْفاسهم، وَمِن خِلاَل النُّطْق اَلمُشكِّل لِجهازهم اَلصوْتِيِّ، تَخرُج اَلكلِمة. إِذَا قُمْت بِتكْوِين كَلمَة بِلسانك وشفتَيْك دُون نَفَس، فلن يَخرُج أيُّ صَوْت على الإطْلاق (النُّطْق دُون إِظهَار). وَإِذَا قُمْت بِإِخْرَاج الصَّوْتِ مِن أحْبالك الصَّوْتيَّة دُون إِضافة شَكْل مُحدَّد إِلَيه، فَإِنَّ كُلَّ مَا يَنتِج هُو الضَّوْضاء (الإظْهار دُون النُّطْق). أَمَّا فِي التَّعْبير النَّاجح عن الذَّات، تُعبِّر اَلكلِمة عن النَّسَمة، والنَّسَمة تُوضِّح اَلكلِمة. وَنَتيجَةً لِذَلك، فَإِنَّ المُسْتمع يَعرِف مَا يقوله المتحدِّث، وَيعرِف أيْضًا شيْئًا آخر؛ أَنَّه قَبْل أن يَتكلَّم، كَانَت هُنَاك كَلمَة فِي ذِهْن المتحدِّث، وَنسمَة فِي رِئتَيْه. وَهذِه إِحْدى الطُّرق لِإِدْرَاك العلاقة السَّرْمديَّة بَيْن الرُّوح اَلقُدس والابْن.[٣٠] فهُما

29 John of Damascus, *On the Orthodox Faith* (Crestwood, NY: St. Vladimir's Seminary Press, 2022), 69.

وَكمَا يُشير المترْجِم نُورْمَان راسل، «إِنَّ اَللعِب بِالْألْفاظ فِي اَللغَة اليونانيَّة مُهِمٌّ»، لِأَنَّ نَفْس اَلكلِمة *pneuma* يُمْكِن أن تَعنِي كُلاًّ مِن الرُّوح والنَّسمة. والْمعْنى المزْدوج الموْجود بِالْفِعْل فِي العهْد اَلجدِيد قد يُفسِّر سبب تَطوِير الآبَاء اليونانيِّين لِصورة النَّفَس بِشَكل أكثَر اِتِّساقًا.

٣٠ فِي التَّشْبيه، بِطبيعة اَلْحال، يَتِمُّ فَصْل النَّسمة والْكلمة فِي أَثْنَاء وُجودهمَا دَاخِل المتحدِّث، ولاَ يجْتمعان إِلاَّ عِنْد حُدُوث الكلاَم. وَهذَا هُو حيود التَّشْبيه، حَيْث يَتَوقَّف التَّشْبيه هُنَا عن العمل. إِنَّ التَّفْسير المَاهر لِتلْك الصُّور يَعنِي دائمًا تَعلُّم أَخْذ الصُّور حرْفيًّا بِمَا يَكفِي.

يأْتِيَـان إِلَيْنَـا فِـي إِرْسَـالِيَّتَيْنِ مُرْتبطتيْـنِ دَاخِلِيًّـا بَعضُهمـا بِبَعـضٍ، وموجَّهتيـنِ بعْضهمَـا نَحْـو بَعْـض، ومشْـروطتيْنِ بِـشَكلٍ مُتَبـادَلٍ، لِأَنَّهمَـا كشـخْصَيْنِ فِـي الحيَـاة الإلهيَّـة السَّـرْمديَّة، كَانَـا بِالْفِعْـل فِـي عَلاقَـة وَشـرِكة بَعضهِمـا بِبَعـضٍ.

يَسْـتخْدِم يَسُـوع صُـورَة التَّنَفُّـس هَـذِه لِلـرُّوح اَلقُـدُس بِطريقـة مُدْهِشـة؛ يُمْكننَـا أن نَقُـول إِنَّـه يجْعلهَـا خَاصَّـة بِـه. وبعْـد قِيامَتـه ظهـرَ لِتلاميـذه مُعْلِنًـا عَليهِـم سلامًـا ومظْهِـرًا لَهُـم جِراحاتـه. «فَقَالَ لَهُـمْ يَسُـوعُ أَيْضًـا: ‹سَلاَمٌ لَكُـمْ! كَمَـا أَرْسَـلَنِي الآبُ أُرْسِـلُكُمْ أَنَـا›. وَلَمَّـا قَـالَ هـذَا نَفَـخَ وَقَـالَ لَهُـمُ: ‹اقْبَلُـوا الـرُّوحَ الْقُـدُسَ›» (يُوحنَّـا ٢٠: ٢١-٢٢). عِنْدمَـا كَلَّـف يَسُـوع القائـم الرُّسـل، كَانَـت نَسـمَة أَنْفاسـه هِـي نَسـمَة اَللَّـه. إِنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس يَخـرُج مِنْـه إِلـى حَيَـاة الكنيسـة. يَشـرَح أَنسِـلم أُسـقُف كانتربـري Anselm of Canterbury (١٠٣٣-١١٠٩) هـذَا اَلمَقطـع قـائلاً: «لَقـد فعـلَ اَلـرَّبُّ هـذَا حَتَّـى نَفهَـم أَنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس يَنبَثِـق مِنْـه». ويتابـع:

> كمَـا لَـو أَنَّـه يَقُـول: «وَكمَـا تُدْركـون هَـذِه النَّسَـمة، اَلتِـي بِهَـا أُشـير إِلَيْكـم أَنَّـه بِمَـا أَنَّ الأَشْـياء المحْسوسـة يُمْكِـن أن تَـدُلَّ علـى أَشـيَاء غَيْـر مَحسُوسـة، فَـإِنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس يَخـرُج مِـن أَعمَـاق جَسـدِي وَمِـن شَـخصِي، فاعْلمـوا كَذلِـك أَنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس، اَلـذِي أُشـير إِلَيْكـم بِـه بِهَـذه النَّسَـمة، يَخـرُج مِـن أَعمَـاق لاَهُوتـي وَمِـن شَـخصِي».[٣١]

31 Anselm of Canterbury, "Procession of the Holy Spirit," in *Anselm of Canterbury: The Major Works* , ed. Brian Davies and G. R. Evans (Oxford, UK: Oxford University Press, 1998), 408.

يُسمِّي بَعْض مُفَسِّرِي الكتَاب اَلمُقدَّس هذَا الحدث «يَوْم الخمْسين اليوحنَّاويُّ» لِأَنَّه فِي إِنْجيله لاَ يذكُر حدث يوم الخمسين بِشَكلٍ مُبَاشِر (وَهُو حدث لاَ يَزَال على بُعْد خمْسين يوْمًا)، فَإِنَّه بِمثابة نَوْع مِن قِصَّة الأَصْل اَلتِي تَشرَح كَيفِيَّة تَحرِيك الرُّوح اَلقُدُس لِلْكنيسة لِأَوَّل مَرَّة بَعْد قِيامة يَسُوع. يُفسِّر أَنسِلم بِحكْمة الحدث اَلْخاصَّ فِي إِنْجيل يُوحنَّا بِاعْتباره إِشارة رَمزِيَّة إِلى الحدث اَلْعامِّ فِي أَعمَال الرُّسل: هُنَا نَسمَة أَنفَاس يَسُوع، وهناك رِيح عَاصِفة قَويَّة. هُنَا سِلْسلة إِرسَال («كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ أُرْسِلُكُمْ أَنَا» يُوحنَّا ٢٠: ٢١)، وهناك تَكلِيف («لكِنَّكُمْ سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ، وَتَكُونُونَ لِي شُهُودًا فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الأَرْضِ» أَعمَال الرُّسل ١: ٨). والنُّقْطة الرَّئيسيَّة اَلتِي يطْرحهَا أَنسِلم عِنْدمَا يُفكِّر فِي قَوْل يَسُوع المسْموع «اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ» هِي أَنَّ الرُّوح اَلقُدُس يَأتِي مِن الابْن هُنَا فِي إِطَار التَّاريخ اَلأَرْضِيِّ لِأَنَّ الرُّوح اَلقُدُس يَأتِي مِن الابْن فِي إِطَار الحيَاة السَّرْمديَّة لِلَّه أَيْضًا.

وَهذَا يُعيدنَا إِلى نُقطَة صَعبَة. وَكمَا رأَينَا فِي الفصْل السَّابق، فَإِنَّ جميع المسيحيِّين يتَّفقون على أَنَّ الرُّوح اَلقُدُس يَنبَثِق مِن اَلآب. وَلكِن كان هُنَاك جدل طويل فِي التَّاريخ اللاَّهوتيِّ بَيْن التَّقْليد اَلشرْقِيِّ اَلذِي يُريد التَّوَقُّف عِنْد هذَا اَلحَدِّ بِالضَّبْط، حَيْث تَوقَّف قَانُون الإِيمان النِّيقاوي لِعَام ٣٨١، والتَّقْليد اَلغرْبِيِّ اَلذِي يُؤكِّد أَنَّ الرُّوح اَلقُدُس يَنبَثِق مِن اَلآب وأَيْضًا مِن الابْن. فتلْك العبارة «وَمِن الابْن أَيْضًا» (بِاللاَّتينيَّة *filioque*) قد أُضيفتْ

إلى قَانُون الإيمان مِن قِبَل الكنائس الغرْبيَّة. لَقد تَسبَّب هذَا الخلاَف فِي إثارة قُرُون مِن الصِّراعات،[٣٢] وَبَينمَا يُوجَد شَيْء مُهِمٌّ لِلْغاية فِي اَلْجَوهر اللاَّهوتيِّ لِهَذا الجدل، فَإِنَّ هذَا اَلْجَوهر مُحَاط أيْضًا بِتحْصِين هَائِل مِن الدِّمَاء الفاسدة، والسُّلوكيَّات الفاسدة، والْحجج الفاسدة، والْعادات الفاسدة. «كَانَت هُنَاك خَطيَّة على كِلاَ الجانبيْنِ»، كمَا قال بِتروس فَان ماستريخت، وَهُو يَنظُر كبروتستانْتيٍّ إلى قُرُونٍ مِن الجدل بَيْن الكاثوليك الرُّومان والْأَرْثوذكْس الشَّرْقيِّين.

لَقد اِقْتبسْنَا سابقًا مِن أُوغسْطينوس نَفسَه اَلذِي أقرَّ بِأنَّ الرُّوح اَلقُدُس اِنبثَق «أساسًا» مِن اَلآب، وَهُو مَوقِف يَتَنازَل كثيرًا لِصالح اَلموْقِف اَلشرْقِيِّ. وَكَان ماستريخت يَأمُل أن يَتِمَّ تَحقِيق تَقدُّم مِن خِلاَل الاعْتراف بِأنَّ الرُّوح اَلقُدُس يَنبَثِق مِن اَلآب «مِن خِلاَل الابْن»، لِأنَّ الاتِّفاق على هذَا مِن شَأنِه أن يَجعَل الخلاَف «يَتَلاشَى تقْريبًا إلى مُجرَّد صِرَاع على الكلمات».[٣٣] أَهُو مُتَفائِل أَكثَر مِن اللاَّزم؟ رُبَّمَا يَكُون الأمْر كَذلِك. لاَ يَنبَغِي لِأيِّ عَالِمٍ لاَهُوتيٍّ (ولاَ حَتَّى بِتروس فَان ماستريخت!) أن يَتَوقَّع أن يَتَمكَّن

32 Edward Siecienski, *The Filioque: History of a Doctrinal Controversy* (Oxford, UK: Oxford University Press, 2010); Gregg R. Allison and Andreas J. Köstenberger, *The Holy Spirit* (Nashville, TN: B&H, 2020), 273–95.

33 Petrus van Mastricht, *Theoretico-Practical Theology* , vol. 2, *Faith in the Triune God* (Grand Rapids, MI: Reformation Heritage, 2019), 583.

ويُظهِر فرانسيس توريتين Francis Turretin أيضًا كيف يمكن تأكيد عبارة «من خلال الابن» ويميِّز بوضوح الطريقة التي قد تكون بها العبارة غير مقبولة. انظر:

Institutes of Elenctic Theology , vol. 1 (Phillipsburg, NJ: P&R, 1992), 310.

على الرغم من أنَّ ماستريخت لا يخبرنا بما يقصد عندما يتحدَّث عن «اليونانيِّين»، فإنَّ اقتراح «من خلال الابن» كان محلَّ تأييد من قِبَل عالمِ لاهوتٍ شرقيٍّ بقدر مكسيموس المعترف Maximus the Confessor، ولا يزال يمثِّل مجالاً محتملاً للاتِّفاق.

مِـن تَبدِيـد هـذَا الـخلاَف التَّاريخـيِّ المخضْـرم فِـي بِضْـع فِقْـرَات مِـن الكلمـات. ومـع ذَلِـك، هُنَـاك اَلكثِيـر مِـن القواسـم المشْـتركة بَيْـن المسـيحيِّين مِـن جميـع الجوانـب الَّذيـن يسْـتطيعون الاتِّفـاق علـى أنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس يَنبَثِـق بِـشَكلٍ أَساسِـيٍّ مِـن اَلآب ويخْـرج مِـن اَلآب مِـن خِلاَل الابْـن. مِـن اَلممْكِـن أن نَعتَـرِف بِوجـود خِلاَف حَقيقِـيٍّ وَمهـمٍّ بشـأن *filioque* بيْنمَـا نَرفُـض تفاقمـه وتحْويلـه إِلـى مَصـدَرٍ لِلانْقسـام.

هُنَـاك نُقطَـة أُخـرَى حَـوْل عِبـارة *filioque* هَـذِه نفْسـهَا، وَالتِـي تـمَّ إِدْراجهَـا فِـي إِقـرَار إِيمَـان ٣٨١ مِـن قِبـل المفسِّـرين الغرْبيِّيـن اللاَّحقيْـن، وَلهَـا صِلـة مُبَاشـرَة بِسـؤالنَا حَـوْل عَلاقَـة الـرُّوح بِالابْـن. إِنَّهـا نُقطَـة دَقِيقَـة وَلَكنَّهَـا عَمِيقَـة. إِنَّ اَلنَّـصَّ اَلأصْلِـيَّ لِقانـون الإيمـان، قَبْـل إِضافـة *filioque*، يَقُـول بِكلِّ بَسـاطَة: «إِنَّنـا نُؤْمِـن بِالـرُّوح اَلقُـدُس المنْبثـق مِـن اَلآب». يُحـدِّد قَانُـون الإيمان الشَّـخْص الأوَّل، اَلـذِي يَنبَثِـق مِنْـه الـرُّوح اَلقُـدُس بِالاسْـم، وَهـذَا الاسْـم هُـو اَلآب. وَلكِـن فِـي لُغَـة التَّثْليـث فَـإِنَّ «اَلآب» يَقتَضِـي «الابْـن». لاَ يَقُـول قَانُـون الإيمـان، على سـبيل المثَـال، «الـرُّوح اَلقُـدُس اَلـذِي يَنبَثِـق مِـن صَانِـع الانْبثـاق»، أو حَتَّـى «الـرُّوح اَلقُـدس اَلـذِي، بِاعْتبـاره نَسـمَة، يَنبَثِـق مِـن المتنفِّـس». فَهُـو لاَ يَتَوجَّـه مُبَاشـرَةً إِلـى الـرُّوح مُتجـاوزًا حُضُـور الابْـن. بـل حَتَّـى فِـي صِياغَتـه الأصْليَّـة، فَـإِنَّ قَانُـون الإيمـان يَخْتـار بِعنايـة أنَّ اَلآب هُـو اَلـذِي يَنبَثِـق مِنْـه الـرُّوح اَلقُـدُس. وَمِـن خِلاَل عَلاقَـة الاسْـم، فَـإِنَّ قَانُـون الإيمـان نَفسـه يَضُـمُّ الابْـن مفْهوميًّـا إِلـى عَلاقَـة الأصْـل مـع الـرُّوح اَلقُـدُس. يُمْكِـن لِعلمَـاء اللاَّهـوتِ الشَّـرْقيِّين أن يتَّفقـوا (وقـد اِتَّفقـوا) مـع

هَـذِه الملاحظـة اَلمهِمَّـة، وَخَاصَّـةً فِـي البيئـات اَلآمِنـة حَيْـث لاَ يَتَعيَّـن عَليهِـم أن يشـكُّوا فِـي أنَّ عِبـارة «أَبُـو الابْـن» هِـي حِصَـان طـرْوادة الهـادف إِلـى التَّسَـلُّل إِلـى *filioque*. قـد تَكُـون هَـذِه هِـي الطَّريقـة اَلتِـي بـدتْ *filioque* بِهَـا وَاضِحـة فِـي الأصْـل لِلْغرْبِيِّـين؛ فَهِـي مُجـرَّد قَفـزَة مِـن لَفظَـة «اَلآب» إِلـى التَّفْكيـر فِـي «أَبُـو الابْـن» ثُـمَّ إِلـى قَـوْل «اَلآب والابْـن». لَكِـن تِلْـك القفْـزة الأخيـرة هِـي القفْـزة اَلتِـي يُمْكِـن لِلشَّـرْق أن يتخطَّاهَـا. إِنَّ الحقيقـة اللاَّهوتيَّـة اَلمهِمَّـة بشـأن الـرُّوح اَلقُـدُس اَلتِـي نُلْقِـي نَظـرَة عليْهَـا هُنَـا هِـي حَقِيقَـة عَالمِيَّـة، وكاثوليكيَّـة (أيْ مسْـكونيَّة جَامِعـة)، وأرْثوذكْسـيَّة (أيْ مُتَّفقَـة مـع العقيـدة القويمـة). والْحقيقـة هِـي أنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس لاَ يَكُـون أبـدًا مـن دون الابْـن. إِنَّ اَلهويَّـة الثَّالوثيَّـة لِلـرُّوح اَلقُـدُس مُرتبطَـة بِهويَّـة الابْـن، والابْـن غَيْـر مُسْـتبْعَد أبـدًا مِـن جَوهَـر الـرُّوح اَلقُـدُس أو شَـخصِه أو طَرِيقَـة وُجـوده أو عَملِـه.

فيلهلمـوس أبـراكِل Wilhelmus à Brakel (١٦٣٥-١٧١١)، فِـي مُؤَلَّفِـه العمَليِّ مُتَعـدِّد الأجْزاء *The Christian s Reasonable Service* تَجنَّـب التَّفاصيـل اللاَّهوتيَّـة المفْرطـة والتَّجْريـدات ولـم يَسْـع بِـشَكلٍ خـاصٍّ إِلـى الانْخـراط فِـي الجـدل. وَلكِـن فِـي تعْليمـه عـن الـرُّوح اَلقُـدُس، أَولَـى اِهْتمامًـا خاصًّـا لِمسْـأَلة عَلاقَـة الـرُّوح بِالابْـن. إِنَّ طَرِيقَـة أبـراكِل فِـي طَـرْح اَلأُمـور غالبًـا مَـا تَكُـون وِدِّيَّـة لِلْغايـة تُجَـاه وُجهَـة النَّظـر الشَّـرْقيَّة. فَكَان لَديْـه اَلكثِيـر لِيقولـه عـن الـرُّوح اَلـذِي يَنبَثِـق كَنسـمَة؛ فَهُـو يميـل إِلـى الاحْتفـاظ بِكلمـة «اِنبِثـاق» كَكلِمـة فَرِيـدَة لِلـرُّوح اَلقُـدُس، ويتحَـدَّث أَكثَـر عـن «الانْبثـاق والْـولادة» بـدلاً مِـن «انبثاقَيـن». وَكمَـا هُـو اَلْحـال مـع اَلعدِيـد

مِـن اَلكُتَّـاب البروتسـتانتِ الكلاسـيكيِّين، فَإنَّـه يُعْطِـي الانْطبـاع بِـأنَّ التَّقـارب اللاَّهوتـيَّ مـع الكنائـس الشَّـرْقيَّة قـد يَكُـون مُمْكِنًـا بِالنِّسْـبة إلـى الكنائـس خَـارِج نِظَـام كَنِيسَـة رُومَـا الكاثوليكيَّـة. ومـع ذَلِـك، فَـإنَّ العلاقـة بَيْـن الـرُّوح والابْـن هِـي أَمْـرٌ حَيـويٌّ لِهَـذا النَّـوْع مِـن المشْـروع اللاَّهوتـيِّ البروتسْـتانتيِّ اَلغَنِـيِّ عقائديًّـا والْموجَّـه عمليًّـا المتمثِّـل فِـي مُؤلَّـف أبْـراكِل، وقـد أَكَّـد أبْـراكِل بِالتَّأْكيـد أنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس يَنبَثِـق مِـن اَلآب وأيْضًـا مِـن الابْـن. وَهُـو يَتَّخِـذ موْقفـه مِـن الكتَـاب اَلمُقـدَّس ويقـدِّم نَظـرَة عَامَّـة مُمتـازَة علـى ثَلاثَـة أَنـوَاع مِـن النُّصـوص الحاسـمة:

١. يُسـمِّي الكتَـاب اَلمُقـدَّس الـرُّوح اَلقُـدُس رُوح الابْـن أو رُوح اَلمسِـيح (غَلاطِيَّـة ٤: ٦؛ رُوميـة ٨: ٩؛ بُطـرُس اَلأُولـى ١: ١١). إنَّ حَميمِيَّـة النَّسَـب هُنَـا تَحمـل ثِـقْلاً. يَنبَغِـي لَنَـا أن نَفهَـم هُويَّتَـه كَونـه رُوح الابْـن فَهـذَا يَعنِـي أيْضًـا أَنَّـه الـرُّوح اَلـذِي مِـن الابْـن.

٢. يَقُـول الكتَـاب اَلمُقـدَّس إنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس يَنقُـل لِلْمؤْمنيـن مَـا يتلقَّـاه مِـن الابْـن: «ذَاكَ يُمَجِّدُنِـي، لأَنَّـهُ يَأْخُـذُ مِمَّـا لِـي وَيُخْبِرُكُـمْ. كُلُّ مَـا لِلآبِ هُـوَ لِـي» (يوحنَّـا ١٦: ١٤-١٥).

٣. يُعلِّـم الكتَـاب اَلمُقـدَّس أنَّ الابْـن يُرْسِـل الـرُّوح اَلقُـدُس (يُوحنَّـا ١٥: ٢٦؛ ١٦: ٧). إنَّ إِرْسـاليَّة الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي تَدبِيـر الـخلاَص تَكشِـف عـن اِنْبثاقـه السَّـرْمديِّ دَاخِـل حَيَـاة الثَّالـوث. كمَـا يَقُـول أبـراكِل: «إنَّ مَـا يَنطَبِـق علـى طَرِيقَـة عَملِـه يَنطَبِـق أيْضًـا علـى طَرِيقَـة وُجـوده. إنَّ طَرِيقَـة عَملِـه

هِـي نَتِيجَـة ضَرورِيَّـة لِطريقـة وُجـوده».[٣٤]

إِنَّ عَلاقَـة الـرُّوح اَلقُـدس بِالابْـن، اَلتِـي تَثبتَـت بيْننَـا مِـن أَجلِنـا وَمِـن أَجْـل خَلاصِنـا، تَنبُـع مُبَاشـرَة مِـن علاقَتـه الأبديَّـة بِالابْـن فِـي أَعمَـاق الثَّالـوث.

34 Wilhelmus à Brakel ,*The Christian's Reasonable Service* , ed. Joel R. Beeke (1700; repr., Grand Rapids, MI: Reformation Heritage, 1992), 173.

هنا أقدِّم ملخَّصًا لحجج أبراكِل، وصولاً إلى تكرار نصوصه الإثباتيَّة، لأنَّني أتَّفق معه تمامًا. لقد قمت بإعادة ترتيب نقاطه الثلاث لتتناسب مع تيَّار هذا الفصل.

٥

الرُّوح اَلقُدُس نَفسه

لَقـد تَأَمَّلنَـا فِـي الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي الثَّالـوث، وَفِـي علاقَتـه بِـالآب، ثُـمَّ فِـي علاقَتـه بِالابْـن. نَجِـد أَنفُسـنا الآن فِـي مَوقِـف غريـب حَيْـث أَنَّنَـا فكَّرْنَـا بِالْفِعْـل فِي اَلأُمـور الأكْثـر مَركزِيَّـة وأهمِّيَّـة بشـأن الـرُّوح قَبْـل أن نَصِـل إِلـى هـذَا الفصْـل اَلأخِيـر اَلمُخصَّـص لَـه مُبَاشـرَةً. إِنَّ الحقائـق اَلتِـي ناقشْـناهَا بِالْفِعْـل؛ كوحْدانيَّـة اَللَّـه، وَوعَـد الآب، والْـخلاص مِـن خِلاَل الابْـن، هِـي بِالضَّبْـط أَكثَـر الحقائـق اَلتِـي يُؤَكِّدهَـا الكتَـاب اَلمُقـدَّس. وَإِذَا نجحْنَـا فِـي التَّرْكيـز علـى مَـا يُؤَكِّـده الكتَـاب اَلمُقـدَّس، فَهـذَا يَعنِـي، بِمَـا أَنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس مُوحًـى بِـه مِـن الـرُّوح اَلقُـدُس، أَنَّنَـا ركَّزْنَـا بِالْفِعْـل علـى الأشْـياء اَلتِـي يُريـد الـرُّوح اَلقُـدُس أن نعْرفَهَـا عَنْـه هُـو نَفسُـه. كـم هُـو رَائِـع وصحِّـيٌّ لِأرْواحنَـا أن يَتَبيَّـن لَنَـا أَنَّ عَقِيـدَة الـرُّوح اَلقُـدُس لَيسَـت مُلْحقًـا فِـي مُؤَخِّـرَة عقيدتنَـا، أو زَائِـدة غَرِيبَـة مِـن

اَلْمَوادِّ الإضافيَّة، أو إضافة اِخْتياريَّة لِذَاك النَّوْع مِن المسيحيِّين الَّذين يهْتمُّون بِهَذه الأشْياء. بل هُو بِالْأحْرى خبر رَائِع أن يَتَبيَّن لَنَا أنَّ الرُّوح اَلقُدُس حيٌّ وَفَعَّال دائمًا فِي أُمُور اَللَّه الرَّئيسيَّة والْواضحة وَفِي إنْجيله.

ومع ذَلِك، هُنَاك اَلمزِيد لِيقُال فِي الفصْل اَلمُخصَّص لِلرُّوح اَلقُدُس نَفسِه، وَيرجِع ذَلِك جُزْئِيًّا إلى زخم الثَّروات الكتابيَّة والْعقائديَّة اَلتِي لاَ تَزَال بِحاجة إلى اِسْتكْشاف، وَجزئِيًّا لِتصْحِيح بَعْض العادات السَّيِّئة اَلتِي تُؤثِّر على طُرْق تفْكيرنَا وتحدُّثنَا عن الرُّوح اَلقُدُس. فلْيقودنَا الرُّوح اَلقُدُس نَفسه إلى جميع اَلحَقِّ هُنَا أيْضًا (يُوحنَّا ١٦: ١٣).

إنَّ الرُّوح اَلقُدُس لَيْس شابًّا مُجعَّد الشَّعْر

كان لَدى اَلكثِير مِن النَّاس اَلكثِير مِن الأفْكار غَيْر المفيدة بشأن الرُّوح اَلقُدُس، وَلكِن مِن الصَّعْب اَلعُثور على حَالَة أَغرَب مِن تَصوِير الشَّخْص الثَّالث مِن الثَّالوث على أَنَّه صَبِيٌّ جميل، شابٌّ، مُجعَّد الشَّعْر، فِيه داء الحسن. وَكَان المثَال الأكْثر تأْثيرًا لِهَذا الخطأ هُو مَا حدث فِي بافاريَا فِي القرْن الثَّامن عشر. وإليْك اَلقِصَّة. رأتْ رَاهِبة فرنسيسكانيَّة تُدعَى كريسنتيا (الاسْم الكامل: ماريَا كريسنتيا هوس مِن كُوفبويرن Maria Crescentia Höss of Kaufbeuren، ١٦٨٢-١٧٤٤) رُؤيَةً فِيهَا «ظَهَر لَهَا الرُّوح اَلقُدُس فِي هَيئَة شابٍّ يَرتَدِي ثوْبًا وَعَباءَة بَيْضاء كالثَّلْج، ورأْسه عَارٍ وَشعره مُجعَّد وَسبْعَة أَلسِنة نَارِيَّة

تَحُـوم حَـوْل رَأسِـه».[١] أَرَاد رُؤَسـاء كريسـنتيا أن يجْعلـوا هَـذِه الرُّؤْيـة الخاصَّـة مُتَاحَـة لِلْعامَّـة كَصُـورَة، لِذَلـك أرْسـلوا فِـي عـام ١٧٢٧ فِـي طلـب رَسَّـام وطلبـوا مِـن كريسـنتيا أن تَصِـف لَـه رُؤْيتَهَـا بِعنايـة. وبفضْـل التَّوْجيـه اَلدقِيـق، أَنتَـج الرَّسَّـام صُـورَة رَائِعـة أَصبَحـت شَـائِعة بَيْـن الرَّاهبـات والْمجْتمـع اَلمحِيـط بِهـنَّ. وقـد تـمَّ عمـل نُسَـخ مِنهَـا، بِمَـا فِـي ذَلِـك لَيْـس فقـط فِـي هَيئَـة لَوْحـات، بـل نُقُـوش وتماثيـل أيْضًـا. كَانَـت كريسـنتيا بِالْفِعْـل مَشـهُورة إِقْليميًّـا بِالْقداسـة والْمشـورة الرُّوحيَّـة، مِمَّـا سَـاعَد على اِنتِشـار صُـوَر الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي هَيئَـة هـذَا الشَّـابِّ.

فِـي شكْلهَـا الأكْثـر نَقَـاءً، فَهِـي صُـوَر كَامِلـة لِجسْـم شـابٍّ وَاقِـف مُحَـاط فقـط بِالضَّـوْء أو السُّـحب. وَلكِـن إِذَا تَصفَّحتَ اَلفَـنَّ الأوروبِّيَّ بحْثًـا عـن اللَّوْحـات المتنوِّعـة لِلثَّالـوث (وَالتِـي كُلُّهَـا غَرِيبَـة بَعْـض الشَّـيْء بِطريقـة أو بِأخْـرى)، يُمْكِنـك بِسـهولة اِكتِشـاف «أَروَاح رُؤيَـة كريسـنتيا مُضَمنَـة فِـي سِيَاق الثَّالـوث».[٢] وَفِـي صُـوَر الثَّالـوث هَذِه، تَبـدُو غَرابَـة رُؤيَـة كريسـنتيا أَكثَـر وُضوحًـا. فَوَجـه يَسُـوع يُمْكِـن التَّعَـرُّف عليْـه بِسـهولة، وَاَللَّـه الآب يُصـوَّر كَرجُـلٍ عَجُـوز جليـل،

---

١ هذا الاقتباس من سيرة كريسنتيا في القرن الثامن عشر. وقد استشهد بها بيتر ستول Peter Stoll من جامعة أوغسبورغ في بحثه غير المنشور عام ٢٠١٤ بعنوان:

Crescentia Höß of Kaufbeuren and her Vision of the Spirit as a Young Man," p. 2.

إنَّ هذه المقالة الممتازة التي تتكوَّن من اثنتين وأربعين صفحة والموضَّحة بالصور هي التقرير الجوهريُّ الوحيد عن قضيَّة كريسنتيا المتوفِّر باللغة الإنجليزيَّة، على حدِّ علمي. راجع الموقع الخاصَّ به:

https:// www.uni -augsburg.de./

يعتمد ستول بشكلٍ كبيرٍ على:

Karl Pörnbacher ,*Die heilige Crescentia Höß von Kaufbeuren*2 , nd ed. (Lindenberg, Germany: Kunstverlag Josef Fink, 2002).

2 Stoll, "Crescentia," 22.

وَهُـو أَمْـرٌ سَـيِّئ وَلكِـن مَفهُـوم؛ جُـزْءٌ مِنْـه يَرجِـع لِرؤْيَـا دانْيَـال عـن اَلقدِيـم الأيَّـام، وَجُـزءٌ مِنْـه كَوكَـب المشْـتري الوثَنـيُّ، وَجُـزءٌ مِنْـه البابَـا الرُّومانـيُّ. إِنَّ صُـوَر هذيْـنِ الشَّـخْصيْنِ مِـن الثَّالـوث تَجعَـل المشـاهدين علـى الأقـلِّ يفْهمونهَـا؛ حَتَّـى لَـو شـعرْنَا علـى الفـوْر بِقليـل مِـن الذَّنْـب بِسَـبب «التَّعَـرُّف» عَليهِما! وَلكِـنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس الشَّـابَّ هُـو قِصَّـة أُخـرَى. فَهُـو يَجلِـس هُنَـاك، مُبْتسِـمًا بِلطْـفٍ، يَرتَـدِي مَلابِـس خَضْـراء، بِلاَ لِحْيَـة، مِثْـل مُرَاهِـق أو فِـي أَوائِـل العشْـرينيَّات مِـن عُمْـرِه، بِشَـعر أَحمَـر نحيـل، وَفِـي بَعْـض الأحْيـان بِحمامـة علـى كَتفِـه.[٣] نُريـد أن نَسـأَل مَـن هُـو هـذَا الرَّجُـل؟

إِنَّـه السُّـؤَال اَلصحِيـح تمامًـا. ومـع اِنتِشـار شَـعبِيَّة الصُّـورة، جَـاءَت السُّـلطات فِـي نِهايـة المطَـاف مِـن البابَـا لِإبْلاَغ اَلأُخـت كريسـنتيا وفريقهَـا بِـأنَّ مِثْـل هَـذِه التَّصْويـرات غَيْـر مُصـرَّح بِهَـا ومخيفـة وَمرِيكـة. وَمِـن بَيْـن المشـكلات اَلأُخـرى، فَإِنَّهَـا قـد تُـؤَدِّي بِالنَّـاس إِلـى الاعْتقـاد بِـأنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس لَـه جسـد مِثل الابْـن. وَكَان ردُّ كريسـنتيا: أليْـس الـرُّوح اَلقُـدُس أيْضًـا شـخْصًا دَاخِـل الثَّالـوث الأقْـدس؟ إِذَا كان الأمْـر كَذلِـك، فَمِـن اَلمُؤَكَّـد أَنَّـه يُمْكِـن تمْثيلـه فِـي شَكْل شَـخْصٍ.[٤] نظـر البابَـا (بنديكتـوس الرَّابـع عَشَـر Benedict XIV) فِـي اَلقضِيَّـة ولـم يُوَافِـق. وأصْـدر بيانًـا أَوضَـح فِيـه أنَّ صُـوَر الـرُّوح اَلقُـدُس هَـذِه اَلتِـي تُصـوِّر شـابًّا غَيْـر مَسـبُوقة وغَيْـر كِتابِيَّـة ومضلِّلـة وغيْـر تَقيَّـة وتجْعـل الكنيسـة تَبـدُو سَـخِيفَة. وَفِـي ظِـلِّ

٣ قد يشكرني القرَّاء لعدم تضمين مثال للصور. على الرحب والسعة.

4 Stoll, "Crescentia," 17–18.

هناك دراسة متقنة عن الآثار الأوسع لقضيَّة كريسنتيا على صور الثالوث، بقلم:
François Boespflug: *Dieu dans l'art: 'Sollicitudini nostrae' de Benoît XIV (1745) et l'affaire Crescence de Kaufbeuren* (Paris: Cerf, 1984).

هـذه الإدانـة الشَّـديدة، اِختفَـت الصُّـور إِلـى حـدٍّ كبيـر (رَغْـم أَنَّهَـا لَـم تَختَـفِ تمامًـا) وتراجعـتْ فِـي الاسْـتخْدام.[٥]

وبعيـدًا عـن كوْنهَـا قِصَّـةً قَصِيـرَةً غَرِيبَـةً ومثيـرةً لِلاهْتمـام (كمَـا آمـل)، فَـإِنَّ قَضيَّـة كريسـنتيا تُثير بَعْـض الأسْـئلة اللاَّهوتيَّة الرَّاسـخة ذات اَلصلَـة بِعقيدتنَـا عـن الـرُّوح اَلقُـدُس. السُّـؤَال الواضـح: «مَـن هُـو هـذَا الرَّجـل ذُو الشَّـعْر اَلمُجعَّـد وتلْـك الأجْنحـة؟» هُـو فِـي الواقـع سُـؤَال عميـق لِلْغايـة. يَأتِـي ذَلِـك مِـن إِدْراكنَـا أنَّ جميـع تَفاصِيـل صُـورَة الشَّـابِّ الرُّوحـيِّ هِـي مِـن فَـرَاغ. فطولُـه، وعمْـرُه، ولوْنُـه، وتعْبيـرُه، ومسْـتَوى جاذبيَّتـه الجسـديَّة، وتصفيفـة شـعْرِه، ووضْعيَّتـه؛ كُلُّهَـا بِبسـاطة أُمُـور عشْـوائيَّة. فالتَّفاصيـل البصريَّـة الملْموسـة، بِمَـا أَنَّهَـا لَيسَـت مِـن الكتَـاب اَلمُقـدَّس، كان لاَ بُـدَّ مِـن اِخْتلاقهَـا، وَهـذَا مَـا حـدث، بِـشَكلٍ عشْـوائيٍّ إِلـى حـدٍّ مَـا. وَهـذَا يَطـرَح الأسْـئلة الأكْثـر أَهَمِّيَّـة: مَـا هِـي الحاجـة الملْموسـة اَلتِـي دَفعَـت مُنْتِجـي ومُسْـتَخْدمي هَـذِه الصُّـورة إِلـى ذَلِـك؟ مَـا هِـي الحاجـة الرُّوحيَّـة اَلتِـي حاولـتْ الصُّـور تلْبيتهَـا؟ اَلْجَـواب هُـو أنَّ النَّـاس الَّذيـن تمسَّـكوا بِهَـذه الصُّـور أرادوا أن يَظْهَـر الـرُّوح اَلقُـدُس بِـشَكلٍ مَلمُـوس وحقيقـيٍّ أَكثَـر. لَقـد أرادوا آليَّـة تَجعلُـه أَكثَـر شـبهًا بِالإِنْسـان فِـي نَظرهِـم. ويوضِّـح السُّـؤَال البلاغـيُّ اَلـذِي طرحتْـه كريسـنتيا ذَلِـك: «أليْـس الـرُّوح اَلقُـدُس أيْضًـا شـخْصًا دَاخِـل الثَّالـوث الأقْـدس؟ إِذَا كان الأمْـر كَذلِـك...» إِذَا كان الأمْـرُ كَذلِـك، فَيجِـب أن نكُـون قَادرِيـن علـى التَّرْكيـز عليْـه كشـخْص، كمرْكـز

٥ توفِّيت كريسنتيا وهي تتمتَّع بسمعة ممتازة، ولا يتمُّ تذكُّر صور الأرواح هذه بشكلٍ عامٍّ كجزءٍ رئيسيٍّ من تراثها. أعلنتها الكنيسة الكاثوليكيَّة الرومانيَّة طوباويَّة، وفي عام ٢٠٠١ أعلنها البابا يوحنَّا بولس الثاني قدِّيسة رسميًّا.

مَلمُـوس لِاهْتمامنَـا، بِمسـاعدة التَّفاصيـل وَقصَّـة الشَّـعْر والْوَجْـه وَكُلِّ شَـيْء.

فَحَيثمَـا كان هُنَـاك إِلحَـاح لِإِجْبَـار أفْكارنَـا حَـوْل الـرُّوح اَلقُـدُس علـى أن تَكُـون وَاضِحـة ومتميِّـزة كمَـا نَعتَقِـد أَنَّهَـا يَجِـب أن تَكُـون، فهنـاك نَقْـدٌ ضِمْنِـيٌّ لِلْكتَـاب اَلمُقـدَّس. فَفِـي بَعْـض الأحْيـان يَبـدُو تَصوِيـر الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس غامضًـا وغيْـر مُبَاشِـر بِالنِّسْـبة لِذوْقِنَـا. لَـو كُنَّـا نجْعلـه مَعرُوفًـا، فسـنجْعله مَعرُوفًـا بِطريقـة مُختلفَـة، طَرِيقَـة تُشْـبِه أَكثَـر الشَّـخْصيْنِ الآخريْـنِ فِـي الثَّالـوث، فسيكون ذَلِـك أَفضَـل مِمَّا لَديْنَـا مِـن معْلومـات عَنْـه. إِنَّ قِصَّـة رُؤيَـة كريسـنتيا هِـي قِصَّـة تَهـدُف إِلـى ضَـرْب المثـل، حَتَّـى بِالنِّسْـبة إِلـى أولَئـك الَّذيـن لَـم يُفكِّـروا قـطُّ فِـي اَلوُثـوق بِـإِعْلاَنٍ خـاصٍّ أو تَكلِيـف شَـخْصٍ مَـا بِرَسـم لَوحَـة عَنْـه. وَعلَـى الجانـب الإِنْجيلـيِّ البروتسـتانتيِّ مِـن المسـيحيَّة المعاصـرة، يُمْكننَـا أن نُشـير إِلـى شَـخصِيَّة رُوحيَّـة تَعسُّـفِيَّة بِالقـدر نفسـه، وَهِـي المرْأة الآسْـيويَّة الشَّـابَّة اَلتِـي تُدعَـى سـارايو وَالتِـي تُجسِّـد الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي رِوايـة وِيلْيَـام بـول يُونـغ William Paul Young اَلكُـوخ *The Shack*. تِلْـك الشَّـخْصيَّة الخياليَّـة، مـع اِخْتلافـات مُحَـدَّدَة فِـي الطُّـول، وَنبْـرَة الصَّـوْتِ، والشَّـعْر، وَالجِنـس، ومَـا إِلـى ذَلِـك، تُلبِّـي الغـرض نَفسَـه اَلـذِي يُلَبِّيـه اَلصبِـيُّ ذُو الشَّـعْر الأحْمـر فِـي قِصَّـة كريسـنتيا. كان يُونْـغ يَـدُور بِبسـاطة فِـي فُلـك نَـوْعٍ أَدبِـيٍّ مُخْتَلِـفٍ (الرِّوايـة) وَكَان لَديْـه ذَوْق شَـخصِيٌّ مُخْتَلِـف فِـي مَـا يَتَعلَّـق بِمظْهـر الـرُّوح، لِأَسْـبَاب شَـخصِيَّة تمامًـا.

بيْنمَـا كُنْـت أَكتُـب هـذَا الكتَـاب، أَرسَـل لِـي أحـد طُلاَّبِـي

السَّـابقين نصًّـا مِـن عَـرْضٍ دِرامـيٍّ قدَّمتْـه إِحْـدى الكنائـس لِكتـاب أَعمَـال الرُّسـل. وقـد تَضمَّـن السِّـينارْيو دوْرًا لِلـرُّوح اَلقُـدُس، وَالـذِي سـيلْعَبه مُمثِّلٌ كان لَديْـه خِطَـابٌ أُحَـادِيٌّ بِضميـر المتكلِّـم: «مرحبًـا، أنَـا الـرُّوح اَلقُـدُس؛ وَهـذَا مَـا أَفعَلـه فِـي سِـفْر أَعمَـال الرُّسـل». أنَـا وَاثِـق مِـن أنَّ مُؤلِّـف هـذَا السِّـينارْيو لَـم يَكُـن يُحَـاوِل اِسْـتبْدال نـصِّ أَعمَـال الرُّسـل بِهَـذا اَلمُمثِّـل اَلجدِيـد الأكْثـر ثَرثـرَة. بـل كان الهـدف واضحًـا، وَهُـو جَعْـل كُلِّ شَـيْء مُباشِـرًا، وَواضِحًـا، وَفورِيًّـا. مِـن المحْتمَـل أنَّ بَعْـض هَـذِه الأخْطـاء هِـي مُجـرَّد زَلاَّت فِـي اَلحُكم والـذَّوْق اَلسـلِيم أَكثَـر مِنهَـا بِدْعَـة حَقيقِيَّـة. لَكِنَّهَـا كُلُّهَـا أَعـرَاض لِمَـرضٍ رُوحـيٍّ. والأَمْـر الأكْثـر أَهَمِّيَّـة هُـو أَنَّهَـا حـالات تشْـخيصيَّة وَاضِحـة لِخَطـأ يَنجَـذِب إِلَيـه جميعنَـا تقْريبًـا بِطريقـة أَكثَـر تَخفِّيًـا.

عِنْدمَـا نَسـعَى لِمعْرِفـة الـرُّوح اَلقُـدُس بِالطَّرِيقـة اَلتِـي يَجعَـل نَفسَـه مَعرُوفًـا بِهَـا فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس، فَإِنَّنَـا نَتَعـرَّض بِاسْـتمْرار لِإِغْـرَاء إِضافـة بَعْـض التَّفاصيـل، لِدَفـع الـرُّوح بِهـدوء فِـي اِتِّجـاه أن يَكُـون أَكثَـر وُضوحًـا بِـشَكل مُبَاشِـر مِـن الطَّرِيقـة اَلتِـي نَلتقِيـه بِهَـا فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس. إِذ نَتَمنَّـى أن يَكُـون الـرُّوح اَلقُـدُس، بِصراحة، شَـخصِيًّا أَكثَـر، مـع اَلمزِيـد مِـن خُطُـوط الحـوَار وملامـح شَـخصِيَّة مُحَـدَّدَة بِـشَكلٍ أَفضَـل. يَجِـب علَيْنَـا أن نَكُـون يقظيـن بِشَـأن هـذَا الإِغْـراء، وينْبَغـي لَنَـا أن نَتُـوب لاَهوتيًّـا عِنْدمَـا نـرى طُرُقًـا مُحَـدَّدَة قـد اِسْتسْـلمْنَا لَهَـا. بِالنِّسْـبة إلـى بعْضِنَـا، فَـإِنَّ الامْتنـاع عـن تَجسِـيد الـرُّوح خَيالِيًّـا قـد يَكُـون صِراعًـا رُوحيًّـا خطيـرًا، وَلَكِـنَّ هُنَـاك نِعْمَـة عَظِيمَـة علـى الجانـب الآخـر. فالـرُّوح اَلقُـدُس الحقيقـيُّ أَفضَـل مِـن اَلـذِي نتصـوَّره فِـي تَفاصِيـل خَيالِيَّـة، لِأَسْـبَاب عَدِيـدَة، وَلَكِـنَّ

السَّـبب الأساسـيَّ هُـو أَنَّـه حَقيقِـيٌّ وقـد أَعلَـن عـن نَفسِـه تمامًـا، واخْتَـار أن يَفعَـل ذَلِـك بِمَحـض سُـلْطانه.

الشَّخْص اَلذِي يَتَصرَّف بِطريقة غَيْر شَخصِيَّة

علـى سـبيل المثَـال، خُـذ فِـي الاعْتبـار شـخْصانيَّة الـرُّوح اَلقُـدُس؛ أيْ كَونـه شـخْصًا حَقيقِيًّـا. إنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس لَيْـس أقـلَّ مِـن شَـخْصٍ ولاَ غَيْـر شَـخْصٍ. فَهُـو لاَ يُمْكِـن اِخْتزالـه فِـي كَونِـه مُجـرَّد قُـوَّة أو سُـلطَة أو تَأثِيـر. بـل هُـو شَـخْص ويصاحـب الأشْـخاص. عِنْدمَـا يَعتَمِـد المسـيحيُّون بِاسْـم الآب والابْـن والـرُّوح اَلقُـدُس، فَإِنَّنَـا لاَ نَسـمَع قَائِمـة تَحـوِي شـخْصيْنِ وَقـوَّة، بـل ثَلاثَـة أَشـخَاص. إِذَا نظرْنَـا مَـرَّة أُخـرَى إِلـى الـشَّكْل ٢-١ (صَفحَـة ٥٦)، يُمْكننَا أن نـرى أنَّ وُجُـود بَعْـض الأشْـخاص فِـي اِثْنَتَيْـنِ مِـن الـرُّؤوس مـع وُجُـود شَـيْء مَـا فِـي الـرَّأْس الثَّالـث سَـيكُون غَيْـر مُنَاسِـب. فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس، نـرى الـرُّوح اَلقُـدس يَتَكلَّـم، ويخْتَـار، ويعْمـل، وَيمكِـن أن يَحـزَن، ومَـا إِلـى ذَلِـك. وَلكِـن إِلـى جَانِـب عَـرْض الكتَـاب اَلمُقـدَّس لِشـخْصِيَّة الـرُّوح اَلقُـدُس، فَإِنَّـه يميـل دائمًـا إِلـى التَّحَـدُّث عـن الـرُّوح بِمصْطلحـات غَيْـر شـخْصانيَّة. فالـرُّوح يُعطَـى، ويُسْـكب فِـي الواقـع، ويتدَفَّـق. ويشـار إِلَيـه بِاعْتبـاره مَسـحَة تُوضَـع علـى الـرَّأْس والْوَجْـه. وَهُـو يُشْـرِق، ويُنْفَـخ. وكالرِّيـح اَلقوِيَّـة يَحمِـل الأنْبيـاء معـه. إِنَّـه بِمثابـة عرْبُـون، ويخْتمنَـا مثـل الخاتـم علـى الشَّـمْع. يُمْكننَـا القـوْل إِنَّ هُنَـاك نوْعيْـنِ مِـن اَلأدِلَّـة، وَالتِـي يُمْكِـن ترْتيبهَـا فِـي عمودَيْـن: العمـود (أ) لِلسِّـمَات الشَّـخْصيَّة والْعمـود (ب) لِلسِّـمَات غَيْـر الشَّـخْصيَّة.

إِذَا كان الأَمْـر كَذلِـك، فَإِنَّنَـا بِحاجـة إِلـى تَحقِيـق الإِنْصـاف لِجميـع اَلأَدِلَّـة، مـع الاعْتـراف بِـكلاَ العموديْـنِ. اَلقُـرَّاء الَّذيـن يَغفلـون العمـود (أ) (السِّـمَات الشَّـخْصيَّة) يحطُّـون مِـن شَـأْن الرُّوح إِلـى مُجـرَّد قُـوَّة. وَهـذَا خطـأ فَـادِح. والْقـرَّاء الَّذيـن يَغفلـون العمـود (ب) يكونـون أقـلَّ خطـأ ولكنَّهـم مُعرَّضـون لِإصابـة خَطِيـرَة جِـدًّا بِمتلازمـة كريسـنتيا. إِنَّهـم يَشـعُرون بِالْحَـرج مِـن فِكْـرَة أنَّ الـرُّوح يَتَصـرَّف مِثْـل الرِّيـح أو اَلْمـاء («لاَ بُـدَّ أنَّ هـذَا هُـو مُجـرَّد ضَـرْب مِـن الشِّـعْر!»)، وقـد يُعوِّضـون ذَلِـك مِـن خِلاَل المبالغـة فِـي تَشـخِيص الـرُّوح. وَهُـم أيْضًـا فِـي مَوقِـف سـخيف ومتناقـض مِـن حَيْـث اِخْتلافهـم مـع الـرُّوح اَلقُـدُس بِشَـأن أَفضَـل الطُّـرق لِلْحدِيـث عَنْـه. إِذ يَنبَغِـي لهـم أن يُطيعـوا اَللَّـه (لُغَـة شـخْصانيَّة) ويتْركـوه يَحمِلهـم (لُغَـة غَيْـر شـخْصانيَّة). وَكمَـا أكَّدْنَـا، فَهُـو شَـخْص يَتَصـرَّف فِـي كثير مِـن الأَحْيـان بِطريقـة غَيْـر شـخْصانيَّة.

جعـل رُوبـن أَرشَـر تُـوري R. A. Torrey (١٨٥٦-١٩٢٨) مِـن شـخْصانيَّة الـرُّوح الأصيلـة غَيْـر المنْقضيـة مِحـوَرًا رَئِيسِـيًّا فِـي وَعظِه وتعْليمـه. وَحـذَّر مِـن أنَّ «المصْـدر المتكـرِّر لِلْخطـأ والتَّطـرُّف بِشَـأن عمـل الـرُّوح اَلقُـدُس هُـو مُحَاولَـة دِراسـة وفهْـم عَمِلِـه دُون التَّعَـرُّف عليْـه أوَّلاً كشـخْص».[6] فِـي السَّـنوات التَّكْوينيَّـة اَلتِـي قضاهَـا تُـوري تَحْـت قِيـادة دوايـت مُـودِي Dwight Moody، وَفِـي اَلعُقـود اَلتِـي سَـبقَت نَهضَـة شَـارِع أزوسَـا ومـيلاَد التَّيَّـار الخمْسـينيِّ، كان هُنَـاك تَجـدُّد مُكثَّـف لِلاهْتمـام بِقـوَّة الـرُّوح اَلقُـدُس. وحرْصًـا مِنْـه علـى تَشـجِيع هَـذِه الحرَكـة، قـام تُـوري بِالتَّبْشـير بِالنَّهضـات الرُّوحيَّـة

6 R. A. Torrey, *The Person and Work of The Holy Spirit as Revealed in the Scriptures and in Personal Experience* (New York: Revell, 1910), 7.

فِـي أَربَـع قـارَّات، وحـثَّ النَّـاس بِاسْـتمْرار علـى مَعرِفـة وَتجرِبـة الـرُّوح اَلقُـدُس. ومـع ذَلِـك، فقـد كان مُنْزعِجًـا مِـن الطَّريقـة اَلتِـي يَسـمَع بِهَـا المسـيحيُّون هـذَا التَّحْذيـر ثُـمَّ يُعاملـون الـرُّوح اَلقُـدُس كمجـرَّد أَدَاة فِـي مُتَنـاوَل أَيديهـم. «إِذَا فكَّرْنَـا فِـي الـرُّوح اَلقُـدُس كمَـا يَفعَـل الكثيـرون علـى أَنَّـه مُجـرَّد قُـوَّة أو تَأْثِيـر، فَـإِنَّ تفْكيرنَـا المسْـتمرَّ سـيكون كَيْـف يُمْكننـي اَلحُصـول علـى اَلمزِيـد مِـن الـرُّوح اَلقُـدُس. وَلكِـن إِذَا فكَّرْنَـا فِيـه بِالطَّريقـة الكتابيَّـة كشـخْصٍ إِلَهـيٍّ، فَـإِنَّ تفْكيرنَـا سَـيكُون بِالْأَحْـرى: كَيْـف يُمْكِـن لِلـرُّوح اَلقُـدُس أن يَحصُـل علـى اَلمزِيـد مِنِّـي؟»[٧] كان تُـوري ذَا إِصـرَارٍ لاَ يليـن فِـي تأْكيـد هَـذِه الحقيقـة. جُزْئِيًّـا، كَانَـت وُجهَـة نَظـرِه تَمْتـاز بِطابـع مِـن مَركزِيَّـة اَللَّـه، أيْ وُجهَـة نظـر أنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس، بِاعْتبـاره اَللَّـه، هُـو صَاحِـب السِّـيادة:

> ريْثمَـا نَفهَـم فِكْـرَة أنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس هُـو شَـخْصٌ إِلَهـيٌّ ذُو جَلاَل ومجْـد وَقَداسَـة وَقـوَّة لاَ حُـدُود لَهَـا، وَالـذِي فِـي تَنـازُل عجيـب جـاء إِلـى قُلوبِنَـا لِيجْعـل مِنهَـا مَسْكَنًـا لَـه ويسْـتَوْلي علـى حَياتِنـا ويسْـتخْدمهَا، فَإِنَّـه هـذَا سَـيَضعنَا فِـي التُّـرَاب ويبْقينَـا فِـي التُّـرَاب. لاَ أَسـتطِيع أن أُفكِّـر فِـي فِكْـرَةٍ أَكثَـر إِذْلالاً أو أَكثَـر إِرْبـاكًا مِـن فِكْـرَة أنَّ شـخْصًا ذَا جَلاَلٍ ومجْـدٍ إِلَهـيٍّ يَسـكُن فِـي قَلبِـي ومسْـتَعدًّا لِاسْـتخْدامي.[٨]

بِالنِّسْـبة إلـى تُـوري، أَدَّى هـذَا التَّحَـوُّل فِـي المنْظـور إِلـى تَغيِير كُلِّ شَـيْء. إِلـى جَانِـب اَلحُجـج المسْـتمدَّة مِـن الاخْتبـار المسـيحيِّ،

7 Torrey, *Person and Work* , 8.

8 Torrey, *Person and Work* , 8–9.

اِسْتخْدم حُجَّـة مِمَّا يُمْكِن أن نُسَـمِّيَه «التَّـوازي الثَّالوثـيَّ Trinitarian Parallelism». فَـإذَا كان الابْـن والـرُّوح اَلقُـدُس شـخْصيْنِ أرْسـلهمَا الآب، فَيجِـب أن نُـدْرِك أنَّ شَـخصِيَّة الـرُّوح اَلقُـدُس لَيسَـت مُتَأخِّـرَة عـن شَـخصِيَّة الابْـن:

> يُمْكِـن لِآلاف وعشـرَات الآلاَف مِـن الرِّجَال والنِّسـاء أن يشْـهدوا علـى البرَكـة اَلتِـي حَلَّـت علـى حَياتِهـم عِنْدمَـا عَرفُـوا الـرُّوح اَلقُـدُس، لَيْـس فقـط كَتأثِيـر نِعْمَـة (صحيـح أَنَّـه مُنْبَعِـث مِـن اَللَّـه) وَلكِـن كشـخْصٍ حَقيقِـيٍّ، حَقيقِـيٍّ مِثْـل يَسُـوع اَلمسِيح نَفسـه، صديـق مُحِـبٍّ حَاضِـرٍ دائمًـا ومُعيـن عظيـم، لَيْـس فقـط بِجانبهـم دائمًـا بـل يَسـكُن فِـي قُلوبِهـم كُلَّ يَـوْم وَكُلَّ سَـاعَة وَهُـو مُسْـتَعِدٌّ لِلتَّعامـل مَعهُـم فِـي كُلِّ طَـوارِئ الحيَاة. لَقـد تَحـدَّث إِلـيَّ، أو كتـب إِلـيَّ، آلاف اَلخُـدَّام والْمؤْمنين فِي أَبسَـط مجـالاَت الحيَـاة، عـن التَّحَـوُّل الكامـل فِـي اِخْتبارهـم المسـيحيِّ اَلـذِي حـدث لَهُـم عِنْدمَـا أدْركـوا الفكْـرة (لَيْـس بِطريقـة لاَهوتيَّـة فحسْـب، بـل بِطريقـة اِخْتباريَّـة) أنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس كان شـخْصًا وبالتَّالـي عَرفُـوه.[٩]

يُوَاصِـل تُـوري حديثـه واثقًـا مِـن أنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس «حَقيقِـيٌّ تمامًـا مِثْـل يَسُـوع اَلمسِيح نَفسـه»، لَكنَّـه لاَ يَسـمَح لِحجَّتـه بِإغْرائـه أن يُبَالِـغ فِـي تَشـوِيه حَقِيقَـة الرُّوح بِمقارنـات قَسـرِيَّة. وبعْد أن طرح هـذَا الادِّعـاء فِـي فَصلِـه الافْتتاحـيِّ، خَصَّـص واحـدًا وَعشـرِين فصْلاً لِتفْسِـير الكتَـاب اَلمُقـدَّس. وتطمْئننَـا هَـذِه اَلفُصـول بِالتَّفْصيـل أنَّ مَـا يعْنيـه بـ «الشَّـخْص الحقيقـيِّ» هُـو مَـا يعْنيـه الكتَـاب اَلمُقدَّس.

9 Torrey, *Person and Work* , 9.

يُمْكننَا مـلْء العمـود (أ) (اَلشـخْصِيُّ) بِمجْموعـة كَامِلة مِـن اَلأدِلَّة الكتابيَّـة، وَلَكنَّنَـا بِحاجـة إِلـى النَّظـر فِـي مُحْتويـات العمـود (ب) (غَيـر اَلشـخْصِيِّ) أَيْضًـا فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس، يُشـير الـرُّوح اَلقُـدُس إِلـى نَفسِـه بِاسْـتخْدام رُمُـوز ماديَّـة: الرِّيـح، النَّـار، اَلْمـاء، الزَّيْـت. وَهـذِه بِبسـاطة ظَاهِـرة أَساسِـيَّة فِـي اَللغَـة النِّيوماتولوجيَّـة لِلْكتَـاب اَلمُقـدَّس. ومَـا دُمنَـا وَاثِقِيـن فِـي شَـخصِيَّة الـرُّوح اَلقُـدُس، فَإِنَّنَـا نَسـتطِيع أن نَسـتخْدِم بِلاَ خَـوْف هَـذِه الصُّـور غَيْـر الشَّـخْصانيَّة، وَعلَـى وَجْـه التَّحْديـد لِلْمسـاعدة فِـي إِعطَـاء اَلعُمـق والامْـتلاء لِفهْمِنَـا لِشَـخص الـرُّوح اَلقُـدُس. هُنَـاك كِتَـاب تـأمُّلاَت كِلاسـيكيٌّ (مِـن نَفْـس عَصْـر كِتَـاب تُـوري تقْريبًـا) يَتكـوَّن مِـن تـأمُّلاَت بشـأن تِلْـك الإِشـارات الرَّمْزيَّـة لِلـرُّوح اَلقُـدُس. قـام اَلمُؤلِّـف، فِريدْريـك إِدْوارد مـارش F. E. Marsh (١٨٥٨-١٩١٩)، بِتأمُّـل كُلِّ رَمْـز مِـن الرُّمـوز كَطَرِيقَـة لِمعْرِفـة الـرُّوح. يُمْكِـن تَتَبُّـع كُلٍّ مِنهَـا فِـي شَـبكَة مِـن الصُّـور الكتابيَّـة الموْجـودة فِـي إِطَـارٍ عَقائِـديٍّ شَـامِل وتطْبيقهَـا علـى الخبْـرة الرُّوحيَّـة. الرِّيـح، علـى سـبيل المثَـال، تُوضِّـح عَملَـه اَلمحْيِـي والْقَـويَّ والنَّافـذ والْمطهِّـر، سَـوَاء فِـي العَلاقَـة بِالْخاطِئ -الميِّـت فِـي الخطيَّـة- أو بِالْمؤْمـن، وَلكِـن بِـشَكلٍ خـاصٍّ بِالْخاطِئ. وَمِـن ثـمَّ يُمْكننَـا القـوْل إِنَّ الرِّيـح هِـي رَمْـز لِلْمجْريـات اَلنشِـطة لِلـرُّوح.[10] وَيجِـد مـارش، اِسْـتنادًا إِلـى تَقلِيـدٍ مَسـيحِيٍّ طويـل مِـن التَّفْسـير التَّأمُّلـيِّ، أعْماقًـا مَلحُوظـة فِـي رُمُـوز مِثْـل الـرُّوح كختْـم: «إِنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس، بِاعْتبـاره الختْـم، يُظْهِـر الحقيقـة اَلتِـي مفَادهَـا أَنَّ اَلمسِـيح قـد أتـمَّ عَملـه فِـي مَـا يَتَعلَّـق بِقبولنَـا لَـدى اَللَّـه؛ وبعْـد أن أَحيَـا الـرُّوح اَلقُـدُس الخاطِئ، وقَبِـل الخاطِئ اَلمسِـيح،

10 F. E. Marsh, *Emblems of the Holy Spirit* (London: John F. Shaw, 1884), 85.

فَـإِنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس يَحـلُّ فِـي اَلمُؤمـن، ويشْـهد علـى قَبولِـه فِـي اَلمسِـيح».[١١] ثُـمَّ يَستكْشِـف «الخاتـم، والْمخْتـوم، والْخَتْـم، ومَـا يعْنيـه الختْـم».[١٢]

مَـا هُـو جديـر بِالْملاحظـة بِـشَكلٍ خـاصٍّ فِـي هـذَا النَّـوْع مِـن شَـرْح الرُّمـوز هُـو كَيفِيَّـة تعاملـه مـع الـرُّوح اَلقُـدُس كشـخْصانيٍّ تمامًـا. حَتَّـى فِـي أقـلِّ الرُّمـوز الواعـدة، مِثْـل الـرُّوح كعرْبـون، يَبـدَأ مـارش بِالسُّـؤال، «مَـن هُـو العرْبـون؟» ويجيـب أَنَّـه هُـو الـرُّوح اَلقُـدُس:

> إِنَّنـا نَختَلِـف مـع أُولئـك الَّذيـن يقولـون إِنَّ نِعْمَـة الـرُّوح هِـي العرْبـون. فنحْـن نَقُـول لاَ، بـل الـرُّوح اَلقُـدُس نَفسـه؛ وليْـس مشـاعرنَا، ولاَ اِخْتباراتنَـا، بـل اَلحُضـور الدَّائـم لِلـرُّوح اَلقُـدُس فِينَـا. مَـا يَجِـب عليْنَـا فِعْلـه هُـو أن نُـدْرِك ونتذَكَّـر أَنَّـه مَوجُـود فِينَـا، ولاَ نُحَـاوِل إِدرَاك حُضـوره.[١٣]

إِنَّ هَـذِه الطَّريقـة فِـي التَّعامـل مـع لُغَـة الكتَـاب اَلمُقـدَّس بشـأن الـرُّوح اَلقُـدُس تَنتَشِـر فِـي التَّقْليـد المسـيحيِّ. مِـن اَلجدِيـر بِالاهْتمـام هـو مـا كتبـه مـارْش، خاصَّـةً لِأَنَّ كِتابـه بِأَكْمَلـه لاَ يَفعَـل أيَّ شَـيْء آخـر غَيْـر هـذَا. وَلكِـن إِذَا بحثْنَـا فِـي التَّفاسـير والْعظـات، فَسـنَجِد نَفْـس النَّـوْع مِـن التَّفْسـيرات مُتناثـرة بِالتَّسـاوي عَبْـر قُـرُون تَارِيـخ الكنيسـة. لاَ يُعَامِـل المفسِّـرون الأصحَّـاء رُوحيًّـا ولاهوتيًّـا

11 Marsh, *Emblems* , 35.

12 Marsh, *Emblems* , 35–46.
يقدِّم مارش معموديَّة يسوع في نهر الأردنّ باعتبارها ختمه الخاصَّ نيابةً عنا. وهكذا يصبح **الخاتم والمختوم والختم** رمزًا للثالوث، تمامًا كما تعامل إيريناوس مع **الماسح والممسوح والمسحة.**

13 Marsh, *Emblems* , 111–12.

العمـود (أ) والعمـود (ب) علـى أَنَّهُمـا مُتعارضـان. إِذَا أَرَاد شَـخْص مَـا أن يَسـتخْدِم العموديْـنِ ضِـدَّ بَعضهِمـا البعْـض، فيمْكننَـا أن نَطـرَح ضِدَّهـم اَلحُجَّـة اَلتِـي أَثَارهَـا جُـون بِيرسـون John Pearson (١٦١٣-١٦٨٦) فِـي كِتابـه اَلمُؤثِّـر «شَـرْح العقيـدة». حـاجَّ بِيرْسـون ضِـدَّ السُّوسـينيانيِّين، المناهضيـن لِلثَّالـوث الَّذيـن أَخـذُوا لُغَـة الـرُّوح غَيْـر الشَّـخْصانيَّة فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس كَحَقيقَـة حَصرِيَّـة ثُـمَّ فَسَّـرُوا اَللغَـة الشَّـخْصانيَّة علـى أَنَّهَـا مجـازَات أو تجْسـيدات. وزعمـوا أنَّ هَـذِه اَللغَـة لَيسَـت شـخْصانيَّة فِـي الواقـع، بـل هِـي مُجـرَّد تَجسِـيد. إِنَّهـا تَنتَمِي إِلـى نَفْـس اَلفِئـة اَلتِـي وصـف بِهَـا بُولُس المحَبَّـة بِأَنَّهَـا صَبُـورَة وَلَطيفَـة (كُورنثـوس اَلأُولـى ١٣: ٤)؛ لَقـد تَكلَّـم عـن المحَبَّـة وَكَأَنَّهَـا شَـخْص، لَكنَّـه كان يَقصِـد أنَّ الشَّـخْص اَلـذِي لَديْـه حُـبٌّ سَـيكُون صبـورًا ولطيفًـا. «وبالْمثـل، يقولـون، تُنسَـب الأَفْعـال الشَّـخْصانيَّة إِلـى الـرُّوح اَلقُـدُس، اَلـذِي لَيْـس شـخْصًا، بـل هُـو فقـط فَضِيلَـة اَللَّـه وَقوَّتـه وفعَّاليَّتـه».[١٤] مِـن أَجْـل دَحْـض «النَّزْعـة التَّجْسـيديَّة السُّوسـينيانيَّة»،[١٥] زَعَـم بِيرْسـون أَنَّـه فِـي حَالَـة تَحـدُّث الكتَـاب اَلمُقـدَّس بِـشَكل مُتَكـرِّر وَوَاضِـح عـن شَـيْء شـخْصانيٍّ وأيْضًـا بِـشَكل مُتَكـرِّر وَوَاضِـح عـن شَـيْء غَيْـر شـخْصانيٍّ، فَـإِنَّ التَّفْسـير المناسـب هُـو اِعتِمـاد المعْنـى الأعْلـى مـع اِسْـتيعاب المعْنـى الأدْنـى. لاَ يُوجَـد فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس اَلكثِيـر مِـن الأمْثلـة اَلتِـي يَنطَبِـق عليْهَـا هـذَا الأسْـلوب.[١٦] فِـي الواقـع، إِنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس

14 John Pearson, *An Exposition of the Creed* (New York: Appleton, 1842), 465.

15 Pearson, *Creed* , 467,
مستخدمًا الكلمة اليونانيَّة للإشارة إلى المجاز البلاغيِّ المُسمَّى «التشخيص».

١٦ قد يتبادر إلى ذهننا مصطلحات مثل المحبَّة، والبرّ، والناموس، وذراع الله، والعديد من المصطلحات الأخرى، ولكن في أيٍّ من هذه الحالات لا يرفعها الكتاب المقدَّس إلى مستوى الحاجة

هُـو اَلوحِيـد اَلـذِي يَبْـرُز بِهَـذه الطَّريقـة، وَهُـو اَلـذِي يليـق بِـه التَّفْسير الأعْلى وَيصبِح ضَرورِيًّا وَمُرضِيًا. إنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس هُـو شَـخْص يَتَحـدَّث عَنْـه الكتَـاب اَلمُقـدَّس فِـي كثيـر مِـن الأحْيـان بِـشَكلٍ غَيْـر شـخْصانيٍّ.

قـد يَكُـون مِـن اَلمفِيـد أن نُلاَحِـظ أنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس يَتَحـدَّث أيْضًـا عـن الابْـن بِلغـة وَصـوَر غَيْـر شـخْصانيَّة؛ لَيْـس فقط الشَّـخْص الثَّانـي مِـن الثَّالـوث الموْجـود مُسـبَّقًا وَلكِـن اَلمُخلِّـص المتجسِّـد. ضع فِـي اِعْتبـارك اَللغَـة الرَّمْزيَّـة مِثْـل اَلْبـاب، الحَمَـل، الثَّـور، ومَـا إلـى ذَلِـك، وَهُـو مَـا يَبْـرز بِـشَكلٍ خـاصٍّ فِـي تَعلِيـم يَسُـوع نَفسـه عـن نَفسِـه فِـي إنْجيـل يُوحنَّـا. وَفِـي نَفْـس الإنْجيـل يَقُـول يَسُـوع إنَّـه «الطَّرِيـقُ وَالْحَـقُّ وَالْحَيَـاةُ» (يُوحنَّـا ١٤: ٦). فِـي هَـذِه الحـالات، بِغـضِّ النَّظـر عـن مـدَى تجْريديَّـة المصْطلحـات غَيْـر الشَّـخْصانيَّة، فَإنَّهَـا رَاسِـخة بِقـوَّة فِـي اَلبُعـد الشَّـخْصانيِّ مِـن خِلاَل نُطْقِهـا علـى لِسَـان يَسُـوع اَلمسِيح فِـي الجسـد، فِـي جمـل تَبـدَأ بـ «أَنَـا هُـوَ». وَلكِـن هُنَـاك مُقَارنَـة أكثَـر إشْـراقًا وَهِـي الطَّريقـة اَلتِـي يَتَحـدَّث بِهَـا بُولُـس عـن نَشَـاط يَسُـوع فِـي حَيَـاة الكنائـس اَلأُولـى بَعْـد الصُّعـود. يَتَحـدَّث بُولُـس عـن اَلمسِيح بِاعْتبـاره شـيْئًا يلْبسـه المؤْمنـون مِثْـل الثَّـوْب (رُوميـة ١٣: ١٤)، ومَوْضوعًـا يدْرسـونه ويتعلَّمونـه (أَفسـس ٤: ٢٠)، وَنُـورًا يُشْـرِق علـى المؤْمنيـن (أَفسـس ٥: ١٤)، ومعْيـارًا يُقاسـون بِـه (أَفسـس ٤: ١٣). وَهنَـا يَكمُـن الارْتبـاط: فعنْدَمَـا أَرَاد بُولُـس أن يَتَحـدَّث عـن الطَّريقـة اَلتِـي يَدخُـل بِهَـا هـذَا الشَّـخْص الإلَهـيُّ فِـي بِنْيَـة الحيَـاة المسـيحيَّة، اِسْـتخْدم لُغَـة غَيْـر شـخْصانيَّة. مَـا يفْعلـه

إلى هذا النوع من الحلول. إنَّ الشخصيَّة الرمزيَّة للحكمة، وخاصَّةً في سفر الأمثال ٨، تتطلَّب تحليلاً أعلى، ولكن في النهاية يمكن فهمها بشكلٍ أفضل في إطار شهادة الكتاب المقدَّس للابن.

الكتَـاب اَلمُقـدَّس أحْيانًـا فِـي مَـا يَتَعلَّـق بِالابْـن، يفْعلـه علـى نِطَـاق وَاسِـع مـع الـرُّوح اَلقُـدُس بِسَـبب مَـا يَلتَـزِم هـذَا الـرُّوح بِفعْلـه فِـي حَياتِنـا. فَكِّـر فِـي هـذَا. إِنَّ اَللغَـة غَيْـر الشَّـخْصانيَّة هِـي أَدَاة مُنَاسـبَة لِاسْـتحْضار الواقـع الشَّـخْصانيِّ اَلعمِيـق اَلـذِي يَتَجلَّـى لَنَـا فِـي التَّجْربـة المسـيحيَّة. فلاَ عجـب أن تَظْهَـر اَللغَـة غَيْـر الشَّـخْصانيَّة فِـي المقدِّمـة عِنْـد اَلحدِيـث عـن الـرُّوح اَلقُـدُس!

إِنَّ شَـخْص الـرُّوح يُظْهِـر نَفسَـه بِـشَكل غَيْـر شـخْصانيٍّ عِنْدمَـا يَخْتـار ذَلِـك. مَـا يَهـمُّ بِالنِّسْـبة إلـى عقيدتنَـا عـن الـرُّوح اَلقُـدُس هُـو أن نُحَافِـظ علـى فَهْـم وَاضِـح لِكلاَ الجانبيْـنِ مِـن حقيقَتـه. كمَـا كتـب تِشـارْلز وِيسْـلي فِـي ترْنيمـة لِأَحـد الخماسـين: «جَـدِّد الحيَـاة الإلهيَّـة فِينَـا، فأَنْـتَ اَلعطِيَّـة والْعاطـي أيْضًـا!»[١٧] إِنَّـه كِلاهمَـا، فِـي شَـخْصٍ.

جميع أَسمَاء الرُّوح

الطَّريقـة السَّـهْلة لِلتَّعَـرُّف علـى شَـخْصٍ مَـا وَتحدِيـد هُويَّتـه هِـي مِـن خِلاَل اِسْـمِه. يُمْكننَـا أن نَسـتخْدِم اِسْـم الـرُّوح اَلقُـدُس لِتحْدِيـد هُويَّتـه، ونحْـن نَفعَـل ذَلِـك فِـي الواقـع، وَلكِـن بِمجـرَّد أن نَفعَـل ذَلِـك، نُوَاجِـه خُصوصِيَّـة أُخـرَى لِهَـذا الشَّـخْص اَلـذِي يُمْكِنـه التَّصَـرُّف بِـشَكلٍ غَيْـر شـخْصانيٍّ. فَهُـو لَديْـه اِسْـم لاَ يَبـدُو وَكَأَنَّـه اِسْـمٌ.

فَعلَـى عَكْـس الآب والابْـن، اللَّذَيْـنِ يَظْهـر اِسْـميْهمَا بِطبيعتهمَـا

17 Charles Wesley, "Hymn for Whitsunday," *Hymns and Sacred Poems* (London: William Strahan, 1739), 213–15.

أَنَّهُمـا مُرْتبطـان بِبعْضهمَـا البعْـض (حَيْـث إنَّ «الآب» يَسـتلْزِم «الابْـن»، و«الابْـن» يَفتَـرِض «الآب»)، فَـإِنَّ اِسْـم الـرُّوح اَلقُـدُس لاَ يُظْهِـر اَلصلَـة بِـشَكلٍ وَاضِـح لِلْغايـة. بـل بِالْأَحْـرى فَـإِنَّ اِسْـمه مُعقَّـد، يَتَكـوَّن مِـن صِفـة تُعـدِّل الاسْـم. وعنْدَمَـا نَحْتـاج إِلـى أن نَقُـول كَيْـف يَختَلِـف عـن الآب والابْـن، فَـإِنَّ اِسْـمه فِـي الواقـع يُعْطينَـا إِشـارَات مُختلطَـة. وَفِـي النِّهايـة، فَـإِنَّ الآب قُـدُّوس أيْضًـا، كمَـا هُـو اَلْحـال مـع الابْـن (مرقـس ١: ٢٤؛ يُوحنَّـا ١٧: ١١)، لِذَلـك فَـإِنَّ اَلصفَـة لاَ يَتَفـرَّد بِهَـا الـرُّوح اَلقُـدُس. ولاَ يُحَـدِّده الاسْـم **الـرُّوح** بِحـدِّ ذَاتِـه لِأَنَّ «اَللهُ رُوحٌ» (يُوحنَّـا ٤: ٢٤)، وَهـذَا يَشـمَل الآب والابْـن. وَلكِـن بِطريقـة مَـا، عِنْدمَـا تُصْبِـح تِلْـك اَلصفَـة الشَّـائعة «**اَلقُـدُس**» مَقرُونـة بِالاسْـم الشَّـائع «**الـرُّوح**»، فَهنَـا يَتَحـدَّد شَـخْص مُعيَّـن. لِذَلـك لَديْنَـا الاسْـم «الـرُّوح اَلقُـدُس»، وَمِـن الواضـح أَنَّـه يَشـغَل مكانـه اللاَّئـق فِـي الثَّالـوث وبالتَّالـي يَقُـوم بِعملـه الحيَـويِّ فِـي الصِّياغـة الثَّالوثيَّـة «الآب وَالابْـنِ وَالـرُّوحِ الْقُـدُسِ» (اُنظُـر مَتَّـى ٢٨: ١٩). وَلَكنَّـه يَفعَـل ذَلِـك مِـن خِلاَل مَوقعِـه وَسُـلطَة كَونِـه مُعْلَنًـا ولَيْـس مِـن خِلاَل تَشـابُه اِسْـمِه.

إِنَّ الشَّـكْوى مِـن أنَّ اِسْـم «الـرُّوح اَلقُـدُس» لاَ يَبـدُو كاسْـمٍ بِـشَكلٍ غريـب لَيْـس هُـو الهـدف هُنَـا. فَمـرَّة أُخـرَى، نُوَاجِـه خِيـارًا بَيْـن أَن نَتَمنَّـى أن يكشِـف الـرُّوح عـن نَفسِـه بِطريقـة مُختلفَـة (أيْ أَفضَـل)، أو أن نَقبَـل اِسْـمه كمَـا يُعْلِنـه هُـو، ثُـمَّ نَسـعَى إِلـى تَمييـز السَّـبب وَرَاء لِياقَتـه كاسْـم، وَحتَّـى سـبب كَونِـه اِسْـمًا مِثالِيًّـا. وَلكَـي نـرى كَمَـال الاسْـم الإِلَهـيِّ «الـرُّوح اَلقُدُس»، فَـإِنَّ أَفضَل خُطـوَة هِي عـدم الانْحنـاء والتَّحْديـق أَكثَـر فِـي الاسْـم نَفسِـه. بـل بِالْأَحْـرى،

فَـإِنَّ أَفضَـل خُطـوَة هِـي أن نَنظُـر حَولنـا علـى أَوسَـع نِطَـاق مُمْكِـن إِلـى كَامِـل نِطَـاق الوحْـي الكتابـيِّ.

تَذكَّـر أنَّ اِسْـم «الـرُّوح اَلقُـدُس» مُجمَّـع لِأَنَّـه يَربُـط بَيْـن بَعْـض الأَحْـداث الأَقْـدم والْأَحْـدث فِـي العهْـد اَلقدِيـم. وَمِـن مِنظَـار السَّـبْي، يَنظُـر إشـعياء ٦٣ إِلـى اَلخُـروج ويُظْهِـر أنَّ اَللَّـه هُـو «الَّـذِي جَعَـلَ فِـي وَسَـطِهِمْ رُوحَ قُدْسِـهِ» (إشـعياء ٦٣: ١١). هَـذِه هِـي أهـمُّ المـرَّات اَلتِـي ورد فِيهَـا هـذَا الاسْـم فِـي العهْـد اَلقدِيـم، حَيْـث وُضعَـت صِفـة القداسـة أَمَـام اِسْـم الـرُّوح لِلْإِشـارة إِلـى حُضُـور اَللَّـه اَلشـخْصِيِّ بَيْـن شَـعبِه. وَلذَلِـك يُمْكننَـا القـوْل إِنَّـه علـى الرَّغْـم مِـن أنَّ الاسْـم نَـادِر لِلْغايـة فِـي العهْـد اَلقدِيـم، فإِنَّـه يَشـمَل العهْـد بِأَكْمَلـه، مِـن اَلخُـروج إِلـى المنْفـى.

إِنَّ النُّـدْرة اَلتِـي نُلاحظهَـا هِـي فقـط فِـي التَّرْكيبـة الثُّنائيَّـة لِذَلـك الاسْـم: الـرُّوح اَلقُـدُس إِنَّ هـذَا الاسْـم اَلمُميَّـز نَـادِرٌ، لَكِـنَّ الشَّـخْص اَلـذِي تـمَّ تحْديـده مِـن خِلاَل هـذَا الاسْـم، يُذكَـر مِـرارًا وتكْـرارًا فِـي الواقـع، بِاسْـتخْدام كلمـات أُخـرَى. إِنَّ التَّنَـوُّع اَلـذِي يسْـتخْدمه العهْـد اَلقدِيـم فِـي تَسـمِية الـرُّوح هُـو أَمْـرٌ مُثيـر لِلدَّهْشـة. فَمِـن الآيَـات اَلأُولـى مِـن سِـفْر التَّكْويـن نَسـمَع أنَّ «وَرُوحُ اللهِ يَـرِفُّ عَلَـى وَجْـهِ الْمِيَـاهِ» (التَّكْويـن ١: ٢). فِـي سِـفْر التَّكْويـن ٦: ٣ يَتَحـدَّث اَلـرَّب قـائلاً «رُوحِـي». فِـي سِـفْر اَلخُـروج، كان الصُّنَّـاع الممسـوحون مُمْتلئيـن «مِـنْ رُوحِ اللهِ بِالْحِكْمَـةِ وَالْفَهْـمِ وَالْمَعْرِفَـةِ وَكُلِّ صَنْعَـةٍ» (اَلخُـروج ٣١: ٣؛ قَـارَن اَلخُـروج ٢٨: ٣). هَكـذَا يَتَدخَّـل «رُوحُ اَلـرَّبِّ» مِـرارًا وتكْـرارًا فِـي سـفر اَلقُضـاة. كمَـا تَحتَـوِي أَسـفَار العهْـد اَلقدِيـم بِأَكْملهَـا علـى طُـرُق مُمَيَّـزَة لِلتَّحَـدُّث عَنْـه. فِـي

مَقاطِع إشعِياء النَّبويَّة، يَدعُوه اَللَّه «رُوحي»، بيْنمَا فِي حزْقيَال يَصِف الرَّاوي عمل «الرُّوح». فِي زَكَريَّا ١٢: ١٠ لَديْنَا الوعْد بـ «رُوحَ النِّعْمَةِ وَالتَّضَرُّعَاتِ». ومع تَكاثُر الأسْماء، نَحصُل أحْيانًا على فقرَات تجْمعهَا معًا مَرَّة أُخرَى وَتثبِت أَنَّهَا كُلَّهَا طَرِيقَة وَاحِدة لِلتَّحَدُّث عن نَفْس الشَّخْص. على سبيل المثَال، فِي سفر صَموئِيل الأوَّل ١٠، يُدعَى «رُوحُ الرَّبِّ» فِي اَلآيَة ٦ و«رُوحُ اللهِ» فِي اَلآيَة ١٠، حَتَّى لاَ يَكُون هُنَاك أيُّ شكٍّ. وأخيرًا، يَصِف إشعِياء ١١: ٢ الرُّوح السُّباعيَّ اَلذِي سَيكُون مع اَلمسِيَّا: «وَيَحُلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ، رُوحُ الْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ، رُوحُ الْمَشُورَةِ وَالْقُوَّةِ، رُوحُ الْمَعْرِفَةِ وَمَخَافَةِ الرَّبِّ». عِنْدمَا نَنتَقِل إلى العهْد اَلجدِيد، يبرز الاسْم اَلْخاصُّ «الرُّوح اَلقُدُس» وَيهيْمِن على نمط الكلاَم الكتابيِّ. فبَعْد التَّلْقائيَّة النِّسْبيَّة اَلتِي اِتَّسم بِهَا تَنوُّع العهْد اَلقدِيم، فَإنَّه مِن دَواعِي الارْتياح أن يَرفَع العهْد اَلجدِيد هذَا الاسْم إلى مُستَوًى مِعْياريٍّ. وَلكِن إلى جَانِب هذَا الاسْتقْرار المرْغوب فِيه، حصلْنَا أيْضًا على مَجمُوعة مِن الأسْماء الجديدة: «رُوح الآب»، «رُوح الابْن»، «رُوح اَلمسِيح»، «الرُّوح»، «رُوح اَلموْعِد»، «رُوح التَّبَنِّي»، وهكذَا.

مَاذَا علَيْنَا أن نَفعَل بِكلِّ هَذِه الأسْماء؟ علَيْنَا أن نسْتخْدمهَا، مع إيلاَء الاهْتمام الواجب لِلطُّرُق الدَّقيقة اَلتِي يَجلِب بِهَا كُلُّ اِسْم جَوانِب مُختلفَة مِن النِّيوماتولوجيا إلى حَيِّز اِنْتباهنَا. إنَّ السَّرْد اَلذكِيَّ لِأسْمَاء وأَلْقَاب الرُّوح اَلقُدُس مِن سِفْر التَّكْوين إلى سِفْر الرُّؤْيَا هُو فِي الواقع سَرْد مُتَواصِل لِلْإنْجيل. ونسْتطيع أن نرى رُوح اَللَّه يَدخُل فِي العهْد كَرُوح اَلرَّبِّ، وَيحُوم فَوْق فَوضَى

التَّاريـخ كَـرُوح اَلموْعِـد، وَيصبِـح حاضـرًا لِشَـعب اَللَّـه بِطريقـة جَدِيـدَة كَـرُوح التَّبَنِّي وَرُوح الآب والابْـن. اِعتـرَف لاَنسـلوت أَنـدروز Lancelot Andrewes (١٥٥٥-١٦٢٦) بِـأنَّ «لَيْـس هُنَـاك شَـخْصٌ مِـن الثَّلاثـة لَديْـه هـذَا العـدد اَلكبِيـر مِـن التَّسْـميات المتنوِّعـة مِثْلـه؛ وَكُلُّهَـا تُظْهِـر التَّنَـوُّع المتعـدِّد لِلْمواهـب اَلتِـي منحهَـا لَنَـا».[١٨] مَـرَّة أُخـرَى، نـرى هُنَـا أنَّ مَـا قـد يَبـدُو وَكَأنَّـه عَيْـب نِيوماتولوجـيٌّ (اَلكثِيـر مِـن الأسْـماء) هُـو فِـي الواقـع كَمَـال لِلْإعْلان الإلَهـيِّ (اَلكثِيـر مِـن الأسْـماء ذات الدَّلالـة!). لاَ يَعنِي هـذَا أنَّ اَللَّـه كان يُحَـاوِل أن يُعْطِينَا اِسْـمًا واحـدًا ثابتًـا لِلـرُّوح اَلقُـدُس، لَكنَّـه فَشِـل فِـي ذَلِـك. بـل قـد سَـلَّم لَنَـا اَللَّـه بِكفـاءة كُلَّ بَـرَكات جميـع أَسـمَاء الـرُّوح اَلقُـدُس العديـدة.

لِذَلـك نسْـتخْدمهَا وَلكِـن عِنْـد اِسْـتخْدامنَا لِكلِّ هَـذِه الكلمـات، يَجِـب علَيْنَـا أن نُحَافِـظ علـى وَعْـيٍ مُسْـتَمِرٍّ ومباشـرٍ بِأنَّهَـا كُلَّهَـا تُشـير إِلـى نَفْـس الشَّـخْص. إِنَّ إِحْـدى أهـمِّ الخطـوات اَلتِـي نتَّخذهَـا فِـي تَجمِيـع نِيوماتولوجيـا كِتابِيَّـة كَامِلـة هِـي خُطـوات بَسِـيطَة وَدَقيقَـة: علَيْنَـا أن نُـدْرِك أنَّ كُلَّ هَـذِه الطُّـرق لِلْحدِيـث عـن الـرُّوح كُلُّهَـا تُحـدِّد الشَّـخْص الإلَهـيَّ نَفسَـه، الشَّـخْص اَلـذِي يَكُـون اِسْـمه الأكْثـر وُضوحًـا هُـو الـرُّوح اَلقُـدُس. إِنَّ هـذَا التَّجْميـع الشَّـامل لِمصْطلحـات الـرُّوح هُـو خُطـوَة أَساسِـيَّة لِدرجـة أنَّ مُعظَـم قـرَّاء الكتَـاب اَلمُقـدس رُبَّمَـا لاَ يُلاحظـون حَتَّـى أَنَّهُـم يقومـون بِهَـا. وَلكِـن مـن دون هَـذِه الحرَكـة، فَـإِنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس لاَ يَتَماسَـك علـى

18 Lancelot Andrewes, "Of the Sending of the Holy Ghost," in *Ninety-Six Sermons by the Right Honourable and Reverend Father in God, Lancelot Andrewes* (Oxford, UK: John Henry Parker, 1841),

الإطْلاق، حَيْـث يَتَناثَـر إِلـى أَجـزَاء كَثِيـرَة بِقَـدر مَـا تَتَناثَـر الأرْواح اَلتِـي تَعِـجُّ بِهَـا صفحاتـه. تخيَّلـوا كـم سَـيكُون الكتَـاب اَلمُقـدَّس كِتابًـا مُنْفـصِلاً عـن الواقـع بِالنِّسْـبة لِلْقـرَّاء الَّذيـن يَرفُضـون التَّوَصُّـل إِلـى هـذَا الاسْـتنْتاج التَّفْسـيريِّ. حِينئـذ سَـيكُون رُوح الآب شَـيْئًا، وَرُوح الابْـن شَـيئًا آخـر. و«شَـيْءٌ» هُنَـا هِـي اَلكلِمـة الصَّحيحـة، لِأَنَّـه بِمجـرَّد تَفكِيـك هَـذِه الإشـارات الرُّوحيَّـة المتكاملـة، فَـإِنَّ أسْـبابك لِتأْكِيـد شـخْصانيَّة الـرُّوح تَتَبخَّـر إِلـى حـدٍّ كبيـر. قـد يَكُـون الـرُّوح فِـي سِـفْر التَّكْويـن ١ «رِيحًـا مِـن اَللَّـه»،[١٩] وقـد يَكُـون رُوح اَلـرَّبِّ هُـو اَلـرَّبَّ بيْنمَـا يَتَصـرَّف رُوحيًّـا. إِنَّ مَـا بـدَا وَكَأَنَّـه شَـخصِيَّة مُتَميِّـزَة أَصبَـح مُتناثـرًا فِـي صُـورَة رِيـح، وأفْعَـال اَللَّـه، وَسـائِر المجـازات اللُّغويَّـة.

سَـيكُون مِـن الخطـأ الاعْتقـاد بِـأَنَّ جَمْـع كُلِّ هَـذِه النِّقَـاط مِـن البيانـات الكتابيَّـة تَحْـت عُنْـوان وَاحِـد «الـرُّوح اَلقُـدُس» هِـي مُهمَّـة مَتْرُوكـة لِعلمَـاء اللاَّهـوتِ النِّظامـيِّ الأذْكيـاء لِلْقيَـام بِهَـا. وَمِـن اَلمُؤكَّـد أَنَّ هَـذِه رُؤيَـة نِظامِيَّـة بِمعْنـى أَنَّ جميـع الأجْـزاء مُرتبطَـة بِبعْضِهَـا البعْـض بِـشَكلٍ مُفيـدٍ. لَكِـنَّ كُلَّ مُفـردَات البيانـات اَلتِـي اِسْـتعْرضْناهَا لِلتَّـوِّ (الأسْـماء المخْتلفـة فِـي أماكنهـا المخْتلفـة مِـن تَارِيـخ الوحْـي) تـمَّ جَمعُهـا فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس نَفسـه، فِـي اللَّحْظـة الإتماميَّـة الحاسـمة. «لأَنَّ الـرُّوحَ الْقُـدُسَ لَـمْ يَكُـنْ قَـدْ أُعْطِـيَ بَعْـدُ» حَتَّـى اِكتمَـل عمـل اَلمسِـيح. إِنَّ أحـد الأسْـباب اَلتِـي

١٩ إِنَّ نسـخة NRSV للكتـاب المقـدَّس هـي واحـدة مـن الترجمـات الإنجليزيَّـة القليلـة التي تقـدِّم **روح** إلوهيـم بهـذه الطريقـة. ودفاعًـا عـن NRSV، قـد يكـون القـارئ الحسَّـاس الملتزم بالشـهادة القانونيَّـة الكاملـة عـن الـروح القـدس قـادرًا على الحصـول على التشـويق لإدراك أنَّ هـذه الريـح الإلهيَّـة البدائيَّـة، التي لـم يُقَـل عنهـا الكـثير بعـد في سـفر التكويـن ١، تـبيِّن أنَّهـا شـخص مهـمٌّ في وقـتٍ لاحـق.

تَجعَـل يَسُـوع يَقُـول اَلكثِيـر عـن الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي يُوحنَّـا ١٧ هُـو أَنَّـه فِـي هـذَا الفصْـل اَلفرِيـد، يَتَحـدَّث يَسُـوع مُسْـبَّقًا مِـن وُجهَـة نظـر أَنَّـه أَكمَـل عَملـه بِالْفِعْـل. «وَلَسْـتُ أَنَـا بَعْـدُ فِـي الْعَالَـمِ» (يُوحنَّـا ١٧: ١١)، قـال ذَلِـك علـى سـبيل التَّوَقُّـع، حَتَّـى يَتَمكَّـن مِـن تَقدِيـم أَقـوَى وأَوْضـح تَعلِيـم عـن الـرُّوح اَلقُـدُس نَفسِـه.

لَقـد اِعتبَـر هَاندلـي مـول H. C. G. Moule (١٨٤١-١٩٢٠) هـذَا المقْطـع بِمثابـة حجـر الزَّاويـة اَلـذِي يَحمِـل معًـا البنَـاء النِّيوماتولوجـيَّ لِلْكتَـاب اَلمُقـدَّس بِأَكْمَلـه. بِالنَّظـر إِلـى هَـذِه اَلقِمَّـة المرْتفعـة مِـن خِطَـاب اَلعلِّيَّـة، يَسـتطِيع التَّلاميـذ أن يفْحصـوا كَامِـل النِّطَـاق المتماسـك لِلْوحْـي الكتابـيِّ بشـأن شَـخْص الـرُّوح اَلقُـدُس وَعمَلِـه. إِنَّ الإِعْلان الكامـل عـن الأَسْماء يُسـلِّط الضَّـوْء علـى شَـخصِيَّة الـرُّوح اَلقُـدُس بِـشَكلٍ وَاضِـح:

> فِـي هـذَا المقْطـع المرْكـزيِّ والْحاسـم، نَجِـد الـرُّوح اَلقُـدُس قـد أَعلَـن لَنَـا بِكلمَـات عَدِيـدَة علـى أَنَّـه شَـخْصٌ، وليْـس فقط شَـيْئًا؛ بِاعْتبـاره المُمـارِس اَلحَـيَّ والْواعـي لِلْإرادة الشَّـخْصيَّة الحقيقيَّـة والْمحبَّـة، تمامًـا مِثْـل «الباراكليـت» الأَوَّل، اَلـرَّبِّ يَسُـوع اَلمسِـيح نَفسِـه. والْآن يَشِـعُّ هـذَا المقْطـع المرْكـزيُّ بِمجْـده علـى النِّظَـام بِأَكْمَلـه وَدائِـرة حَقِيقَـة الكتَـاب اَلمُقـدَّس عـن الـرُّوح. مِـن التَّكْويـن ١: ٢ إِلـى الرُّؤْيَـا ٢٢: ١٧، نـرى دِفْء الحيَـاة الشَّـخْصيَّة الإلهيَّـة فِـي كُلِّ ذِكْـر لِلْقـوَّة المباركـة. مـع وُجُـود خِطَـاب اَلعلِّيَّـة فِـي قُلوبِنَـا وعقولنَـا، نَعلَـم أَنَّـه شَـخْص، وليْـس شَـيْئًا، مَـن (وليْـس مَـا) كان يَـرِفُّ علـى وَجْـه الأَعْمـاق فِـي البدايـات. مَـن (وليْـس مَـا) «كان

يُديـن فِـي الإنْسـان» فِـي اَلقدِيـم. مَـن (وليْـس مَـا) كان فِـي يُوسُـف فِـي مِصْـر، وَفِـي مُوسَـى فِـي بَرِّيَّـة التِّيـه، وَفِـي اَلقُضـاة والْملـوك فِـي الأيَّـام التَّاليـة. مَـن (وليْـس مَـا) نطـقَ بِالْأنْبيـاء، مُحَـرِّكًا رِجَـال اَللَّـه القدِّيسـين هـؤلاء. مَـن (وليْـس مَـا) رسـم مُخطَّـط المسْـكن اَلقدِيـم والْهـيْكل الأوَّل. مَـن (وليْـس مَـا) رفـع حزْقيَـال علـى قدميْـه فِـي سَـاعَة الرُّؤْيـة. مَـن (وليْـس مَـا) جـاء إِلـى العـذْراء، ومَسَـحَ اِبنهَـا فِـي اَلأُردنِّ، وقـاده إِلـى بَرِّيَّـة التَّجْربـة، وأعْطـى اَلكلِمـة لِلْقدِّيسـين فِـي يَـوْم الخمْسـين، وَخَطَـف فِيلبُّـس بعيـدًا عـن طريـق غَـزَّة، وأرْشـد بُولُـس عَبْـر آسْـيَا الصُّغْـرى إِلـى أَقـرَب مِينَـاء لِأوروبَّا. مَـن (وليْـس مَـا) يُحقِّـق الميلاد اَلجدِيـد لِلْإنْسـان المتجـدِّد، وَهُـو نَسـمَة حَياتِـه الجديـدة، وعزْيـون مَجـدِه القـادم. مَـن (وليْـس مَـا) بِـه يَسـلُك اَلمُؤمـن، ويميـتَ أَعمَـال الجسـد، مَملُـوءًا بِـه. مَـن (وليْـس مَـا) هُـو رُوح الإيمـان، اَلـذِي بِـه «أُعطـي لَنَـا أن نُؤْمِـن بِالْمسـيح». وَهُـو مَـن (وليْـس مَـا) يَتَكلَّـم إِلـى الكنائـس. مَـن (وليْـس مَـا) يَقُـول مِـن السَّـمَاء إنَّ الَّذيـن يموتـون فِـي اَلـرَّبِّ هُـم مُباركـون، ويدْعـو فِـي هَـذِه الحيَـاة النَّفْـس الضَّالَّـة لِلْإنْسـان أن تَأتِـي إِلـى اَلْمـاء اَلحَـيِّ.[٢٠]

فِـي صَفحَـة بَعْـد صَفحَـة، قـد تُصْبِـح «مَـن» مُجـرَّد «مَـا». وَلكِـن إِذَا نظرْنَـا إِلَيـه قانونيًّـا وشموليًّا وَمِـن خِلاَل مـلْء الوحْـي فِـي اِكْتمالـه النِّهائـيِّ وسلامتـه الأوَّليَّـة، نَصِـل إِلـى تَمييـز الـرُّوح اَلقُـدُس نَفسِـه. إِنَّ الإعْلان المتـدرِّج عـن الـرُّوح اَلقُـدُس يَصِـل إِلـى نُقطَـة

20 H. C. G. Moule, *Veni Creator: Thoughts on the Person and Work of the Holy Spirit of Promise* (London: Hodder & Stoughton, 1890), 9–11.

عَالِيـة مِـن اَلوُضـوح والتَّحْديـد هُنَـا لِأَنَّـه مَبنِـيٌّ على عمـل اَلمسِـيح الكامـل وَيتِـمُّ تعْليمـه مِـن قِبَـل اَلمسِـيح نَفسـه. هُنَـاك سَـطْر مَشـهُور لِلْقدِّيـس غِريغوريـوس النِّزينْـزيِّ يُشـير إِلـى هـذَا الإِكْمـال: «لَقـد كان العهْـد اَلقدِيـم يُعْلِـن بِوضـوح عـن الآب، بيْنمَـا كان يُعْلِـن بِـشَكل أقـلَّ تحْديـدًا عـن الابْـن. أَمَّـا العهْـد اَلجدِيـد فقـد أَظهَـر الابْـن وأعْطـى لَمحَـةً عـن أُلوهِيَّـة الـرُّوح اَلقُـدُس. وَفِـي الوقْـتِ الحاضـر، يَسـكُن الـرُّوح بيْنَنَـا، ويعْطينَـا مَظْهَـرًا أَكثَـر وُضوحًـا عـن نَفسِـه مِـن ذِي قَبْـل».[٢١]

وَلكَـي نَسـتوْعِب جميـع أَسـمَاء الـرُّوح اَلقُـدُس، فقـد عملنَـا على اَلوُصـول إِلـى أَوسَـع نِطَـاق مُمْكِـن. وَلَكنَّنَـا نَحْتـاج إِلـى أن نُلْقِـي نَظـرَة إِلـى الأعْلـى أيْضًـا. وَفِـي نِهايـة المطَـاف، فَـإِنَّ شـخْصانيَّة الـرُّوح اَلقُـدُس لاَ يُمْكِـن ضَمَانهَـا مِـن خِلاَل وُجُـود مِثْـل هذَا الأسَـاس الواسـع فِـي تَارِيـخ الـخلاَص. بـل إِنَّ اَلهوِيَّـة الشَّـخْصانيَّة لِلـرُّوح اَلقُـدُس هِـي شَـيْء يَمتلِكـه دائمًـا فِـي حَيَـاة اَللَّـه الأبديَّـة. وَهُـو يَحمِـل هَـذِه اَلهوِيَّـة معـه إِلـى تَدبِيـر الـخلاَص. إِنَّ مُجـرَّد نَظـرَة إِلـى الأعْلـى نَحْـو تِلْـك الحقيقـة الإِلهيَّـة اللاَّمحْـدودة تَكفِـي. إِنَّ هدفنَـا لَيْـس أن نُشـتِّت اِنْتباهنَـا عَمَّـا يفْعلـه الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي تاريخنَـا، بـل أنْ نُؤَسِّسـه على كِيانـه الأبَـديِّ اَلـذِي يَتَجـاوَز تاريخنَـا. لَقـد أَكَّـد

21 Gregory of Nazianzus, "Oration 31.26," in *On God and Christ: The Five Theological Orations and Two Letters to Cledonius* (Crestwood, NY: St. Vladimir's Seminary Press, 2002), 137.

أعتقد أنَّ أفضل تفسير لغريغوريوس هو استخدام تسمية «العهد الجديد» في هذه الحالة للإشارة إلى الأناجيل، والوقت الذي «يحلّ فيه الروح بيننا» للإشارة إلى الوقت منذ يوم الخمسين (الذي يشمل أعمال الرسل، والرسائل، والكنيسة منذ ذلك الحين). يقدِّم كلايف لويس حجَّة مماثلة، في صيغة دفاعيَّة، في كتابه:

Mere Christianity (New York: Collier, 1960), 143.

الفصْـل الثَّانـي هَـذِه الخلْفيَّـة الثَّالوثيَّـة، بِطبيعـة اَلْحـال. وَلكِـن مِـن الصِّحِّـيِّ أن نَسـتعِيد هـذَا فِـي أذْهانَنـا فِـي نِقَـاط رَئِيسِـيَّة مِثْـل هَـذِه: إنَّ الـرُّوح هُـو هُـو، وَلكِـن لَيْـس بِسَـبب مَـا يفْعلـه بيْنَنـا فِـي النِّطَـاق الكامـل لِتارِيـخ الـخلاَص. بـل إِنَّ الحرَكـة تسـير فِـي الاتِّجـاه الآخـر؛ فَهُـو يَفعَـل مَـا يفْعلـه بيْنَنـا وَهُـو مَـن هُـو فِـي تاريخنَـا لِأَنَّـه يَحمِـل هَـذِه اَلهوِيَّـة بِالْفِعْـل فِـي الأعْلـى، مِـن الأزل، بِطبيعتـه. وقـد عَبَّـر أَنـدرو مُـوراي Andrew Murray (١٨٢٨-١٩١٧) عـن الأمْـر بِـشَكلٍ جَيِّـدٍ: «لَقـد أُعطِـيَ لَنَـا لِيجْعلنَـا شُـرَكاء فِـي الحيَـاة والطَّبيعة الإلهيَّـة، لِيكـون فِينَـا ويعْمـل فِينَـا مِـن الآب والابْـن».[٢٢]

صَلاَة لِلرُّوح اَلقُدُس

كتـب وِيلْيَـام هِنَـري جريفِيـث تُومـاس W. H. Griffith Thomas (١٨٦١-١٩٢٤): «إِنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس هُـو مَجَـال وأجْـوَاء الـصَّلاَة فِـي نَفْـس الوقْـتِ».[٢٣] وقـد أَدلَـى بِهَـذه الملاحظـة فـي أَثنَـاء شَـرحِه أَنَّـه فِـي حِيـن أَنَّـه مِـن اَلممْكِـن لِلْمسـيحيِّين أن يَصلُّـوا **إِلـى** الـرُّوح **مِـن أَجْـل** الـرُّوح، **وَفِـي** الـرُّوح، والْكتـاب اَلمُقـدَّس يُركِّـز بِـشَكل كبير على هـذَا الوضْـع اَلأخِيـر. فَـإِنَّ الـصَّلاَة بِالـرُّوح اَلقُـدُس، المفْهومـة فِـي سِياقِهَا الثَّالوثـيِّ الكامـل، هِـي الـشَّكْل الحقيقـيُّ لِلْعبـادة فِـي العهْـد اَلجدِيـد. وَلِهـذَا السَّـبب تَحَـدَّثنَـا بِالْفِعْـل عـن رُوح «التَّضرُّعـات» فِـي الفصْـل اَلْخـاصِّ بِـالآب والـرُّوح اَلقُـدُس. هُنَـاك تَيَّـار قَـوِيٌّ وَثابِـت فِـي العبـادة المسـيحيَّة، وَهُـو يَتدفَّـق نَحْـو الآب. إِنَّ صِيغتَنَـا

22 Andrew Murray, *Spirit of Christ: Thoughts on the Indwelling of the Holy Spirit in the Believer and the Church* (London: James Nisbet, 1888), 325–26.

23 W. H. Griffith Thomas, *The Holy Spirit* (Grand Rapids, MI: Kregel, 1986), 283.

الثُّلاثيَّـة المفيـدة بشـأن أَعمَـال اَللَّـه هِـي الأسَـاس لِهَـذا. إنَّ أَعمَـال اَللَّـه غَيْـر المُنْفصلـة هِـي مِـن الآب، مِـن خِلاَل الابْـن، فِـي الـرُّوح اَلقُـدُس. إِنَّ عوْدتَنَـا إِلـى اَللَّـه، بِنَـاءً علـى هـذَا الأمْـر بِقـوَّة، تَعُـود بِنَـا إِلـى الثَّالـوث، «بِالـرُّوح اَلقُـدُس، مِـن خِلاَل الابْـن، إِلـى الآب». هـذَا النَّمـط الثَّالوثـيُّ هُـو «اَلدلِيـل السَّماويُّ» لِلـصَّلاَة المسيحيَّة،[٢٤] والـرُّوح اَلقُـدُس هُـو مُنَفِّذهَـا. علىْنَـا أن نَجعَـل هـذَا الأمْـر واضحًـا فِـي أذْهانَنَـا وَنبقِيـه فِـي أذْهانَنَـا بِاعْتبـاره الشَّـيْء الرَّئيسـيَّ.

وَلكِـن يَبقَـى السُّـؤَال: هـل يُمْكننَـا أيْضًـا أن نُصلِّـي إِلـى الـرُّوح اَلقُـدُس؟ وَبصُـورةٍ أَدَقَّ، هـل يليـق بِالْمسيحيِّين أن يُركِّـزوا اِنْتباههـم علـى شَـخْص الـرُّوح اَلقُـدُس المتميِّـز ويوجِّهـوا لَـه الصَّلـوات؟ اَلْجَـواب المخْتصَـر هُـو نعـم. يُمْكِنـك أن تُصلِّـي إِلـى أيِّ شَـخْصٍ هُـو اَللَّـه، وَلذَلِـك فَـإِنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس مُؤهَّـل بِلاَ حُـدُود (راجـع الـشكل ٢-١).

أَمَّـا اَلْجَـواب اَلطويـل فَهُـو أَنَّـه فِـي حِيـن أنَّ الأمْـر مَسـمُوح بِـه، إِلاَّ أَنَّـه هُنَـاك دائمًـا شَـيْء غريـب فِـي تَوجِيـه الـصَّلاَة إِلـى الـرُّوح اَلقُـدُس. كَلمَـة غريـب هُنَـا مَعْنَاهـا اَلجـذْرِيُّ هُـو «خَـارِج المرْكـز». إِنَّـا نَعلَـم أنَّ مَركَـز الـصَّلاَة هُـو الآب، اَلـذِي نَتَّجِـه نَحـوُه مِـن خِلاَل الابْـن فِـي الـرُّوح اَلقُـدُس. إِنَّ الـصَّلاَة اَلتِـي يمْنحهَـا الـرُّوح اَلقُـدُس ويمكِّنهَـا هِـي صَلاَة مَركزِيَّـة جذرِيَّـة، وتحـرُّك اَلمُصلِّـي دائمًـا هُـو إِلـى قَلْـب لِقَـاء مـع الآب. مَـا هُـو مَوقِـف الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي هـذَا

٢٤ لقب أطلقه جون أوِن على أفسس ٢: ١٨، وهو البيان الأكثر إشراقًا في الكتاب المقدَّس عن ذلك النمط.

John Owen, *Communion with the Triune God* , ed. Kelly M. Kapic and Justin Taylor (1657; repr., Wheaton, IL: Crossway, 2007), 420.

اللِّقَـاء؟ وَهنَـا نـودُّ أن نَتَأكَّـد مِـن أَنَّنَـا نُفكِّـر بِوضـوحٍ تـامٍّ فِـي مَـا يَحـدُث لَنَـا فِـي الـصَّلاَة، مُتَّبعِيـن إِرْشـادات الكتَـاب اَلمُقـدَّس.

لاَ يَتِـمُّ اِسْـتبْعاد الابْـن والـرُّوح اَلقُـدُس أبـدًا مِـن لِقائِنَـا مـع اَللَّـه فِـي الـصَّلاَة. بـل إِنَّ إِبْعادهمَـا سَـيكُون، مِـن النَّاحيـة العمليَّـة، بِمثابـة مُعاملتهمَـا بِاعْتبارهمَـا وَسِـيلَة لِتحْقِيـق غَايَـة أو نَـوْع مِـن الدَّعائـم الاخْتياريَّـة الموْجـودة فقـط لِتوصِّلنَـا إِلـى الهـدف. وَهـذَا يَعنِـي تَخفِيـض رُتْبتهمَـا إِلـى مَرْتَبَـة غَيْـر إِلهيَّـة، بِاعْتبارهمَـا اَلطرِيـق لِلْوصـول إِلـى اَللَّـه وَلكِـن لَيْـس كَإِلَـه. وَلكِـنَّ الإلـه الحقيقـيَّ اَلوحِيـد هُـو الآب والابْـن والـرُّوح اَلقُـدُس. لَيْـس علَيْنَـا أبـدًا أن نَتَعامَـل مـع اَللَّـه دُون الـرُّوح. نَحْـن نَعبُـد، ونسْـجد، وَنحِـبُّ الـرُّوح اَلقُـدُس نَفسَـه. عِنْدمَـا نُصِـرُّ علـى هـذَا الأمْـر بِحـقٍّ ونعْبـد الثَّالـوث بِأكْمَلـه، فَإِنَّنَـا فِـي بَعْـض الأحْيـان نَقُـوم بِنَـوع مِـن الإشـارة العقْليَّـة لِوَضـع الثَّالـوث علـى بُعْـدٍ كموْضـوعٍ لِصلاتنَـا. إِنَّ القيَـام بِذَلـك يُعَـدُّ أمْـرًا تجْريديًّـا إِلـى حـدٍّ مَـا. وَهـذَا يُشـير إِلـى أنَّ الـصَّلاَة الثَّالوثيَّـة هِـي بِبسـاطة صَلاَة نَحْـو هـدف، وَهُـو الثَّالـوث. لَكِـنَّ الـصَّلاَة الثَّالوثيَّـة هِـي أيْضًـا عمـل دَاخلِـيٌّ إِلـى حـدٍّ كبيـر. إِنَّ مِثْـل هَـذِه الـصَّلاَة، فِـي الواقـع، مَأخُـوذة بِالْفِعْـل فِـي دِينامِيكيَّـة الثَّالـوث، وليْـس الثَّالـوث اَلبعِيـد «هُنَـاك»، كمَـا هُـو اَلْحـال، وَلكِـنَّ الثَّالـوث الغامـر اَلـذِي جلـب اَلمُؤمـن إِلـى عَلاقَـة مـع الآب مِـن خِلاَل الابْـن **فِـي** الـرُّوح اَلقُـدُس. لاَحَـظ الأهمِّيَّـة العميقـة لِكلمـة **فِـي** الصَّغيـرة لِفهْمِنَـا لِلـصَّلاَة والـرُّوح اَلقُـدُس. إِنَّ الـصَّلاَة فِـي الـرُّوح هِـي الـصَّلاَة فِـي الثَّالـوث، بِـشَكلٍ مَركَـزِيٍّ. وَلِهـذَا السَّـبب يَقُـول أَنـدِرو مُـوراي: «مِـن بَيْـن وَظائِـف الـرُّوح اَلقُـدُس، فَـإِنَّ الوظيفـة اَلتِـي تقودنَـا بِـشَكلٍ

أَعمَـق إِلـى فَهْـم مَكانِـه فِـي التَّدْبيـر الإِلَهـيِّ لِلنِّعْمـة، وَإِلَـى سِـرِّ الثَّالـوث الأقْـدس، هُـو العمـل اَلـذِي يَقُـوم بِـه كَـرُوح الـصَّلاَة».[٢٥] إِنَّ اَلبُعـد اَلعمِيـق لِحضـور الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي الـصَّلاَة هُـو أَمْـر بَالِـغ الأهمِّيَّـة، وَهُـو مَـا قـد نفْقـده إِذَا اِنْتقلْنَـا مِـن الواقـع الرَّئيسـيِّ والْمرْكـزيِّ لِلـصَّلاَة إِلـى نَـوْع مِن التَّـأمُّلات الاخْتياريَّـة مُخْتلَّـة المرْكز.

إِنَّ جُـزْءًا آخـر مِـن الإجابـة الطَّويلـة عـن سُـؤَالنَا بشـأن الـصَّلاَة إِلـى الـرُّوح يَتَضمَّـن الشَّـهادة الكتابيَّـة وتفْسـيرهَا التَّقْليـديَّ. الحقيقـة هِـي أَنَّـه لاَ تُوجَـد صَلَـوات مُحَـدَّدَة مُوَجَّهَـة إِلـى الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس. مَـاذَا علَيْنَـا أن نَفعَـل بِهَـذا؟ هُنَـاك عـدد قليـل جِـدًّا مِـن التَّقاليـد المسـيحيَّة ذات الحرفيَّـة الشَّـديدة اَلتِـي اِعْتبَـرتْ صَمْـت الكتَـاب اَلمُقـدَّس هُنَـا سـببًا قاطعًـا لِعَـدم الـصَّلاَة إِلـى الـرُّوح اَلقُـدُس. لَكِـن يُوجَـد لَـدى مُعظَـم الكنائـس والطَّوائـف المسـيحيَّة الرَّئيسـيَّة صَلَـوات لِلـرُّوح اَلقُـدُس، وَخَاصَّـةً فِـي شَكْل تَرانِيـم. هُنَـاك تَرانِيـم يُونانيَّـة قَدِيمَـة جِـدًّا لِلـرُّوح، والتَّرنيمـة اللاَّتينيَّـة «تَعَـال أَيُّهَـا الـرُّوح الخالـق» لرابانـوس مـوروس Rabanus Maurus (تقريبًـا ٧٨٠-٨٥٦)، وترْنيمـة «تَعَـال أَيُّهَـا الـرُّوح اَلقُـدُس، وأَلْهِـمْ قُلوبَنَـا» لِتشـارْلز وِيسْـلي، بِبيْتِهَـا اَلأخِيـر اَلعمِيـق اَلـذِي يَقُـول لِلـرُّوح:

اَللَّه، مِن خِلاَل نَفسِه، سيعزِّفنَا بِنفْسه،

إِن أَشرَقت فِي دَاخِلِنا؛

25 Murray, *Spirit of Christ* , 195.
يختتم موراي كتابه، الذي يركّز بشكلٍ حادٍّ على الروح القُدُس، كلّ فصلٍ بمجموعة من الصلوات. هذه الصلوات كلُّها موجَّهة إلى الآب، وذلك على وجه التحديد لأنَّ موراي يتأمَّل في الروح القدس ويتبع قيادة الروح القدس.

مُرَدِّدا، مع كُلِّ قِدِّيسَيك هُنَا،

أَعمَاق اَلحُبِّ الإلَهيِّ.[٢٦]

وَنجِـد أيْضًـا اَلعدِيـد مِـن الصَّلـوات الموجَّهـة إلـى الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي طُقُـوس الكنائـس المخْتلفـة عَبْـر اَلعُصـور، وَخَاصَّـةً كأقْسَـام فَرعِيَّـة مِـن الصَّلـوات الأطْـول اَلتِـي تُصلَّـى بِدوْرِهَـا إلـى كُلٍّ مِـن الأشْـخاص الثَّلاثـة. وأفْضـل هَـذِه الأناشـيد هِـي تِلْـك اَلتِـي تَتَّسِـم بِالتَّعْقيـد الرَّائـع، وَتَكاد تَدعُـو دائمًـا إلـى الآب والابْـن أيْضًـا، وَتوجِّـه عَقْـل العابـد إلـى مـلْء العلاقـات الثَّالوثيَّـة. وَهـذِه الأمْثلـة هِـي مُجـرَّد الوثائـق المكْتوبـة عـن العبـادة المسـيحيَّة؛ تَخيَّـلْ كُلَّ الأوْقـات والأماكـن غَيْـر المسـجَّلة اَلتِـي وَجَّـه فِيهَـا المؤْمنـون صلواتهـم إلـى الـرُّوح اَلقُـدُس.

بِاخْتصـار، يَبـدُو أنَّ هُنَـاك شُـعورًا مِـن جَانِـب المسـيحيِّين بِـأنَّ غِيَـاب الـصَّلاَة إلـى الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس يُؤسِّـس لِنَـوعٍ مِـن المبـادئ التَّوْجيهيَّـة لِصلواتنَـا. إنَّ الـصَّلاَة إلـى الـرُّوح اَلقُـدُس مَسـمُوح بِهَـا وَرُبَّمَـا تَكُـون مُهمَّـة لِتأْكِيـد أُلوهِيَّـة الـرُّوح اَلقُـدُس الكاملـة وشـخْصيَّته المتميِّـزة أو التَّـدَرُّب على عمـل الـرُّوح. وَلكِـن يَنبَغِـي أن تَبقَـى فِـي إطَـار نِسْـبَة لائِقـة. يَنبَغِـي للمسـيحيِّين، كأفْـرَاد وككنائـس، أن يسْـعوْا إلـى جَعْل حَياتِهـم الصَّلْواتيَّـة مُتوافقة مـع الأبْعـاد الكتابيَّـة. إذَا كُنْـت سـتصلِّي بِـشَكل رَئِيسِـيٍّ إلـى الـرُّوح اَلقُـدُس، فلـن تَكُـون بِذَلـك تَكسـر أيَّ وَصيَّـة كِتابِيَّـة، وَلكِـنَّ حياتـك التَّعبُّديَّـة سَـتكُون غَيْـر كِتابِيَّـة بِـشَكلٍ لاَفِـتٍ لِلنَّظـر فِـي أبْعادهَـا. إنَّ

26 John Wesley and Charles Wesley, *Hymns and Sacred Poems* (London: Strahan, 1740), 43.

الـرُّوح اَلقُـدُس نَفسَـه يَدفَـع بِقـوَّة ضِـدَّ هَـذِه الغرابـة، سَـوَاء فِـي شَـخصِه أو فِـي الكتَـاب اَلـذِي كَتبَـه. وقـد لَخَّـص هَاندِلـي مـول اَلموْقِـف اَلحكِيـم علـى النَّحْـو التَّالـي:

> بيْنمَـا نَسـعَى بِحَـذر وَتوقِيـر إِلـى تَذكُّـر قَوانِيـن الكتَـاب اَلمُقـدَّس، وَأَنَّـه وفْقًـا لَهَـا فَـإِنَّ عَلاقَـة اَلمُؤمـن بِالـرُّوح لَيسَـت بِعلاقـة عِبـادة مُبَاشـرَة بِاعْتبارهَـا اِعْتمـادًا يسْـتلْزمهَا بِالْكامـل، دَعُونَـا نَعبُـده بِثقـة وامْتنـان، ونطْلـب بركاتـه، حَيْـث تَتَحـرَّك أَرْواحنَـا إِلـى مِثْـل هـذَا العمـل تَحْـت نِعْمتـه.[٢٧]

إِنَّ اَلْجَـواب الكامـل عـن السُّـؤَال: هـل يُمْكننـي أَنَّ أَصلِّـي إِلـى الـرُّوح اَلقُـدُس؟ هُـو نعـم، وَلكِـن بِـشَكلٍ رَئِيسِـيٍّ يَجِـب أن تُصلِّـي فِـي الـرُّوح، مِـن خِلاَل الابْـن، إِلـى الآب.[٢٨]

إِنَّ هـذَا السُّـؤَال عـن الـصَّلاَة يُـشكِّل نموذَجًـا مُصَغَّـرًا مِثالِيًّـا لِكامـل عقيدتنَـا عـن الـرُّوح اَلقُـدُس. وَكمَـا هُـو اَلْحـال عَـادَةً، وللْمَـرَّة الثَّالثـة الآن، فَـإِنَّ مَـا قـد يَبـدُو وَكَأَنَّـه مسْـؤوليَّة أو تَعقِيـد فِـي النِّيوماتولوجيـا يَتَبيَّـن أَنَّـه نِعْمَـة. هـل يَتَكلَّـم الكتَـاب اَلمُقـدَّس عـن الـرُّوح بِصـورة غَيْـر شـخْصانيَّة؟ نعـم، لِأَنَّـه يَعمَـل شـخْصيًّا فِـي دَاخلِنـا. ألا يَبْـدو «الـرُّوح اَلقُـدُس» كِاسْـم علـى الأَرْجـح؟ نَعـم، لِأَنَّ الأَمْـر يَتَطلَّـب الكتَـاب اَلمُقـدَّس بِأَكْمَلـه لِتطْوِيـر اِسْـمِه

27 Moule, *Veni Creator* , 18.

٢٨ سأنهي هذا الكتاب بترنيمة تشارلز وسلي للروح القُدُس، وهي مثال على نوع الصلاة الموصوف أعلاه، ممَّا يجعل مكان الروح القُدُس في الثالوث واضحًا. لمزيد من التعليقات عن الصلاة للروح القُدُس، انظر:

J. I. Packer, *Keep in Step with the Spirit* , 2nd ed. (Wheaton, IL: Crossway, 2021), 261; and Graham Cole, *He Who Gives Life: The Doctrine of the Holy Spirit* (Wheaton, IL: Crossway, 2007).

المتعـدِّد الأشْكال. هـل يَفتَقِـر الكتَـاب اَلمُقـدَّس إِلـى الـصَّلاَة لِلـرُّوح اَلقُـدُس؟ نعـم، لِأنَّ جميـع صَلَـوات الكتَـاب اَلمُقـدَّس هِـي فِـي الـرُّوح اَلقُـدُس. بِكلِّ هَـذِه الطُّـرق وأكْثـر، يَدعُونـا الـرُّوح نَفسـه إِلـى أن نَتَعلَّـم هُويَّتـه مِنْـه هُـو نَفسـه وليْـس مِـن خِلاَل توقُّعاتنَـا العشْـوائيَّة والْمتقلِّبـة. «اَللَّـه، مِـن خِلاَل نَفسِـه، سـيعْرِّفنَا بِنفْسـه».

عِنْدمَـا نَنتَبِـه جيِّـدًا إِلـى الـرُّوح اَلقُـدُس بِالطَّريقـة اَلتِـي يُريدنَـا أن نَنتَبِـه بِهَـا إِلَيـه، نَجِـد أَنَّـه لَـم يَتَقبَّـل عِبادتنَـا فحسْـب، بـل وَجَّـه اِنْتباهنَـا أيْضًـا بِـشَكلٍ سِـياديٍّ إِلـى الآب والابْـن. إنَّ المسـيحيَّ اَلـذِي يعيـش ويسْـلك فِـي الـرُّوح اَلقُـدُس يَتَحـدَّث بِـشَكلٍ أَساسِـيٍّ عـن يَسُـوع اَلمسِـيح ويتحَـدَّث بِـشَكلٍ أَساسِـيٍّ إِلـى اَللَّـه الآب.

لاَ خَامِل ولاَ عَاطِل عن العمل

إِنَّنـا بِحاجـة إِلـى مُحَاولَـة تَقدِيـم مُلخَّـص شَـامِل لِعَمـل الـرُّوح اَلقُـدُس، وَلكِـنَّ التَّلْخيـص صَعْـب بِـشَكلٍ خـاصٍّ هُنَـا. إِذَا قَـرأَت على نِطَـاق وَاسِـع فِـي أَفضَـل اَلكُتـب عـن الـرُّوح اَلقُـدُس، فسـوْف تُلاَحِـظ شـيْئًا غريبًـا فِـي الطَّريقـة اَلتِـي يَتَحـدَّث بِهَـا عُلَمـاء اللاَّهـوتِ المسـيحيُّون عـن عمـل الـرُّوح اَلقُـدُس. تَراهُـم يصْنعـون قَوائِـم. تميـل أَفضَـل مُعالجـات النِّيوماتولوجيـا إِلـى التَّحَـوُّل، فِـي مَرْحَلـةٍ مَـا، إِلـى سِلْسـلة مِـن الأشْـياء اَلتِـي يَقُـوم بِهَـا الـرُّوح اَلقُـدُس، وَعـادَةً مَـا تَنمُـو السِّلْسـلة بِمَـا يكفِـي بِحَيـث تُصْبِـح نَوْعًـا مِـن «القائمـة» وَتكُـون هِـي الطَّريقـة الواضحـة لِجمْعِهَـا جميعًـا معًـا. يُمْكننَـا أن نُسـمِّي عَقِيـدَة عمـل الـرُّوح بِأنَّهَـا قُوائميَّـة بِالضَّـرورة. إِنَّ نِيوماتولوجيـا بِلاَ قَوائِـم لَـن يَكُـون لَديْهَـا مَـا تَقولُـه عـن عمـل الـرُّوح

اَلقُـدُس. وَلكِـن هُنَـاك اَلكثِيـر مِمَّـا يَجِـب قَولُـه. دَعُونَـا نُلْقِـي نَظـرَة علـى بَعْـض الأَمْثلـة علـى عِلْـم النِّيوماتولوجيـا القوائمـيِّ.

يَبـدَأ جُـون أُوِن بِادِّعَـاءٍ صَـارِخ بِشَـأن عمـل الـرُّوح اَلقُـدُس بِاعْتبـاره اَلمُكمِّـل: «إِذَا نزعْنَـا تَدبِيـر الـرُّوح اَلقُـدُس، ومجْرياتـه الفعَّالـة فِـي كُلِّ التَّعـاملات اَلتِـي تَتِـمُّ بَيْـن اَللَّـه والْإِنْسـان؛ فِـي خجـل مِـن الاعْتـراف بِالْعَمـل المنْسـوب إِلَيـه فِـي الإِنْجيـل؛ فَـإِنَّ المسـيحيَّة تُقتَلَـع مِـن جُذورِهَـا».[٢٩] يَملِـك أُوِن نَزعَـة قَويَّـة لِتثْبِيـتِ الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي مَركَـز اَلأُمـور الرَّئيسـيَّة فِـي الإِنْجيـل. وَهـذَا هُـو فِـي الواقـع اَلأُفـق اَلـذِي يَجِـب أن نَنظُـر فِيـه إِلـى عمـل الـرُّوح. فِـي جميـع كُتُـب أُوِن العديـدة عـن النِّيوماتولوجيـا، فَإِنَّـه يَنتِـج عـددًا مِـن القوائـم الثَّانويَّـة اَلتِـي تَجمـع تَفاصِيـل هـذَا الادِّعـاء الواسـع.

هـذَا هُـو نَمُـوذَج العقيـدة الصِّحِّيَّـة لِلـرُّوح اَلقُـدُس، وَهُـو إِدِّعـاء مُوسَّـع عـن عمـل الـرُّوح اَلقُـدُس اَلـذِي لاَ غِنًـى عَنْـه فِـي اَلأُمـور المرْكزيَّـة، يتْبعـه سَـرْد مجيـد لِعـدَّة بُنُـود مُحَـدَّدَة. يُقـدِّم لَنَـا باسـيليوس القيصـريُّ مِثـالاً كِلاسـيكيًّا:

> مِـن خِلاَل الـرُّوح اَلقُـدُس يَتَأَتَّـى اِسْـترْدادنَا إِلـى الفـردوس، وصعودنَـا إِلـى مَلكُـوت السَّـماوات، وتبنِّينَـا كأَبْنَـاء اَللَّـه، وحرِّيَّتنَـا فِـي أن نُسـمِّي اَللَّـه أبانَـا، وَنصبِـح شُـرَكاء فِـي نِعْمَـة اَلمسِـيح، وَنُدعَـى أَبنَـاء النُّـور، ونشـارك فِـي المجْـد الأَبَـديِّ، وَبكلِمـة وَاحِـدة، مِيراثنَـا مِـن مـلْء البرَكـة، سَـوَاء فِـي هـذَا

29 John Owen, *Pneumatologia, or, A Discourse concerning the Holy Spirit* , vol. 2, *Works of John Owen* (London: Richard Baynes, 1826), x.

العالـم أو فِـي العالـم اَلآتِـي.[٣٠]

إِنَّ قَائِمـة باسـيليوس مَلِيئَـة بِالْحقائـق الأُخْرويَّـة، مِـن الفـردوس المتجـدِّد إِلـى مِيراثنَـا فِـي العالـم القـادم. وَهُـو يميـل إِلـى المعْنـى الكامـل والنِّهائـيِّ لِلْـخلاَص ويهْتـمُّ بِـإِدْرَاج الإِشـارات إِلـى الآب والابْـن. وبعْـد أَكثَـر مِـن أَلْـف عـامٍ، قـال جُـون وِسْـلِي، عِنْدمَـا طُلِـب مِنْـه أن يُعْلِـن إِيمانـه، مَـا يَلِـي عـن الـرُّوح اَلقُـدُس:

«أنَـا أُومِـن بِـأنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس السَّـرْمديَّ اللاَّنهائـيَّ، المسـاوي لِلْآب والابْـن، لَيْـس فقـط مُقَدَّسًـا تمامًـا فِـي ذَاتِـه، بـل هُـو السَّـبب المباشـر لِكلِّ قَداسَـة فِينَـا؛ وَهُـو يُنيـر فَهمنـا، ويصحِّـح إِرادتنَـا وعواطفنَـا، ويجـدِّد طبيعتنَـا، ويوحِّـد أَشْـخاصنَا بِالْمسيح، ويضْمن لَنَـا التَّبَنِّـي كأَبْنَـاء، ويقودنَـا فِـي أَفْعالنَـا؛ ويطهِّـر ويقـدِّس أَرْواحنَـا وأَجْسـادنَا، لِلاسْـتمْتاع الكامـل والْأبـديِّ بِاللَّـه».[٣١]

وتمْتـدُّ قَائِمـة وِسْـلِي مِـن الحيَـاة الدَّاخليَّـة السَّـرْمديَّة لِلَّـه إِلـى التَّحَـوُّل اَلـذِي يَحـدُث فِينَـا، ثُـمَّ يَبـدُو أَنَّهَـا تَأْخُـذ مُعظَـم إِشـاراتهَا مِـن الجوانـب المخْتلفـة لِلطَّبيعـة البشـريَّة: الفهْـم، والْإِرادة، والْعواطـف، والطَّبيعـة، والشَّـخْص، والْأَفْعـال، والْأَرْواح، والْأَجْسـاد. وَلكِـن كمَـا حـدث مـع قَائِمـة باسـيلْيوس، نَجِـد أَنفُسـنا نُخمِّـن إِلـى حـدٍّ مَـا الفئَـات الموحَّـدة ونعْتَـرف بِـأنَّ كُلَّ شَـيْء لاَ يَتَناسَـب موْضوعيًّـا. مَـا يَهـمُّ لَيْـس مَوضُـوع التَّنْظيـم التِّلْقائـيِّ، بـل

30 Basil of Caesarea, *On the Holy Spirit* (Crestwood, NY: St. Vladimir's Seminary Press, 1980), 59.

31 John Wesley, "Letter to a Roman Catholic," in *The Letters of the Rev. John Wesley* , ed. John Telford (London: Epworth Press, 1931), 3:9.

القائمة نفسهَا. إنَّ مُمَارسَة النِّيوماتولوجيا تَعنِي عمل مِثْل هَذِه القائمة.

إذَا قُمْت بِمقارنة هاتيْنِ القائمتيْنِ الممْتازتيْنِ، ستلاحظ أَنَّه لاَ يُمْكِن الرَّبْط بيْنهمَا بِشَكلٍ دقيق. فهُما تسْتخْدمان صُوَرًا مُختلفَة، وتطْرحان فِئَات مُختلفَة، وتشيران إلى مَقاطِع مُختلفَة مِن الكتَاب اَلمُقدَّس. قد يَكُون مِن اَلمغْرِي اِختِيار اَلمُفضَّل بيْنهم أو اِتِّهام إِحْداهمَا (أو كِلَيْهِمَا) بِإِهْمَال شَيْءٍ مَا. وَلكِن إِذَا نظرْنَا إِليْهِمَا لَيْس مِن حَيْث المحْتوى وَلكِن مِن حَيْث مَا تُحقِّقانه، فَمِن السَّهْل أن نرى أَنَّهُما تفْعلاَن الشَّيْء نَفسه. فَهمَا تُكْملاَن عَقِيدَة عمل الرُّوح مِن خِلاَل التَّحَرُّك بِسرْعة عَبْر سِلْسلة غَنيَّة ومتنوِّعة وَقَويَّة مِن الأفْعال الإلهيَّة. هَذِه هِي الممارسة القياسيَّة فِي عِلْم النِّيوماتولوجيا. يُمْكننَا أن نُعْطِي اَلمزِيد مِن الأمْثلة، وَلكِنَّ النَّتيجة سَتكُون قَائِمة مِن القوائم. إنَّ المقْصود لَيْس جَمعهَا كُلَّهَا، بل أن نُلاَحِظ أنَّ أَفضَل العقائد وأكْثرهَا تفْصيلاً لِلرُّوح اَلقُدُس تَتَناوَل مَوضُوع عَملِه فِي شَكْل قَائِمة.[٣٢]

إنَّ هَذِه لميزة رَائِعة لِعقيدة الرُّوح اَلقُدُس، حَيْث إنَّ العناصر المدْرجة فِي القائمة غَنيَّة وَعَميقَة لِلْغاية، والْمصادر الكتابيَّة لاَ تَنضُب، والْقوائم النَّاتجة ضَخمَة لِلْغاية بِحَيث يقع عِلْم اللاَّهوتِ النِّظاميِّ بِسهولة فِي إِيقَاع التَّسْبيح. إنَّ إِحصَاء بَرَكات الرُّوح لَيْس مُهمَّة مُحاسبيَّة جَافَّة، بل هُو سَرْد لِلْأَشْياء العظيمة اَلتِي تَملأ العقْل وتحرِّك القلْب. لاَ يَنبَغِي أن يكُون

٣٢ إنَّ أحد الأعمال المؤثِّرة التي يشير طولها إلى شيء قريب من الشموليَّة هو:
Abraham Kuyper, *The Work of the Holy Spirit* (New York: Funk & Wagnalls, 1900).

هُنَـاك شَـيْء غَيْـر مُهِـمٍّ فِـي عَقِيـدَة أَعمَـال الـرُّوح.

ومـع ذَلِـك، فَـإِنَّ هَـذِه الخاصِّيَّـة الفريـدة للنيوماتولوجيـا تَنطَـوِي على بَعْـض المخاطـر اَلتِي يَجِـب أن نَكُـون حذريـن مِنهَـا. يُمْكِـن أن تَكُـون القوائـم غَيْـر مُنَظَّمَـة بِـشَكلٍ كبيـر، حَيْـث تَسـرُد بِبسـاطة سِلْسـلة مِـن الأَشْـياء المنْفصلـة دُون الاهْتمـام بِاتِّصالاتهَـا مـع بعْضهَـا البعْـض. غالبًـا مَـا لاَ يَتِـمُّ تَجمِيـع القوائـم معًـا مِـن خِلاَل مَنطِـق دَاخلِـيٍّ قَـوِيٍّ أو ضَـرُورَة؛ إِذَا كان اَلمنْطِـق الدَّاخلـيُّ لِموْضـوعٍ مَـا واضحًـا، فَعـادَةً مَـا نُقَدِّمـه فِـي قِصَّـة أو مُخطَّـط تفْصيلـيٍّ بـدلاً مِـن مُجـرَّد سَـرْد عَناصِـره. يُمْكِـن أن تَكُـون النَّتيجـة أَنَّنَـا نُصْبِـح غَيْـر مُتأَكِّديـن أبـدًا مِـن مَتـى نَكُـون قـد أكْملْنَـا القائمـة. وَمِـن النَّاحيـة العمليَّـة، إِذَا طلـب مِنَّـا أحـد أن نُخْبِـرَه بِاخْتصـار عَمَّـا يفْعلـه الـرُّوح اَلقُـدُس، فلاَ نَسـتطِيع إِلاَّ أن نُعْطِـي سِلْسـلة طَوِيلَـة مِـن الأَشْـياء بـدلاً مِـن أن نَذكُـر بِسـرْعة الشَّـيْء اَلوحِيـد اَلـذِي يفْعله. قَـارَن بَيْـن النِّيوماتولوجيـا والْكريسـتولوجيا فِـي هـذَا الصَّـدد: مِـن السَّـهْل أن نَقُـول إِنَّ الابْـن يُخَلِّصنَـا مِـن خِلاَل اِتِّخـاذ طبيعتنَـا والْمَـوْتِ مِـن أَجلِنـا. يُمْكننَـا أن نَقُـول نَفْـس الشَّـيْء بِلغـة عقائديَّـة أَكثَـر (التَّجَسُّـد والْكفَّـارة)، أو يُمْكننَـا توْسـيعه، لَكِـنَّ التَّوَسُّـع يَبـدُو وَكَأَنَّـه إِضافـة مزيـد مِـن التَّفاصيـل بـدلاً مِـن إِكمَـال القائمـة. وَفِـي الكريسـتولوجيا، عِنْدمَـا نُوسِّـع بَيَانًـا مَـا، فَإِنَّنَـا عُمومًـا نَحكِـي اَلمزِيـد عـن قِصَّـة يَسُـوع؛ سِلْسـلة سَـردِيَّة، ولَيْـس مُجـرَّد قَائِمـة.

وَلَكِـن عِنْدمَـا يَتَعلَّـق الأَمْـر بِالـرُّوح اَلقُـدُس، فَإِنَّنَـا نميـل إِلـى الاسْـتمْرار فِـي سَـرْد اَلمزِيـد والْمزيـد مِـن أعْمالـه الرَّائعـة. هـل هُنَـاك صِيغـة قَصِيـرَة تُـؤَدِّي وَظِيفَـة مُحَـدَّدَة، كمَـا هُـو اَلْحـال فِـي

الكريستولوجيا؟ لاَ أَعتَقد أنَّ هُنَاك عَقِيدَة وَاحِدة حَقَّقَت مَكانَة كِلاسيكيَّة، سَوَاء فِي الكتَاب اَلمُقدَّس نَفسه أو فِي العقائد الكلاسيكيَّة. رُبَّمَا تَكُون الفئتان اللاَّهوتيَّتان الرَّائدتان الأقْرب إِلى الشُّمولِيَّة هُمَا: (١) الرُّوح اَلقُدُس يُطبِّق عمل اَلمسِيح، و(٢) الرُّوح اَلقُدُس يَسكُن المؤْمنين. إنَّ هذيْنِ هُمَا عملا الرُّوح اَلقُدُس اَلذِي أميل إِلى تأْكيدهما. وَكُلٌّ مِن هذيْنِ العمليْنِ يَتمتَّع بِكوْنه مُميَّزًا، وثالوثيًّا بِشَكلٍ وَاضِح، وَشامِلاً إِلى حدٍّ مَا، وَيمكِن التَّوَسُّع فِيه بِاسْتفاضة. وَلكِن مِن اَلجدِير أن نَعرِف أنَّ كُلَّ عَالِمٍ لاَهُوتيٍّ يَكتُب عن النِّيوماتولوجيا، مهما حَاوَل أن يَكُون تقْليديًّا، يَنتَهِي بِه الأمْر إِلى اِتِّخاذ بَعْض القرارات التَّعسُّفيَّة بشأن الفئَات اَلتِي يَجِب رَفعُها مِن القائمة إِلى مُستَوَى عَناوِين اَلفُصول. إِنَّ الاخْتيار هُو مَسْأَلة فَنِّيَّة أَكثَر مِنْه عِلْميَّة؛ مِن الفيْض الواسع لِأعْمَال الرُّوح اَلقُدُس، مَا هِي الفئَات الجاذبة اَلتِي ستجْمع الحقائق البارزة لِإِعْلاَم الفهْم المسيحيِّ وَتشجِيع الخبْرة المسيحيَّة عن الرُّوح اَلقُدُس؟

إِحْدى الطُّرق لِفَهم أَهَمِّيَّة هذَا الأمْر هِي أن نُفكِّر فِي مَا قد يَحدُث مِن خطأ إِذَا تمَّ إِهْماله. من دون الإِحْساس المسْتمرِّ بِأنَّنَا عرفْنَا الرُّوح اَلقُدُس نَفسه، والْقدْرة على التَّعَرُّف عليْه فِي أَعْماله، فَمِن اَلمُرجَّح أنَّنا قد نَنسُب عَمله إِلى الْآخرين. كَيْف يَبدُو ذَلِك؟ لِسوء اَلحَظِّ، الأمْثلة كَثِيرَة. إِنَّنا قد نُعيد تَوزِيع أَعمَال الرُّوح اَلقُدُس ونتْركه عاطلاً عن العمل فِي لاَهوتِنَا عِنْدمَا نَفشَل فِي إِدرَاك أَنَّه العامل الحاسم فِي العمل هُنَاك. تَبدَأ المشْكلة عِنْدمَا نُفكِّر فِي مُهمَّة حَيَويَّة لِفهْمِنَا وحياتنَا المسيحيَّة،

ثُـمَّ نَتَسـاءَل كَيْـف يُمْكِـن إِنْجازهَـا، مُتجاهليـن دَوْر الـرُّوح اَلقُـدُس فِيهَـا. إِنَّ اللاَّهـوتَ يَكـرَه الفـرَاغ، وَإِذَا تُـرِك الـرُّوح اَلقُـدُس دُون الاعْتـراف بِـه فِـي مَكَان مَـا هُـو فِيـه فِـي الواقـع بَالِـغ الأهمِّيَّـة، فَـإِنَّ أَجـزَاءً أُخـرَى مِـن العقيـدة سَـوْف تَتَسـارَع لِمـلء الفجْـوة. مِـن اَلمُرجَّـح أن تَكُـون تِلْـك المبـادئ أو الممارسـات اَلتِـي نَعتَـزُّ بِهَـا أَكثَـر مِـن غيْرهَـا، أو على الأقـلِّ نَشـعُر بِالْإِثـارة تُجَاههَـا أَكثَـر مِـن غيْرهَـا فِـي الوقْـتِ الحاليِّ. والطَّريقـة المفيـدة لِتشْـخِيص هـذَا النِّسْـيان لِلـرُّوح هِـي ضَبْـط آذانِنَـا على الثَّالـوث. إِنَّ الإيقـاع اَلـذِي يَنبَغِـي أن نسْـمعه هُـو الآب والابْـن والـرُّوح اَلقُـدُس. إِذَا سَـمِعنَا شـيْئًا آخـر يَـملَأ هـذَا الـمكَان اَلأخِيـر، فقـد يُشـير ذَلِـك إِلـى رُوح يُعَانِـي مِـن نَقْـص التَّوْظيـف وتـمَّ إِعـادة تَوزِيـع عَملِـه على الْآخريـن.

لَقـد وصـف عَالِـم اللاَّهـوتِ الدُّومينيكانـيُّ اَلعظِيـم إِيـف كُونْغَـار Yves Congar (١٩٠٤-١٩٩٥) المشـكلات المتكـرِّرة فِـي كنيسَـته بِهَـذه الطَّريقـة، تَحْـت عُنْـوان «بَدائِـل الـرُّوح اَلقُـدُس»[٣٣] ورغْـم أَنَّـه كاثوليكـيٌّ مُخْلِـص، فَـإِنَّ كُونْغَـار يَستشْـهِد بِعَـددٍ مِـن عُلَمـاء اللاَّهـوتِ الكاثوليـك الَّذيـن كَانَـت نُسْـختهم لِلْإيمـان المسـيحيِّ هِـي أَنَّـه جـاء إِلَيْنَـا مِـن الآب والابْـن والْبابَـا فِـي رُومَـا. وَهـذَا يَعنِـي أنَّ الطَّريقـة اَلتِـي تحدَّثـوا وكتبـوا بِهَـا عـن الـخلاَص وَصلَـت إِلـى النُّقْطـة الحاسـمة اَلتِـي لاَمسـتْ فِيهَـا حَيَاتَنَـا الخاصَّـة واسْـتَبْدلتْ سُـلطَة الكنيسـة بِالـرُّوح اَلقُـدُس. ويبْـدو لِكونْغـار أنَّ صِيَغًـا أُخـرَى مُؤْسِـفة «حَلَّـت محـلَّ الـرُّوح اَلقُـدُس وتركَتْـه فِـي الظِّـلِّ» جَـرَّاء حُضُـور القرْبـان اَلمُقـدَّس. وأخيـرًا، يَقتَبِـس عـن اِمـرأَة

33 Yves Congar, *I Believe in the Holy Spirit* (1979; repr., New York: Crossroad, 1997), 1:160–64.

كاثوليكيَّـة علْمانيَّـة شَـهدَت قَائِلـة: «عِنْدمَـا بَـدأْتُ دِراسـة اللاَّهـوتِ الكاثوليكـيَّ، وَجـدَتْ مَريَـم فِـي كُلِّ مَكَانٍ كُنْـت أَتوَقَّـع أن أَجِـد فِيـه شـرْحًا لِعقيـدة الـرُّوح اَلقُـدُس. إِنَّ مَـا يَنسُـبه البروتسـتانتُ عُمومًـا إِلـى عمـل الـرُّوح اَلقُـدُس يُنسَـب إِلـى مَريَـم».[٣٤] إِنَّ اَلطرِيـق إِلـى التَّعافـي مِـن هـذَا هُـو اِسْـتعادة الفهْـم الواضـح لِلْعمـل اَلـذِي يَقُـوم بِـه الـرُّوح اَلقُـدُس وَالـذِي لاَ غِنًـى عَنْـه.[٣٥]

وَهـذِه لَيسَـت مشـكلاتنَا علـى الجانـب البروتسـتانتيِّ، وَخَاصَّـةً بَيْـن الإِنْجيليِّيـن. فعنْدَمَـا يُتـرَك مكان الـروح فِـي لاَهوتِنَـا شـاغرًا، فَـإِنَّ مَـا يَنْدَفِـع لِملْئـه أَحْيانًـا هُـو نظْرتنَـا العاليـة لِلْكتَـاب اَلمُقـدَّس. هُنَـاك طَرِيقَـة لِلْحدِيـث عـن الـخلاَص تَقفِـز مِـن «الآب أَرسَـل اِبْنـه» إِلـى «الإِيمـان بِسُـلْطة وصـدْق الكتَـاب اَلمُقـدَّس» دُون ذِكْـر الـرُّوح اَلقُـدُس علـى طُـول اَلطرِيـق. وبعبـارةٍ أُخـرَى، يُمْكننَـا أن نُعْطِـي الانْطبـاع بِـأنَّ إِيمانَنَـا هُـو فِـي الآب والابْـن والْكتَّـاب اَلمُقـدَّس. مِـن الصَّعْـب تَصحِيح خلـل كَهـذَا، وَذلِـك علـى وَجْـه التَّحْديـد لِأَنَّ الخطـأ فِيـه لاَ يَكمُـن فِـي أَيِّ شَـيْء نَقِـرُّه. فالْكتـاب اَلمُقـدَّس هُـو فِـي الواقـع كَلِمَـة اَللَّـه الموْثوقـة ذات السُّـلْطة. لَكِـن مَـا هُـو خَاطِـئ فِـي هَـذِه النُّسْـخة مِـن الإِيمـان هُـو مَـا هُـو مَفقُـود أو فِـي غَيْـر مَكانِـه. إِنَّ عمـل الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي جَلْبنَـا إِلـى الإِيمـان بِالْمسـيح، وَعمَـل الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي وَحْـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس، هُـو الأَسَـاس

34 Congar, *I Believe* , 163.

الاقتباس مأخوذ من:

Elsie Gibson, "Mary and the Protestant Mind," *Review for Religious* 24 (1965): 397.

٣٥ يشهد عمل كونغار متعدِّد المجلَّدات عن الروح القدس على مشروعه الخاصِّ لتعزيز الروحانيَّة الكاثوليكيَّة. بالنسبة إلى بعض الانتقادات نفسها الموجَّهة إلى الروحانيَّة الكاثوليكيَّة في ضوء أكثر جداليَّة، انظر:

B. B. Warfield, "Introductory Note," in Kuyper ,*Work of the Holy Spirit*.

الضَّروريُّ. وَمن دُون عمل الرُّوح اَلقُدُس، كمَا قال جُون أُوِن، لاَ يُمْكننَا تَطبيق مَوْت وقيامة يَسُوع اَلمسِيح عليْنَا لِخلاصنَا ولاَ الكتَاب اَلمُقدَّس اَلذِي نَتَعلَّم فِيه عن يَسُوع اَلمسِيح.

إِنَّ اَلبدِيل الأَكْثر خفْيَة لِلرُّوح اَلقُدُس هُو يَسُوع. هُنَاك نَوْع مِن الطَّريقة غَيْر المتوازنة والْمبالغ فِيهَا لِلتَّأْكيد على يَسُوع اَلمسِيح وَالتِي تَتَخطَّى مَرَّة أُخرَى الرُّوح اَلقُدُس فِي الأماكن اَلتِي يَجِب التَّأْكيد عليْه فِيهَا. تَخيَّل طرْحًا لِلإِنْجيل تَحدَّث عن مَوْت يَسُوع وقيامته وَصعُوده إِلى السَّمَاء ثُمَّ مَجيئِه لِيعيش فِي قُلوبنَا. مَرَّة أُخرَى، كُلُّ العبارات صَحِيحَة. وَلكِن مَتى وَجَّه الكتَاب اَلمُقدَّس اِهْتمامه إِلى اِنسِكاب الرُّوح اَلقُدُس، فَإِنَّ هَذِه الطَّريقة فِي اَلحدِيث تَحلُّ مَحلَّه بِمزيد مِن عمل يَسُوع. الإِيقاع هُنَا، بِشَكل مُحبِط لِلْغاية، يَذهَب إِلى الآب والابْن ثُمَّ الابْن مَرَّة أُخرَى. يكَاد يكُون مِن المسْتحيل أن يكُون اللاَّهوتُ مُتمرْكزًا حَوْل اَلمسِيح أَكثَر مِن اللاَّزم، وَلكِن إِحْدى الطُّرق لِتحْقِيق ذَلِك هِي سَرقَة عمل الرُّوح اَلقُدُس مِنْه وإِعادة عَزْوِه إِلى يسوع، فِي تَناقُض مُبَاشِر مع تَعلِيم يَسُوع نَفسه عن سبب إِرْساله لِلرُّوح اَلقُدُس مِن الآب.[٣٦]

وأخيرًا، فَإِنَّ اَلبدِيل الدَّائم لِلرُّوح اَلقُدُس هُو التَّعْزية،

---

٣٦ في حين أنَّ العبارة «الآب والابن و...» هي مؤشِّر قويٌّ على عدم التوازن ونسيان الروح، إلاَّ أنَّها ليست أكثر من مؤشِّر. وهي لا تثبت وجود خلل، بل تنبِّهنا فقط إلى ضرورة النظر حولنا والتحقيق في الرسالة الإجماليَّة. قد يكون لبعض الجمل اللاهوتيَّة السليمة روحيًّا والمنظَّمة بحكمة أسباب وجيهة في الواقع لتسمية الشخصين الأوَّلين من الثالوث ثمَّ شيء آخر. وحتَّى في العهد الجديد لدينا التحدِّي المدهش من بولس، «أُنَاشِدُكَ أَمَامَ اللهِ وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَالْمَلاَئِكَةِ الْمُخْتَارِينَ» (تيموثاوس الأولى ٥: ٢١) وهو بالقطع ليس بهرطقة. لم يكن بولس مذنبًا بنسيان الروح، ولا ينطبق هذا أيضًا على أيِّ شخصٍ تكون أحكامه أقلَّ ثالوثيَّة في الشكل ممَّا توقَّعنا.

أيْ الإثـارة الدِّينيَّـة والتَّجْديـد. لَـدى بَعْـض الكنائـس عَـادَة سَـيِّئَة تَتَمثَّـل فِـي رَبْـط الـرُّوح اَلقُـدُس كثيـرًا بِالْمشـاعر الإنْسـانيَّة المتزايـدة والْقـدرات الرَّائعـة لَلتَّرنيـم أو الوعْـظ بِفعَّاليَّـة لِدرجـة أنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس نَفسَـه يَختَفِـي فِعْليًّـا فِـي خِضـمِّ تِلْـك الإثـارة. يَبـدَأ الارْتباط بِبـراءة كَافِيـة، مـع الاعْتـراف بِـأنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس يَتَحـرَّك أحْيانًـا بِقوَّة كَبِيـرَة مِـن خِلاَل المتكلِّميـن المَمْسـوحيْنِ ويسـبِّب إثـارة حَقيقِيَّـة لَدى المسْـتمعين. لَكِـنَّ الإغْـراء هُـو أن نَأخُـذ هَـذِه اللَّحظـات السَّـامية فِـي اِخْتبارنَـا، حَيْـث نَرتَفِـع بِنشْـوة إِلـى مَـا هُـو أَبعَـد مِـن أَنفسِـنا فِـي التَّسْـبيح والْعبـادة، ونخْلطهَـا مـع السُّـموِّ الإلَهـيِّ اَلفعْلِـيِّ لِلَّـه الـرُّوح اَلقُـدُس. إِنَّ أَرْواحنَـا البشـريَّة المثـارة، وَخَاصَّـةً فـي أَثنَـاء العبـادة الجماعيَّـة، تَرفعنَـا فَـوْق حالاتنَـا الطَّبيعيَّـة. وَلكِـنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس نَفسَـه مُرْتَفِـع ومتسـامٍ إِلـى مَـا هُـو أَبعَـد مِـن ذَلِـك. لاَ يَنبَغِـي لَنَـا أن نَخلِـط بَيْـن هذيْـنِ النَّوْعيْـنِ مِـن التَّسـامي والتَّرفُّـع، وَإلاَّ فَإِنَّنَـا سَـوْف نَسـمَح لِلتَّسـامي الأَدْنـى أن يَحـلَّ محـلَّ التَّسـامي الأَعْلـى. حَتَّـى أنَّ أَنتُونـي ثِيسـلتون Anthony Thiselton يَسـمَع هـذَا الإغْـراء يَتَسـلَّل إِلـى العـادة الحديثـة المتمثِّلـة فِـي اَلحدِيـث عـن الرُّوحانيَّـة. ويشـير إِلـى أنَّ الطَّريقـة اَلتِـي نَسـتخْدِم بِهَـا هَـذِه اَلكلِمـة، فِـي مَجَـال مِـن مجـالاَت الخبْـرة الإنْسـانيَّة، لَيسَـت مُمْكِنـة إِلاَّ لِأَنَّ كَلمَـة **الـرُّوح** اِنْتقَلـتْ مِـن الشَّـخْص الثَّالـث مِـن الثَّالـوث إِلـى تَجـارِب إِنْسـانيَّة مُتصاعـدة. تَظْهَـر هُنَـا مُشْكِلـة الاسْـتبْدال مَـرَّة أُخـرَى: إِنَّنَـا نُفكِّـر فِـي الحيَـاة المسـيحيَّة كشـيْء يَأتِـي إِلَيْنَـا مِـن اَللَّـه فِـي اَلمسِـيح مِـن خِلاَل الإثـارة، والْعفْويَّـة، والشُّـعور اَلمُكثَّـف، والْعبـادة المثيـرة، والْقـادة ذَوِي الكاريزْمَـا الشَّـخْصيَّة العظيمـة.

فَيصبِح الثَّالوث هُو الآب والابْن والتَّعْزية.[٣٧]

إنَّ الرُّوح اَلقُدُس لَه عَملُه اَلذِي لاَ غِنَى عَنْه، وَالذِي يَرتَكِز على هُويَّته الأبديَّة كَواحِد مِن الثَّالوث، ويمْتدُّ عَبْر تَارِيخ الخلاَص، ومغيِّرًا كُلَّ جَانِب مِن جَوانِب الطَّبيعة البشريَّة المُخلَّصة، وَمنتِجًا قَوائِم بِأعْماله العظيمة المميَّزة. إنَّ عمل الثَّالوث اَلذِي لاَ يَنفَصِل هُو دائمًا مِن الآب وَمِن خِلاَل الابْن. يَجِب عليْنَا أن نكُون يقظين لِتتبُّع هذَا العمل الإلَهيِّ حَتَّى نِهايَته فِي الرُّوح نَفسِه.

الصَّوْت اَلذِي تَسمعُه: الكتَاب اَلمُقدَّس

هُنَاك مَجَال مِن مجالاَت عمل الرُّوح يَستَحِقُّ الذِّكْر هُنَا بِشَكلٍ خاصٍّ، فِي الختَام. إنَّ الرُّوح اَلقُدُس يُرَاقِب إِشْرافيًّا على الكتَاب اَلمُقدَّس. إنَّ العقيدة السَّليمة تَفتَرِض وُجُود الكتَاب اَلمُقدَّس اَلمُوحى بِه، وتعْمل على هذَا الأسَاس. وَلكِن بِمَا أنَّ مُهمَّتنَا الخاصَّة هِي مُلاَحظَة الرُّوح اَلقُدُس نَفسه فِي أعْماله، فَيجِب عليْنَا أن نَلتَفِت ونتأَمَّل بِشَكلٍ خاصٍّ فِي الكتَاب اَلمُقدَّس بِاعْتباره أَدَاةً لِلشَّخْص الثَّالث، «سَيْفَ الرُّوحِ» (أفسس ٦: ١٧).

إنَّ الرُّوح اَلقُدُس لَه رِقابة إِشْرافيَّة على الكتَاب اَلمُقدَّس مِن كِلاَ النَّاحيتيْن، عِنْد نُقطَة نَشأَتِه وعنْد اِسْتقْباله. عِنْدمَا نَتَحدَّث عن عمل الرُّوح اَلقُدُس فِي أَصْل الكتَاب اَلمُقدَّس، فَإِنَّنَا نَتَحدَّث عن الوحْي. إنَّ الكتَاب اَلمُقدَّس هُو كَلمَة اَللَّه، اَلتِي يَتَكلَّم

37 Anthony Thiselton, *A Shorter Guide to the Holy Spirit: Bible, Doctrine, Experience* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2016).

بِهَـا الـرُّوح بِطريقـة تحْملهَـا أنْفاسـه وتحمـل نَسـمَة حَياتِـه فِيـه (تِيموثـاوس الثَّانيـة ٣: ١٦). وعنْدَمَـا نَتَحـدَّث عـن اِسْـتقْبال الكتَـاب اَلمُقـدَّس فَإِنَّنَـا نَتَحـدَّث عـن الاسْـتنارة. يَفهَـم اَلقُـرَّاء الكتَـاب اَلمُقـدَّس بِـشَكل صحيح، ويقدِّرونه بِـشَكل مُنَاسِـب، عِنْدمَـا يُشْـرِق الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي فَهمهِـم وَيعطِـي الحيَـاة لِقـوى الإدْراك الرُّوحـيِّ لَديهِـم. إنَّ الوحْـي والاسْـتنارة هُمَـا مِـن عمـل الـرُّوح اَلقُـدُس، وَلكُلٍّ مِنْهمَـا مكانـه فِـي اللاَّهـوتِ. مِـن الأفْضـل التَّعامـل مـع الوحْـي فِـي إِطَـار عَقِيـدَة الكتَـاب اَلمُقـدَّس، والاسْـتنارة فِـي إِطَـار التَّعْليـم بشـأن التَّفْسـير أو عِلْـم الهيرمنيوطيقَـا. كِلاهمَـا يَحـدُث فِـي مَجَـال الفعْـل الإلَهـيِّ، حَيْـث يَحـدُث التَّواصـل لِأنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس يُحَقِّقـه. المبْـدأ الشَّـامل هُـو أنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس يَجِـب أن يُقـرَأ بِقـوَّة الـرُّوح نَفسـه اَلـذِي كُتـب بِـه. إنَّ الوحْـي والاسْـتنارة ينْتميـان إِلـى نَفْـس الاتِّصاليَّـة فِـي سِـيَاق التَّواصـل مـع اَللَّـه، وكلاهمَـا عمـل مِـن أَعمَـال الـرُّوح نَفسـه.

لِكـيْ نَعـرِف الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس، علَيْنَـا أن نُرَاجِـع التَّصْريحـات الـواردة عَنْـه هنـاك، أيْ كَيْـف تَسـمَّى، وكيْـف وُصـف، وكيْـف يَعمَـل. يُمْكننَـا أن نَجمَـع هَـذِه المقاطـع، وَرُبَّمَـا عِـدَّة مِئَـات مِنهَـا، ونفكِّـر فِيهَـا جميعًـا معًـا، وَنبنِـي علَيْهَـا عقيدتنَـا عـن الـرُّوح اَلقُـدُس. لَكِـن تِلْـك الآيَـات عـن الـرُّوح اَلقُـدُس هِـي مُجـرَّد جُـزْء فَرعِـيٍّ مِـن كُلِّ الآيَـات الموْجـودة فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس، وليْسـتْ جُـزْءًا فَرعِيًّـا كبيـرًا بِـشَكلٍ خـاصٍّ. مَـا نَحْتـاج بِـشَكلٍ خـاصٍّ إِلـى إِدْراكـه مِـن أَجْـل مَعرِفـة الـرُّوح فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس هُـو أنَّ جميـع الآيَـات فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس يُشْـرَف علَيْهَـا بِـشَكلٍ مُبَاشِـر

مِـن قِبـل الـرُّوح اَلقُـدُس. إِنَّ الكتَـاب كُلَّـه هُـو مِلكـه. فَكِّـر فِـي الأَمْـر بِهَـذه الطَّرِيقـة: هُنَـاك نُسَـخ مِـن الكتَـاب اَلمُقـدَّس تطبـع كلمـات يَسُـوع بِاللَّـوْن الأَحْمـر. وَلَكِـن إِذَا حاولـتْ أن تَصنَـع نُسـخَةً مِـن الكتَـاب اَلمُقـدَّس تطبـع كلمـات الـرُّوح اَلقُـدُس بِلَـونٍ خـاصٍّ، فسـوْف تُضطَـرُّ إِلـى طِباعـة الكتَـاب اَلمُقـدَّس بِأَكْمَلـه بِهَـذا اللَّـوْن، أَيْ فِـي طَبعَـة بِالْأَحْـرف السَّـوْداء.

ومـع ذَلِـك، فَـإِنَّ بَعْـض كلمـات الكتَـاب اَلمُقـدَّس هِـي كلمـات نطـقَ بِهَـا الآب أو الابْـن. نَقـرَأ أَنَّ الآب قـال: «هـذَا هُـوَ ابْنِـي الْحَبِيبُ. لَـهُ اسْمَعُوا» (مرقُـس ٩: ٧)، وَقَـال الابْـن: «الَّـذِي أَرْسَـلَنِي هُـوَ مَعِـي» (يُوحنَّـا ٨: ٢٩). حَتَّـى أَنَّ الآب والابْـن يتكلَّمـان بَعضُهمـا مـع بَعْـض.[٣٨] مَـا نَحْتـاج إِلـى مُلاحظتـه الآن هُـو أَنَّ هَـذِه الكلمـات اَلتِي يَتَحـدَّث بِهَـا الشَّـخْص الأَوَّل والثَّانـي يَتِـمُّ نَقلُها بِقوَّةِ الشَّـخْص الثَّالـث. فالـرُّوح اَلقُـدُس هُـو اَلـذِي أَوحَـى لِلْكاتـب وَأَنـار القـارئ اَلـذِي سَـمِع الآب يَقُـول: «هـذَا هُـوَ ابْنِـي الْحَبِيـبُ». إِنَّ كَـون الـرُّوح اَلقُـدُس هُـو اَلـذِي يُحقِّـق هـذَا التَّواصـل لاَ يَعنِـي نَـزْع هَـذِه الكلمـات مِـن فـم الآب. بـل إِنَّ عمـل الـرُّوح هُـو اَلـذِي يَضعُهـا فِـي فـم الآب مُنْـذ البدايـة (بِمعْنـى كوْنهَـا مَكتُوبـة لِتَصـل إِلَيْنَـا). عِنْدمَـا نُـدْرِك لِأَوَّل مَـرَّة مـدى اِنتِشـار عمـل الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي ظَاهِـرة الكتَـاب اَلمُقـدَّس بِأَكْملهَـا، قـد يَبـدُو الأَمْـر غامـرًا بَعْـض الشَّـيْء. وَهـذَا جَيِّـد. فالْكتـاب اَلمُقـدَّس هُـو مِلـك الـرُّوح، وَمعرِفـة اَللَّـه

38 Madison N. Pierce, *Divine Discourse in the Epistle to the Hebrews* (Cambridge, UK: Cambridge University Press, 2020).

الإشارة هنا هي أنَّه في رسالة العبرانيِّين، حيث يتحدَّث الآب والابن مع بعضهما البعض، لا ينضمُّ الروح القدس إلى حديثهما كشريك ثالث. بل إنَّ الروح القُدُس يتحدَّث من الآب والابن إلى الكنيسة، بل إلينا «نحن» الذين نسمع ونقرأ اليوم.

فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس هِـي مَعرِفـة اَللَّـه فِـي الـرُّوح اَلقُـدُس. بِمجـرَّد اِنْغماسـك فِـي مَجَـال الوحْـي الكتابـيِّ، تُصْبِـح مُحَاطًـا بِالـرُّوح. حَتَّـى اَلجُمـل اَلتِـي تَتَحـدَّث عـن الـرُّوح تُقَـال بِالـرُّوح. عِنْدمَـا يَقُـول الآب: «أَسْـكُبُ رُوحِـي عَلَـى كُلِّ بَشَـرٍ» (يُوئيـل ٢: ٢٨)، فَهـذَا يُقَـال بِنَفـس الـرُّوح اَلـذِي يَتَكَلَّـم فِـي الأَنْبيـاء وسـوْف يُسكَب بِواسِـطة الابْـن. إِنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس هُـو كِتَـاب الـرُّوح، فِـي كُلِّ أَجْزائـه، وَهُـو دائمًـا مَـن يَتَعيَّـن علَيْنَـا أن نَتَعامَـل معـه.

لَكِـن طَـرْح الأَمْـر بِهَـذه الطَّريقـة يُسَـاعِد أَيْضًـا فِـي الإِشـارة إِلـى إِحْـدى تِلْـك المفارقـات بشـأن معْرفتنَـا بِالـرُّوح. إِنَّهَـا (لِلْمـرَّة الأخيرة) نَوعِيَّـة مِـن المفارقـات غَيْـر المتوقَّعـة اَلتِـي يُمْكِـن أن تَكُـون مُخَيِّبَـة لِلْآمَـال فِـي البدايـة أو تَبـدُو وَكَأَنَّهَـا عَيْـبٌ. المفارقـة هِـي أَنَّـه فِـي هـذَا الكتَـاب، الكتَـاب اَلمُقـدَّس، اَلـذِي يُشْـرِف علَيْـه الـرُّوح اَلقُـدُس بِالْكامـل، فَـإِنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس لاَ يَكُـون شَـخصِيَّة نَاطِقـة تقْريبًـا أبـدًا. مـع أَنَّ كُلَّ كلمـات الكتَـاب اَلمُقـدَّس هِـي مِـن تأْليفـه، إِلاَّ أَنَّ اَلقلِيـل مِنهَـا فقـط يَحمِـل شَكْل خِطابـه اَلشـخْصِيِّ المنْفصـل كاقْتبـاس مُبَاشِـر: «هَكـذَا يَقُـول الـرُّوح»، أو «أَنَـا الـرُّوح اَلقُـدُس»، أو «أَنَـا الـرُّوح اَلقُـدُس أَقُـول هـذَا». والاسْـتثْناءات قَلِيلَـة جِـدًّا لِدرجـة أَنَّـه يُمْكننَـا مُراجعتهَـا بِإِيجَـاز. فِـي أَعمَـال الرُّسـل ١٠: ١٩-٢٠ يَقُـول الـرُّوح لِبطـرس أن يَذهَـب لِلقـاء الرِّجَـال الثَّلاثـة الَّذيـن أَرْسـلَهم إِلَيـه. وَفِـي أَعمَـال الرُّسـل ١٣: ٢، عِنْدمَـا صَلَّـت الكنيسـة، «قَـالَ الـرُّوحُ الْقُـدُسُ: ‹أَفْـرِزُوا لِـي بَرْنَابَـا وَشَـاوُلَ لِلْعَمَـلِ الَّـذِي دَعَوْتُهُمَـا إِلَيْـهِ›».[٣٩] لَقـد

٣٩ إنَّ كلا المقطعين يمثِّلان منعطفًا مهمًّا في التاريخ الذي يتتبَّعه سفر أعمال الرسل: توجيه بطرس إلى كرنيليوس الأمميّ، وتكليف بولس وبرنابا بالانطلاق من أنطاكية. ومن المدهش أنَّ الروح القدس، الذي كان يقود هذه الحركة إلى الأمام في جميع أنحاء سفر أعمال الرسل، يتدخَّل في هاتين الحالتين لكي يمنح تفويضًا مباشرًا أكثر للطريقة التي تتوسَّع بها الرسالة.

قُمنَا الآن بِمراجعة اَلأدِلَّة كَافَّةً.[٤٠]

مَـاذَا علَيْنَـا أن نَفعَـل إزَاء نُـدرَة الـكلاَم المباشـر مِـن الـرُّوح؟ أَفضَـل تَفسِـير هُـو اَلـذِي يَرجِـع الأمْـر إلـى الشَّـخْصيَّة والسُّـلوك المعْروفيـن بِوضـوح عـن الـرُّوح اَلقُـدُس. لَقـد أَخبَـر يَسُـوع تلاميـذه عـن نَـوْع اَلمُعلِّـم اَلـذِي سَـيكُونه الـرُّوح اَلقُـدُس:

«وَأَمَّـا مَتَـى جَـاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَـقِّ، فَهُـوَ يُرْشِـدُكُمْ إِلَـى جَمِيـعِ الْحَـقِّ، لأَنَّـهُ لاَ يَتَكَلَّـمُ مِـنْ نَفْسِـهِ، بَـلْ كُلُّ مَـا يَسْـمَعُ يَتَكَلَّـمُ بِـهِ، وَيُخْبِرُكُـمْ بِأُمُـورٍ آتِيَـةٍ. ذَاكَ يُمَجِّدُنِـي، لأَنَّـهُ يَأْخُـذُ مِمَّـا لِـي وَيُخْبِرُكُـمْ. كُلُّ مَـا لِلآبِ هُـوَ لِـي. لِهـذَا قُلْـتُ إِنَّـهُ يَأْخُـذُ مِمَّـا لِـي وَيُخْبِرُكُـمْ» (يوحنَّـا ١٦: ١٣-١٥).

إنَّ الصَّـوْتَ غَيْـر المباشـر الشَّـامل لِـروح اَللَّـه فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس هُـو التَّعْبيـر الأدَبـيُّ عـن طَابعِـه الثَّالوثـيِّ فَهُـو يُمجِّـد اَلمسِـيح بِوضْعـه فِـي المقدِّمـة، والْمسـيح يُمجِّـد الآب بِكوْنـه هُـو اَلـذِي يَتَكَلَّـم بِالْكلمـات المعْطـاة لَـه مِـن الآب (يُوحنَّـا ١٤: ١٠). لَـو تَركنَـا لِأدواتنَـا الخاصَّـة لِنفكِّـر فِـي كَيفِيَّـة تَعرِيـف الـرُّوح اَلقُـدُس بِنفْسـه مِـن خِلاَل النُّصـوص، فَرُبَّمَـا كُنَّـا لِنخْتَـرع شـيْئًا أَكثَـر مُبَاشـرَة: رُوح نَاطِقـة مِـن خِلاَل أَسـطُر حِـوَار يَشـرَح فِيهَـا مِـن هُـو. وسـيكون ذَلِـك بِمثابـة السِّـيرة الذَّاتيَّـة لِلـرُّوح اَلقُـدُس. إنَّ مَـا لَديْنَـا بِالْفِعْـل قـد يُحْبِـط تِلْـك التَّوقُّعـات غَيْـر المدْروسـة، وَلكِـن مِـن الواضـح أَنَّـه

40 James Elder Cumming (*Through the Eternal Spirit, A Biblical Study on the Holy Ghost* [Chicago: Revell, 1896], 52),

يقترح الكاتب هنا بعض النصوص المحتملة الأخرى. في التهمِ التي وجَّهها المسيح إلى الكنائس الثلاث الأولى في سفر الرؤيا، قال: «فَلْيَسْمَعْ مَا يَقُولُهُ الرُّوحُ لِلْكَنَائِسِ»، ثمَّ قدَّم رسالةً ما (٢: ٧، ١١، ١٧). يبدو لي أنَّ الرسائل التالية لا ينبغي اعتبارها كلامًا مباشرًا من الروح. بل بالأحرى مثل نفس الصيغة المستخدمة في الرسائل الأربع الأخيرة.

أَفضَـل. يُظْهِـر لَنَـا الـرُّوح اَلقُـدُس مَـن هُـو أَزلاً مِـن خِلاَل إِخْبارنَـا بِـشَكل رَئِيسِـيٍّ عـن الآب والابْـن، وَخَاصَّـةً مِـن خِلاَل السَّـمَاح لَنَـا بِسماع الآب يَتَكلَّـم مِـن خِلاَل الابْـن. كُلُّ الكتَـاب هُـو مِـن الآب، مِـن خِلاَل الابْـن، فِـي الـرُّوح اَلقُـدُس. بَعْـض آيـات الكتَـاب اَلمُقـدَّس تَجعَـل هـذَا الأَمْـر واضحًـا حَتَّـى فِـي صِيغتـه التَّعْبيريَّـة. والنَّتيجـة هِـي أَنَّـه عِنْدمَـا نَبـدَأ فِـي التَّعَـرُّف على الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس، فَإِنَّنَـا فِـي الواقـع نَتَعـرَّف عليْـه فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس بِأَكْمَلـه. إِنَّـه لَيْـس فقـط فِـي الآيَـات ذات الطَّابـع الرُّوحـيِّ، بـل فِـي كُلِّ كَلمَـة، جَاهِـز لِيَتـمَّ التَّعَـرُّف عليْـه بِالطَّريقـة اَلتِـي اِخْتارهَـا بِحرِّيَّـة لِيجْعـل نَفسَـه مَعرُوفًـا.

عِنْدمَـا نَتَعـرَّف علـى الـرُّوح اَلقُـدُس نَفسـه فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس، فَإِنَّنَـا لاَ نَتلقَّـى المعْرفـة والْمعْلومـات فحسْـب، بـل نَتَلقَّـى مَعرِفـة شَـخصِيَّة معـه. عِنْدمَـا يُغْلِـق الـرُّوح اَلـذِي أَوحَـى بِالْكتـاب اَلمُقـدَّس الحلْقـة أو يُكْمِـل الدَّائـرة بِإِنـارة أَسْـفاره، نَصِـل إِلـى إِدرَاكٍ رُوحـيٍّ حَقِيقِـيٍّ لِلْمحْتـوى العقائـديِّ لِلْكتَـاب اَلمُقـدَّس، وَلكِـن أَيْضًـا إِلـى شَـيْء أَكثَـر. عِنْدمَـا نَصِـف هـذَا الشَّـيْء، فَإِنَّنَـا نَصِـل إِلـى حَافَّـة مَـا يُمْكِـن التَّحَـدُّث عَنْـه، لِأَنَّـه حَقِيقَـة أَعمَـق مِـن الكلمـات. إِنَّ مَعرِفـة اَللَّـه فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس، مِـن خِلاَل كَلمَتِـه الخاصَّـة وَروحِـه اَلقُـدُس، هِـي أن نَسـتقْبِل فِـي ذَواتِنَـا شَـهادَة مـن يَتَكلَّـم فِـي اَلنَّـصِّ. فَهُـو، الـرُّوح نَفسُـه، يَشـهَد فِينَـا بِمَـا شَـهِد بِـه فِـي الكتابـة. أَطلَـق رُوبـرت كاندليـش Robert Candlish (١٨٠٦-١٨٧٣) على هَـذِه الشَّـهادة المؤكَّـدة لِلـرُّوح أَنَّهَـا إِقْـراره اَلشـخْصِيُّ، مِـن اَلكلِمـة اليونانيَّـة اَلتِـي تَعنِـي شَـهادَةً أو إِقـرَارًا (*homologeō*).

إِنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس السَّـاكن فِينَـا الآن يُؤَكِّـد مَـا كَتبَـه الـرُّوح اَلقُـدُس اَلمُوحِـي آنـذاك:

«إِنَّـه قـد يَكُـون، فِـي حُضورِنَـا ولإِرْضائنَـا، نَحْـن الَّذيـن يُستشْـهِد بِـه أمامهـم كَشـاهِد، وَكَأَنَّـه يُصَـادِق علـى مَـا أَملاَه مُنْـذ عُصُـور؛ وبالتَّالـي يُشـير صَراحَـةً، مِـن خِلاَل بَعْـض المظاهـر اَلتِـي لاَ تَقبَـل اَلشَّـكَّ لِقوَّتـه، إِلـى مُوافقتـه الفعْليَّـة الآن علـى مَـا قِيـل أو كُتِـب آنـذاك، بِحَيـث يُصْبِـح ذَلِـك شـهادَته لَنَـا شـخْصيًّا بِـشَكلٍ صَـارِمٍ ومباشـرٍ؛ وَكمَـا لَـو أنَّ شَـهَادتَه قـد نُقلَـت إِلـى السَّـاعة الحاليَّـة. وهكـذَا، فِـي اَلكلِمـة، لَديْنَـا إِيـدَاع الـرُّوح كَشـاهِدٍ أَوَّلِـيٍّ ورئيسـيٍّ فِـي هَـذِه اَلقضِيَّـة العظيمـة؛ وَلَدينَـا المـادَّة الدَّقيقـة لِشـهادته. ونحْـن نمْلكـه لَيْـس فقـط كَتقريـر مَكتُـوب عـن أَدلَّـة سَـابِقة، بـل كدليـل أَرسَـله إِلَيْنَـا مُجَـدَّدًا الآن».[٤١]

إِنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس يَجعَـل نَفسَـه مَعرُوفًـا لَنَـا بِطريقـة أَفضَـل مِمَّـا كُنَّـا نتوقَّعـه أو نَتَخيَّلـه لِأَنْفسـنَا. إِنَّـه الشَّـخْص الابتْـداريُّ، اَلـذِي يَعمَـل دائمًـا، لَيْـس أبـدًا بِلاَ آب أو اِبْـن فِـي وُجـوده أو فِـي عَملِـه، وأَقْـرب إِلَيْنَـا مِـن أَنْفاسـنَا، ويعرِّفنَـا فِـي أَعمَـاق نُفوسِنَـا بِأمور اَللَّـه العميقـة. نَختَتِـم بِترْنيمـة تِشـارْلز وِسْـلِي اَلتِـي تَسـتحْضِر «اَلمُفسِّـر الإِلَهـيَّ»، اَلـذِي وَحـدَه يَسـتطِيع «شَـرْح عَقْـل اَللَّـه السِّـرِّيِّ لِلْإِنْسـان»:

رُوح اَلحَقِّ، مِن جَوهَر اَللَّه،

41 Robert S. Candlish on 1 John 5:7, in *The First Epistle of John Expounded in a Series of Lectures* , vol. 2 (Edinburgh: Adam & Charles Black, 1870), 203–4.

مَن أَوحَيت لَقدِّيسيك القدماء،

اسكُب حُبَّك فِي قُلوبِهم،

وِالمس شِفاهَهم المقدَّسة بِالنَّار.

إِلهنَا مِن الأزل،

نَحْن نَعبُدك أَيُّهَا اللاَّمَحْدود!

ما زلْنَا نُؤْمِن يَا ربُّ اَلقدِير،

اَلذِي يَملَأ حُضوره الأَرْض والسَّماء،

مَعنَى اَلكلِمة المكْتوبة

هُو مِن خِلاَل وَحيِك؛

أَنْت فقط مَن تَشرَح بِنفْسك

عَقْل اَللَّه السِّرِّيَّ لِلْإِنْسان.

تَعَال إِذًا أَيُّهَا اَلمُفسِّر الإِلَهيُّ،

طَبِّق الأَسْفار المقدَّسة على قُلوبِنَا؛

وَعَلِّمنَا أن نُوقِّر اَللَّه،

ونمجِّده فِي ثَلاثَة أَشخَاص؛

فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهم نَعبُد اَللَّه الثَّالوث،

اَلذِي كان، وسيكون إِلى الأبد.[٤٢]

42 Charles Wesley, in *A Collection of Hymns for the Use of the People Called Methodists* , ed. Franz Hildebrant and Oliver A Beckerlegge, vol. 7, Bicentennial Edition of *The Works of John Wesley* (Nashville, TN: Abingdon, 1989).

ملحقات

قَواعِد التَّفْكير اَلسلِيم بِشَأن الرُّوح اَلقُدُس

١. عِنْدمَـا تَبـدَأ فِـي دِراسـة الـرُّوح اَلقُـدُس وتجـده يُشـير عـن خِبْـرَة إِلـى الابْـن أو إِلـى حَقائِـق لاَهوتيَّـة أُخـرَى، اِتَّبـع قِيادَتـه مِـن خِلاَل الاهْتمـام بِهَـذه الأَشْـياء. سَـوْف تَتَمكَّـن مِـن فَهْـم الـرُّوح بِـشَكلٍ أَفضَـل مِـن خِلاَل طَاعَتِـه بـدلاً مِـن مُقَاومَـة إِشـارَته.

٢. إِنَّ عَقِيـدَة الـرُّوح اَلقُـدُس هِـي وَاحِـدة مِـن اَلعدِيـد مِـن العقائـد فِـي اللاَّهـوتِ المسيحيِّ، وَلَكنَّهَـا أَيْضًـا الخلْفيَّـة العقائديَّـة لِكلِّ عَقِيـدَة أُخـرَى وَلكُلِّ المعْرفـة اللاَّهوتيَّـة الحقيقيَّـة. اِنتبـه لِلـرُّوح اَلقُـدُس فِـي كُلِّ عَقِيـدَة.

٣. تَذكَّـر أَنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس يُحيـط بِالْحيـاة والتَّفْكيـر المسيحيِّ ويمكِّنهمَـا، مِمَّـا يَضعُـه فِـي كثيـرٍ مِـن الأَحْيـان لَيْـس فِـي المقدِّمـة أَمَـام اِنْتباهنَـا، بـل فِـي الخلْـف وَرَاء قُدْرتِنَـا على الانْتبـاه.

٤. لاَ تُحَـاوِل أن تَكُـون أَكثَـر رُوحانيَّـة مِـن يَسُـوع والرُّسـل مِـن خِلاَل إِقحَـام الإِشـارة إِلـى الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي كُلِّ بَيَـان. غالبًـا مَـا

تـرك يَسُـوع وبولـس الـرُّوح اَلقُـدُس دُون ذِكـره حَتَّـى فِـي الأماكـن اَلتِـي نَتَوقَّـع مِنْهـم أن يَذكُـروه فِيهَـا.

٥. إِذَا أَهمَـل أحـد الـرُّوح اَلقُـدُس، فَـإِنَّ الطَّريقـة اَلأُولـى لِتصْحِيـح هـذَا الاتِّجـاه هِـي الاعْتـراف بِحضـور الـرُّوح اَلقُـدُس وَقوَّتِـه فِـي اَلأُمـور الرَّئيسـيَّة والْمرْكزيَّـة لِلْإِنْجيـل. قَـاومْ الرَّغْبـة فِـي الانْدفـاع نَحْـو مِنطَقـة خَاصَّـة غَيْـر مَأْلُوفـة مِـن المفْتـرض أنَّ الـرُّوح يَختَبِـئ فِيهَـا.

٦. الـرُّوح اَلقُـدُس يَعمَـل دائمًـا قَبْـل أن تُـدْرِك نشـاطه، وعنْدَمَـا تُدْرِكـه، يكـون ذَلِـك لِأَنَّـه يَعمَـل لِتمْكينـك مِـن القيَـام بِذَلـك. إِنَّـه الشَّـخْص الابتـداريُّ.

٧. تَذكَّـر أَنَّـه إِذَا كُنْـت تَعـرِف أساسـيَّات عَقِيـدَة الثَّالـوث، فَإِنَّـك تَمتَلِـك بِالْفِعْـل المعْرفـة اللاَّزمـة لِأَهـمِّ الحقائـق عـن شَـخْص وَعمَـل الـرُّوح اَلقُـدُس. إِنَّ عَقِيـدَة الثَّالـوث هِـي اَلموْطِـن الطَّبيعـيُّ للنيوماتولوجيـا.

٨. لاَ تُفكِّـر أبـدًا فِـي الـرُّوح اَلقُـدُس على أَنَّـه ثُلْـث اَللَّـه فقـط. اِعتـرِفْ دائمًـا بِأَنَّـه يَمتَلِـك اَلْجَوهـر الإِلَهـيَّ الكامـل.

٩. تَذكَّـر أنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس هُـو فِـي اَللَّـه وَمِـن اَللَّـه. إِنَّ كيْنونتـه مِـن اَللَّـه تَظهَـر فِـي رِسـالَته، وَلَكنَّهَـا تَرتَكِـز على اِنْبثاقـه السَّـرْمديِّ.

١٠. مِـن، مِـن خِلاَل، فِـي. الأعْمـال الخارجيَّـة لِلثَّالـوث غَيْـر قَابِلـة لِلْفصْـل وَلَكنَّهَـا مُتمايـزة، وَكُلُّ مَـا يفْعلـه اَللَّـه يَتِـمُّ مِـن اَلآب، مِـن خِلاَل الابْـن، فِـي الـرُّوح اَلقُـدُس. إِنَّ التَّـدَرُّب على هَـذِه الصِّيغـة

يُسَـاعِد كثيـرًا فِـي تَحدِيـد عمـل الـرُّوح.

١١. كمَـا أنَّ اَلخَلـق هُـو مَنسُـوب إِلـى اَلآب، فَـإِنَّ الاكْتمـال هُـو مَنسُـوب إِلـى الـرُّوح اَلقُـدُس. فَمِـن حَقِّـه إِتمَـام اَلأُمـور، لِأنَّ الإِكْمـال يُشْـبِه مكانـه فِـي الثَّالـوث.

١٢. إِنَّ وَعْـد اَلآب بِسَـكب الـرُّوح اَلقُـدُس علـى كُلِّ بشـرٍ هُـو حَقِيقَـة تاريخيَّـة خَلاصِيَّـة عَظِيمَـة لِدرجـة أَنَّهَـا تُعْطِـي هيْـكلاً لِلْكتَاب اَلمُقـدَّس بِأَكْمَلـه.

١٣. يَمنَـح الـرُّوح اَلقُـدُس المَسْـكوب المؤْمنيـن اَلقُـدرةَ علـى الـصَّلاَة بِـشَكلٍ صحيـح.

١٤. الـرُّوح اَلقُـدُس لَـه عُمْـق مُـزْدَوِج، عميـق فِـي اَللَّـه وعميـق فِينَـا. وَنَتيجَـةً لِهَـذا اَلقُـرب مِنَّـا، فَـإِنَّ وظيفَتـه الخاصَّـة هِـي أن يُجَاهِـد مَعنَـا، ويتـأَوَّه مَعنَـا، وَيكُـون فِـي نِطَـاق اَلحُـزن. كُلُّ هـذَا بِسَـبب عُمْقِـه المـزْدوج، وليْـس لِأَنَّـه فِـي ذَاتِـه أقـلُّ مِـن كَونِـه قَـادِرًا علـى كُلِّ شَـيْء، وغيْـر قَابِـل لِلتَّغْييـر، وغيْـر قَابِـل لِلتَّأَثُّـر.

١٥. إِنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس يَنبَثِـق أوَّلاً مِـن اَلآب، مِـن خِلاَل الابْـن. فَهُـو رُوح اَلآب أَزلاً وَرُوح الابْـن أيْضًـا.

١٦. لَقـد حـلَّ الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي حَيَـاة يَسُـوع اَلمسِـيح فِـي كُلِّ نُقطَـة، لَكِـنَّ حُضُـورَه وَاضِـح بِـشَكلٍ خـاصٍّ فِـي الحَمـل العـذْراويِّ، والْمعْموديَّـة فِـي نَهْـر اَلأُردنِّ، وَنُقطَـة التَّحَـوُّل حَيْـث صَعـد اَلمسِـيح وَنـزَل الـرُّوح اَلقُـدُس.

١٧. الـرُّوح هُـو المسْـحة اَلتِـي تُـشكِّل يَسُـوع كمَـا هُـو، اَلمسِـيح

(الممْسوح، اَلمسِيَّا). وَفِي هـذَا المسْح، يَسُوع هُو اَلنبِيُّ والْكاهن والْملك.

١٨. لَم يُرْسِل اَلمسِيح الرُّوح اَلقُدُس إِلاَّ بِصعوده وَجلُوسه عن يمين اَللَّه، لِأَنَّ إِرسَال الرُّوح هُو نَتِيجَة اِكتِمال عمل الابْن.

١٩. إِنَّ إِتمَام الفدَاء يَعُود إِلى الابْن، أَمَّا تطْبيقه فَيعُود إِلى الرُّوح اَلقُدُس. إِنَّ الحفَاظ على هَذِه التَّخْصيصات يُساعدنَا على تَنظِيم عقيدتنَا بِأَكْملهَا بشأن الخلاَص.

٢٠. يَجِب علَيْنَا أن نَأخُذ عقيدتنَا عن الرُّوح اَلقُدُس مِن الكتَاب اَلمُقدَّس ونقْبلهَا كمَا هِي ونرْفض مَا هُو لَيْس مِنهَا. إِنَّ الفشل فِي القيَام بِذَلك سَوْف يَترُكنا عُرضَة لِلرَّغْبة فِي اِختِلاق كُلِّ أَنوَاع التَّفاصيل المحدَّدة بشأن الرُّوح اَلقُدُس فِي مُحَاولَة لِجعْله يَبدُو أَكثَر وَاقعِيَّة بِالنِّسْبة إِلَينَا وَتحسِين إِعْلانه عن ذَاتِه.

٢١. فِي الوحْي الكتابيِّ، الرُّوح اَلقُدُس هُو شَخْص يَتَصرَّف أَحْيانًا بِطريقة غَيْر شخْصانيَّة. إِذَا حافظْنَا على كِلاَ الجانبيْنِ مِن هَذِه الحقيقة، يُمْكننَا الاسْتفادة مِن اِسْتخْدام الرُّموز غَيْر الشَّخْصانيَّة لِلرُّوح لِمعْرفته بِشَكلٍ شَخصِيٍّ أَفضَل.

٢٢. فِي حِين أنَّ «الرُّوح اَلقُدُس» هُو اِسْم خاصٌّ ونهائيٌّ لِلشَّخْص الثَّالث، فَإِنَّه يَأخُذ هذَا الشَّكْل النِّهائيَّ على مَدَار الكتَاب اَلمُقدَّس، وَيُطلَق علَيْه اَلعدِيد مِن الأَسْماء اَلأُخرى قَبْل وبعْد أن يَأتِي هذَا الاسْم اَلْخاصُّ. هذَا رَائِع.

٢٣. مع أَنَّه يَجُوز لَنَا أن نُصلِّي إِلى الرُّوح اَلقُدُس، إِلاَّ أَنَّه

يَنبَغِـي لَنَـا أن نُرَاعِـي تَناسُـب الكتَـاب اَلمُقـدَّس، وَنكُـون سُـعَداء بِالـصَّلاة دائمًـا بِالـرُّوح اَلقُـدُس، وأحْيانًـا فقـط لَـه. وعنْدَمَـا نُصلِّـي إِلَيـه، فَمِـن الحكْمـة أيْضًـا أن نُنْشِـئ رَوابِـط وَاضِحـة مـع الأشْـخاص الآخريْـنِ فِـي الثَّالـوث.

٢٤. وَمِـن خَصائِـص عَقِيـدَة عمـل الـرُّوح أَنَّهَـا مُعبَّـر عَنهَـا فِـي قَوائِـم، قَوائِـم مُتَنوِّعَـة بِـشَكلٍ رَائِـع لِأشْـيَاء عَدِيـدَة يَقُـوم بِهَـا الـرُّوح اَلقُـدُس.

٢٥. اِحتـرِسْ أن تَتـرُك عمـل الـرُّوح اَلقُـدُس يَتَـوزَّع علـى أُمُـور أُخـرَى وعقائـد أُخـرَى، فيبْقـى الـرُّوح غَيْـر مُسْـتخْدَم بِالـشَّكْل الكافـي. إِنَّنـا نميـل إِلـى اِسْـتبْدال عقائدنَـا المفضَّلـة اَلأُخـرى بالـرُّوح اَلقُـدُس.

٢٦. إِنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس يَتَكلَّـم إِلَيْنَـا فِـي كُلِّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس، وَلكِـن نـادرًا جِـدًّا مَـا يَتَكلَّـم إِلَيْنَـا مِـن خِلاَل شَـخصِه. بـل هُـو اَلـذِي يَحمِـل إِلَيْنَـا صَـوْت اَلآب والابْـن والْأَنْبيـاء والرُّسـل.

٢٧. إِنَّ الـرُّوح اَلقُـدُس نَفسَـه اَلـذِي أَوحَـى بِكتابـة الكتَـاب اَلمُقـدَّس يُنيـر قَـارِئ الكتَـاب اَلمُقـدَّس، ويشْـهد مَعنَـا بِشـهادة مُؤَكَّـدَة فِـي قُلوبِنَـا.

لمزيد من القراءة

Allison, Gregg, and Andreas Köstenberger. The Holy Spirit. Theology for the People of God. Nashville, TN: B&H Academic, 2020.

يُعتَبَـر هـذَا اَلمُجلَّـد المشْـترَك قويًّـا وحديثًـا وإنْجيليًّـا، وقـد تَمكَّـن مِـن الخـوْض بِعمْـقٍ فِـي الدِّراسـات الكتابيَّـة واللاَّهـوتِ النِّظامـيِّ.

Athanasius. Letters to Serapion . In Works on the Spirit: Athanasius the Great and Didymus the Blind . Translated by Mark DelCogliano, Andrew Radde-Gallwitz, and Lewis Ayres. Crestwood, NY: St. Vladimir's Seminary Press, 2011.

اِشـتهَر أثناسـيوس بِانْشـغالِه بِدَحـض الآريوسـيَّة وَوجَّـه مُعظَـم اِهْتمامِـه إِلـى عَقِيـدَة الابْـن. وَلكِـن بِمجـرَّد أن وَجَّـه اِنْتباهـه مُبَاشـرَةً

إلـى عَقِيـدَة الـرُّوح اَلقُـدُس، كتـب هـذَا العـرْضَ الرَّائـع لِعقيـدة الثَّالـوث المسـيحيَّة الباكـرة.

Basil the Great. On the Holy Spirit. Crestwood, NY: St. Vladimir's Seminary Press, 2001.

رُبَّمَـا كان هـذَا هُـو العمـلَ المسـيحيَّ الباكـر الأكْثـر إرضَـاءً بِشَـأن الـرُّوح اَلقُـدُس، بِسَـبب توازنـه بَيْـن اَلحُجـج التَّفْصيليَّـة (التَّحْليـل اَلدقِيـق لِلْعبـارات الحرفيَّـة) والنِّطـاق الواسـع (لاَهُـوت الكتَـاب اَلمُقـدَّس لِلـرُّوح اَلقُـدُس).

Buchanan, James. The Office and Work of the Holy Spirit. Edinburgh: John Johnstone, 1842.

مِثَـال رَائِـع علـى مِقـدَار المعْرفـة الرُّوحيَّـة اَلتِـي يُمْكِـن لِلْمُعَلِّـم الجيِّـد أن يَحصُـل عليْهَـا مِـن تَحلِيـل الخبْـرة الرُّوحيَّـة مِـن وُجهَـة نظـر الكتَـاب اَلمُقـدَّس. مِـن خِلَال دِراسَـات الحالـة المأْخـوذة فِـي مُعظمهَـا مِـن سِـفْر أَعمَـال الرُّسـل، يَتَتبَّـع بُوكانـان عمـل الـرُّوح اَلقُـدُس فِـي الاهْتـداء والْبنـاء.

Cole, Graham. He Who Gives Life: The Doctrine of the Holy Spirit . Foundations of Evangelical Theology. Wheaton, IL: Crossway, 2007.

مُعَالجَـة مِـن مُجلَّـد وَاحِـد للنيوماتولوجيـا، تَجمـع بِسـهولة الموْضوعـات المنْهجيَّـة والتَّاريخيَّـة الأساسـيَّة فِـي إِطَـارٍ قَانُونـيٍّ

تَحْت عَناوِين وُجهات نظر العهْد اَلقدِيم وَوجُهات نظر العهْد اَلجدِيد.

Cumming, James Elder. Through the Eternal Spirit: A Biblical Study on the Holy Ghost. Chicago: Revell, 1896.

يَبدَأ كامينغ بِإدْرَاج كُلِّ إشارة إلى الرُّوح اَلقُدُس فِي الكتَاب اَلمُقدَّس، ثُمَّ يُقدِّم مُلاحظات بِشَأن أَساليب ومجْموعات هَذِه المقاطع. ويسْتَمرُّ فِي فِعْل أَكثَر مِن هذَا بِكثير، وَلكِن الكتَاب يَستَحِقُّ الرُّجوع إِلَيه لِمعْرِفة إلى أيِّ مدًى يُمْكِنك أن تَذهَب اِنْطلاقًا مِن نُقطَة اِسْتقْرائيَّة صَارِمة.

Ferguson, Sinclair. The Holy Spirit . Contours of Christian Theology. Downers Grove, IL: IVP Academic, 1997.

يُوصَى بِه بِشدَّة بِاعْتباره نهْجًا لَاهوتيًّا كِتابِيًّا لاَ مثيل لَه لِلْعقيدة. يَبدَأ فِيرغسون مِن سِفْر التَّكْوين ويْنْتَهي عِنْد سِفْر الرُّؤْيَا، مُسْتخْلصًا النِّقَاط العقائديَّة مُبَاشرَةً مِن الكتَاب اَلمُقدَّس، ويتعامل مع كُلِّ اَلْمَوادِّ بِنضارة مُذْهِلة.

Kuyper, Abraham. The Work of the Holy Spirit . New York: Funk & Wagnalls, 1900.

على الرَّغْم مِن أنَّ بَعْض مُلاحظات كويبر قد عفَا عليْهَا الزَّمن لِأَنَّهَا كَانَت مُحَدَّدَة لِلْغاية بِالنِّسْبة إِلى سِياقِهَا، فَإِنَّ مُعظَم اَلفُصول القصيرة البالغ عَددُها ١٢٣ فصْلاً فِي هذَا الكتَاب

تُقـدِّم تعْليمـات قَويَّـة عـن مَجمُوعـة وَاسِـعة بِـشَكلٍ مُدْهِـشٍ مِـن الموْضوعـات فِـي النِّيوماتولوجيـا التَّطْبيقيَّـة.

Murray, Andrew. The Spirit of Christ: Thoughts on the Indwelling of the Holy Spirit in the Believer and the Church. London: James Nisbet, 1888.

هـذَا الكتَـاب ملـيء بِالـرُّؤى وملـيء بِالْعبـارات الجذَّابـة، وَهُـو مُجلَّـد تَأَمُّلِـيٌّ عميـق يَهـدِف إِلـى إِحـدَاث تَغيِيـرٍ رُوحـيٍّ فِـي القـارئ.

Oden, Thomas. Life in the Spirit . Vol. 3 of Systematic Theology. New York: HarperCollins, 1994.

يَهـدِف أودن إِلـى إِعـادة صِياغـة العقيـدة الكلاسـيكيَّة اَلمُتَّفـق عليْهَـا بِشَـأن الـرُّوح اَلقُـدُس، وَهُـو يَفعَـل ذَلِـك عن طريـق الاقْتباس والتَّفاعـل مـع المصـادر القديمـة. يَتَولَّـى أودن مِحـوَر النِّيوماتولوجيـا مِـن (مِـن أَجلِنـا) إِلـى (فِينَـا) بِـشَكلٍ جَيِّـدٍ وَخَـاصٍّ.

Stott, John R. W. Baptism and Fullness: The Work of the Holy Spirit Today . Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 1975.

مُنَاقشَـة قَصِيـرَة تُركِّـز على الكتَـاب اَلمُقـدَّس بِشَـأن عمـل الـرُّوح اَلقُـدُس وكانـتْ مُفيـدَة بِـشَكلٍ خـاصٍّ فِـي تَوجِيـه الإِنْجيليِّيـن غَيـر الخمْسـينيِّين إِلـى تَقدِيـرٍ مُسْـتنِيرٍ لِعَمـل الـرُّوح اَلقُـدُس الحاليِّ.

مَاذَا يَكشِف الكتَاب اَلمُقدَّس عن عمَل وَقوَّة الرُّوح اَلقُدُس؟

على الرَّغْم مِن أنَّ الرُّوح اَلقُدُس هُو جَوهَر اللاَّهوتِ والْإيمانِ المسيحيِّ، فَإِنَّ مُقابلته تَتَطلَّب نوْعًا خاصًّا مِن المعْرفةِ. تُعلِّم هَذِه الإضافة إِلى سِلْسلة الدِّراسات القصيرة فِي اللاَّهوتِ النِّظاميِّ اَلقُرَّاءَ كَيفِيَّة التَّمَسُّك بِالْفَهْم الكتابيِّ اَلصحِيح عن شَخْص وَقوَّة الرُّوح اَلقُدُس. وَمِن خِلَال شَرْح عَقِيدَة الخلَاص فِي علاقتهَا بِالثَّالوث والْعَهْد اَلقدِيم والْعَهْد اَلجدِيد، يُعلِّم هذَا الكتَاب المؤْمنين اَلجُدد والْقدِّيسين المُخْضَرَمين على حدٍّ سَوَاء عن عمل الرُّوح اَلقُدُس فِي الكوْن وَتارِيخ الخلَاص وَخطَط اَللهَ لِلْمُسْتقْبَل.

«يُظهِر ساندرز كَيْف أنَّ عَقِيدَة الثَّالوث تُشكِّل وتنير فهْمنَا لِلرُّوح اَلقُدُس. وَكَان النَّاتج غنيًّا لِلْغاية ودقيقًا ومُذهِلاً، وَفِي الوقْتِ نَفسِه واضحًا لِلْغاية وَفِي مُتَنَاوَل اَلجمِيع.»

مايكل ريفز

رَئيسُ وأُستَاذ اللاَّهوتِ، Union School of Theology
International Alliance for Christian Education

«دراسة عن الروح القُدُس تأتي كنسمة من الهواء النقيِّ فيها تكتسب المصطلحات والصور المألوفة دلالات جديدة وغير متوقَّعة.»

سيمون تشان

أُستَاذُ عِلْم اللاَّهُوتِ النظَاميِّ السَّابِق، Trinity Theological College، سنغافورة؛ محرِّر، Asia Journal of Theology

فرِد ساندرز (حَاصِلٌ على دَرجَة الدُّكْتوراه مِن إتِّحاد اللاَّهوتِ لِلدِّراسات اَلعُليا) هُو أُسْتاذ اللاَّهوتِ فِي كُلِّيَّة Torrey Honors College بِجَامعَة Biola University. ساندرز هو مؤلِّف كتَاب The Deep Things of God ويَكْتُب مدوَّنَات علَى fredfredfred.com.

تمَّ تصميم سلسة «دراسات قصيرة في اللاهوت النظاميِّ» لتمكين الكنيسة أن تفهمَ، وتُحبَّ، وتُعلِّمَ، وتُطبِّقَ بإخلاصٍ ما أعلنه الله في الكتاب المُقدَّس عن مجموعةٍ متنوِّعةٍ من الموضوعات اللاهوتيَّة.

اللاهوت النظامي
ISBN: 978-977-95-0959-4
9 789779 509594
EPI Equipping Pastors International
CROSSWAY crossway.org